الشّخصيّة الإنسانيّة في الرّواية الأردنيّة 1980 - 2000

إعداد:
فاطمة زكي محمود شلطف

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

المشرف
الدكتور سمير قطامي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في
اللغة العربية

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

كانون الأول
2002م

2002

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ .....

أعضاء لجنة المناقشة **التوقيع**

1- الدكتور سمير قطامي، رئيساً

أستاذ مشارك- أدب حديث

2- الدكتور إبراهيم خليل، عضواً

أستاذ مشارك- اللسانيات

3- الدكتور محمد علي أبو حمدة، عضواً

أستاذ مساعد- بلاغة

4- الأستاذ الدكتور إبراهيم الفيومي، عضواً

أستاذ (أدب حديث)، جامعة اليرموك

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الإهـــداء

إلى منْ يُحّبُ الله

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

شكر وتقدير

الشّكر لله، ومن ثمّ لأستاذي الفاضل الدّكتور سمير قطامي، الذي ما بخل عليّ يوماً بوقته أو بتوجيهاته السّديدة، فكان لي نعم المرشد والصّديق.

كما أتقدّم بجزيل الشّكر لأساتذتي الكرام الدكتور إبراهيم خليل والـــدكتور محمد علي أبو حمدة والدكتور إبراهيم الفيومي لتحمّلهم أعباء قراءة هـــذه الرســـالة وتفضلهم بمناقشتها وإغنائها بآرائهم السديدة.

وفي الختام كل الشّكر لأسرتي، ولصديقتي سوزان الحلو.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المحتــوى

قـــــــــــرار اللجنـــــــــــة .... ب

الإهـــــــــــــــــــــداء .... ج

شـــــــــــكر وتقـــــــــدير .... د

ثبـــــــــــت المحتويـــــــات .... هـ

ملخـــــــص باللغــــــة العربيـــــــة .... و

المقدمـــــــــــــــــــــــة 1

الباب الأول
الشّخصــــــــيّة فــــــي الأدب 5

الباب الثاني
صــورة المــرأة فــي الرّوايــة الأردنيّــة 33

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

.....

الباب الثالث

صورة الرجل في الرّواية الأردنيّة 126

.....

الباب الرابع

الدّراسة الفنيّة للشّخصيّة الرّوائيّة 204

.....

الخاتمة 232

.....

المصادر والمراجع 233

.....

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

ملخص

الشخصية الإنسانية في الرواية الأردنية

2000 -1980

إعداد

فاطمة زكي محمود شلطف

المشرف

الدكتور سمير قطامي

تناول هذا البحث بالدراسة الشخصية الإنسانية في الرواية الأردنية في الفترة الواقعة ما بين 1980 - 2000م .

ومما حفزني إلى دراسة هذا الموضوع في المقام الأول هو عظم أهميته، وفي المقام الثاني أنه لم يبحث سابقا من كل جوانبه، وهكذا فإننا نستطيع أن نجد دراسات حول شخصية المرأة ودورها في الرواية الأردنية، في حين أننا لا نجد دراسات حول شخصية الرجل ودوره في العمل الأدبي الأردني، بالإضافة إلى ذلك فإننا نستطيع من خلال هذه الدراسة التعرف إلى طبائع الشخصيات، وهمومها، وتفاعلها في المجتمع الذي تعيش فيه، وأن نرى بوضوح أثر التطور على الشخصية في كل ميادين الحياة المختلفة.

كل الأسباب المذكورة آنفا جعلتني أتناول هذا الموضوع في بحثي الذي يحتوي على مقدمة، وأربعة أبواب، وخاتمة.

في الباب الأول، تحدثت عن مفهوم الشخصية في الأدب، وما يتعلق بها من مصطلحات، وآراء، ونظريات تقليدية أو حديثة.

أما في الباب الثاني، فقد عملت جاهدة على التقاط صورة المرأة التي رسمها كل من الكاتب والكاتبة، ومن خلال موضوعات شديدة الصلة بالمرأة وحياتها اليومية؛ كالمجتمع والتعليم والعمل والسياسة والرجل، وعملت على تحليل شخصية المرأة وعلاقاتها في كل مناحي الحياة المختلفة على مستوى الواقع والأدب.

وعملت في الباب الثالث على تحليل صورة الرجل التي رسمها كل من الكاتب والكاتبة أيضا، وذلك من خلال الموضوعات نفسها. وآمل أن أكون قد نجحت في توضيح صورتيهما بشكل موضوعي يُظهر العلاقة بين الشخصية الروائية وواقعها الذي تعيشه.

وأما في الباب الرابع والأخير، فقد درست السمات الفنية للشخصية الروائية من خلال التقنيات التي لجأ الكاتب والكاتبة إلى استخدامها لخلق شخصياتهما بكل أبعادها التي تكسبها شكلا من الحياة؛ كالأسماء، والذكريات، والأحلام، والزمان، واللغة... إلخ.

وبهذا تكون هذه الدراسة قد بينت كيف استطاع الكتاب الأردنيون تصوير مختلف النماذج البشرية –ذكورا وإناثا– التي شكلت المجتمع، وقد تمَّ هذا باستخدام الشخصيات التي ناقشت هذه النماذج بسماتها المميزة، وطبائعها المتباينة، وأفكارها وفلسفاتها حول الواقع وهمومه، كما استطاعوا أن يصوروا ملامحها الجسدية والاجتماعية والنفسية، وعلاقاتها المتشابكة، حتى باتت الشخصية أحد العناصر الرئيسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في الرواية الأردنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة:

تتناول هذه الدراسة الشخصيّة الإنسانيّة في الرّواية الأردنيّة في الفترة ما بين 1980- 2000م.

وممّا دفعني إلى دراسة هذا الموضوع أهميته؛ التي تكمن في أنّ الموضوع الذي تتناوله الدراسة. لم يُطرح بجزئياته الكاملة مُسبقاً، فنحن نجد دراسات عن المرأة وصورتها في الرّواية الأردنيّة، في حين أننا لا نجد مثلها عن الرجل، وصورته في العمل الأدبيّ الأردنيّ، بالإضافة إلى أننا نستطيع التعرّف بواسطتها إلى طبائع الشّخصيّات، وهمومهما، وتفاعلها، في المجتمع الذي تعيش فيه، ونلمس منها أيضاً أثر التطور في ميادين الحياة المختلفة على الشّخصيّة.

وكما أنّ لهذه الدّراسة من أهمية أخرى، تكمن في دراستها لمجموعة من الرّوايات التي لم تدرس بعد مثل: "الجبل الخالد"، و "حواء مرة أخرى"، و "ورقة التوت"، و "مجدور العربان"، و "أعواد ثقاب"، و "ليلتان وظل امرأة"...

وبناءً على الدّوافع السّابقة، ارتأيت تقسيم الدراسة إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة؛ تحدثت في الباب الأول عن الشّخصيّة في الأدب، وما يتعلق بها من مصطلحات، وآراء، ونظريات تقليدية أو حديثة.

أمّا في الباب الثاني، فقد عملت جاهدة على التقاط الصورة التي رسمها، كل من الكاتب والكاتبة من خلال موضوعات شديدة الصلة بالمرأة وحياتها اليوميّة، وهي المجتمع، التعليم، العمل، السياسة، الرجل، عاملة على تحليل شخصيّة المرأة وعلاقاتها بميادين الحياة المختلفة.

وأمّا في الباب الثالث، فقد قدمت صورة الرجل التي رسمها كل من الكاتب والكاتبة أيضاً، من خلال الموضوعات نفسها، وهي المجتمع، التعليم، العمل، السياسية، وخصوصيّة علاقته بالمرأة، آملة أن أكون قد نجحت في طرح صورتهما (الرجل والمرأة) بشكل موضوعي، يظهر العلاقة بين الشّخصيّة الرّوائيّة الأردنيّة وواقعها الذي تحياه.

وأمّا في الباب الأخير، فقد درست السمات الفنيّة للشّخصيّة الروائيّة، من خلال التّقنيات، التي لجأ الكاتب والكاتبة إلى استخدامهما، في خلق شخصيّاتهما وأبعادها، التي تكسبها قدراً من الحياة، كالأسماء والأحلام والذكريات والزمان والمكان والأفعال واللغة...

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من النّصوص الروائيّة التي ألفت بعد عام 1980م؛ لأنّ هذه الفترة لم تدرس فيها الشّخصيّة الإنسانيّة دراسة عامّة ومفصلة وشاملة ولا سيما بعد التطورات الكبيرة التي شهدها مجتمعنا، وتركت أثراً واضحاً في تفكير الكتّاب وفلسفاتهم، انعكس على رسم الشّخصيّة وتفكيرها وسلوكها، إضافة إلى مجموعة من الدّراسات السّابقة، التي عني بعضها بدراسة المرأة في العمل الأدبي، كدراسة أروى عبيدات لصورة المرأة في الرّواية الأردنيّة من (1948- 1985م)، ودراستي أحمد الضاوي بعنوان صورة المرأة في النّص الرّوائي النسوي سميحة خريس نموذجاً، وليلى الأطرش نموذجاً، أمّا البعض الآخر فقد عني بدراسة الرّوايات، مضامينها وشخصيّاتها وزمانها ومكانها وأساليب السّرد فيها، كالرّواية في الأردن لخالد الكركي والرّواية في الأردن لإبراهيم السعافين والرّواية في الأردن في ربع قرن من 1968- 1993 لإبراهيم خليل والرّواية الجديدة في الأردن لسليمان الأزرعي وغيرها من الدّراسات التي نشرت في الكتب والصحف والمجلات الأردنية وغير الأردنيّة.

لقد حاولت في هذا البحث، أن أجتهد في بلورة الصورة الحقيقيّة، التي عرضها الكتاب للشّخصيّة الإنسانيّة، وعلاقاتها المتشابكة على الصّعيدين الواقعيّ والفنيّ، في الرّواية الأردنيّة، فإن وفقت في ذلك، فهو من رضا الله عليّ، وإن أخطأت فهو من عندي، وحسبي في ذلك أني اجتهدت، ولكل مجتهد نصيب لا يضيعه الله له.

وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الباب الأول: الشّخصيّة في الأدب

الشّخصيّة من المصطلحات الفضفاضة الّتي شغلت الدارسين، فانكبّوا على دراستها وتحليل قضاياها، وعنوا بتحديد مكوّناتها العضويّة والنفسيّة، وتبيان العوامل البيئيّة والوراثيّة المؤثرة فيها.

ولقد التفت هؤلاء إلى دور التفاعل البنّاء بين الأجهزة العضويّة والنفسيّة للفرد والعالم الخارجي المحيط به في تشكيل شخصيّة سوية فريدة، تميّز هذا الفرد عن غيره من الأفراد، فالشّخصيّة في علم النفس «بنية نشيطة موّحدة كاملة، تحقّق وحدة نسبيّة وتواصلاً مع الزّمن، لمجموع الأجهزة الّتي تأخذ في الاعتبار خصوصيّات كل فرد، وطريقته في الشعور والتّفكير والعقل والفعل في المواقف المحسوسة»[1]، وهي «المجموع الكليّ لاستعدادات الفرد العضويّة والداخليّة وميوله ونزعاته وشهواته وغرائزه، إضافة لاستعداداته وميوله المكتسبة»[2]، وهي «نوع الأنظمة الّتي يكتسبها الفرد في النشاط والاتصال الموجّه لهدف، والّتي تميّز مشاركته في العلاقات الاجتماعيّة»[3].

والشّخصيّة في علم الاجتماع، هي مجموعة العناصر والمميزات البيولوجيّة والسيكولوجيّة والاجتماعيّة، الّتي تميّز سلوك الفرد عن بقيّة الأفراد الآخرين، وتُكتسب هذه العناصر والمميزات من قبل الفرد عن طريق الوراثة أو البيئة الاجتماعيّة خلال المراحل التكوينيّة، الّتي يمرّ بها قبل تكامل شخصيّته وتبلورها[4]، أو هي تنظيم دينامي يضبط سمات الفرد ودوافعه النفسيّة والفسيولوجيّة

---

(1) فالادون، نظريات الشخصيّة، ترجمة علي المصري، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر، بيروت، 1990، ص6.

(2) ميخائيل أسعد، شخصيتي كيف أعرفها، ط3، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1987، ص25.

(3) أ.ف. تيروفسكي، م.ج. ياروسفسكي، معجم علم النفس المعاصر، دار العالم الجديدة، القاهرة، 1996، ص218.

(4) انظر: دنكل ميشيل، معجم علم الاجتماع، دار الرشيد، بغداد، 1980، ص227.

والجسميّة، ويكفل له توافقه وحياته في المجتمع، ولكلّ شخص تنظيمه الّذي يميّزه عن غيره[5].

لقد شغلت الشخصيّة الأدباء أيضاً، فأكدوا على أهميّة الكشف عن دوافعها وخباياها وشغلوا بها، لكونها عنصراً مهمّاً ذا مكانة متميّزة في تأسيس العمل القصصي وبنائه، فالشّخصيّة «مدار المعاني الإنسانيّة، ومحور الأفكار والآراء العامّة»[1].

ترد الشّخصيّة في أصلها الاشتقاقي إلى مادّة (شَخَصَ)، ويراد بها معانٍ متعددة منها:

جميع الحقوق محفوظة

«جماعة شخص الإنسان وغيره، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص. والشّخص كل جسم له ارتفاع وظهور»[2].

إنّ المعنى اللغويّ لهذه المادة يهتم بوصف الجزء الخارجي من الشّخصيّة، الّذي يحتكم إليه كثير من النّاس في إطلاقهم للأحكام ورؤيتهم للآخرين، دون العودة والاحتكام إلى الأبعاد الأخرى – العضويّة والنفسيّة-، الّتي تسهم في بلورة شخصيّة الفرد باعتباره كلاً متكاملاً مميزاً عن غيره من الأفراد.

ويضيف المعجم الوسيط للشخصيّة معنى آخر، يعود بنا إلى التّعريفات، الّتي اقترحها علماء النّفس للشخصيّة. وهو «صفات تميّز الشخص عن غيره، يقال: فلان ذو شخصيّة قوية متميّزة وإرادة وكيان مستقل»[3].

---

[5] انظر: فرج عبد القادر طه، أضواء على سيكولوجيّة الشّخصيّة العربيّة، الثقافة النفسيّة، ع9، م3، بيروت، 1992، ص51.

[1] محمد غنيمي هلال، النّقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، 1973، ص562.

[2] ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة شخص، ط2، مكتب تحقيق التراث ومؤسسة التاريخ العربي، 1993م.

[3] إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، مادة شخص، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960م.

والشّخصيّة اصطلاحاً «أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الّذين تدور حولهم أحداث القصّة أو المسرحيّة»[4].

ويصرفنا هذا المعنى الاصطلاحي إلى التّفكير بقضيّة معقّدة تتعلق بحقيقة الشّخصيّة وأصولها في الأدب، فقد يسأل سائل عن واقعيّة الشّخصيّة الأدبيّة: هل الشّخصيّة الأدبيّة حقيقيّة واقعيّة تتكون من لحم ودم أم خياليّة لا تشبه الكائن الحيّ؟ وإلى أي بيئة تنتمي هذه الشّخصيّة؟ أتنتمي إلى عالم الخيال دون العالم الخارجي المحيط بها أم أنها تحاول التشبّث بكليهما؟.

إنّ البحث عن إجابة محدّدة لهذه الأسئلة لا تتيسّر للقارىء بسهولة، فقد اختلف الدارسون والنقّاد في درجات إيمانهم بواقعيّة الشّخصيّة وحياتها، وانقسموا في اختياراتهم إلى تيّارات متباينة: فالواقعيون التقليديون كانوا يرون في الشّخصيّة الأدبية كائناً حقيقيّاً يتكوّن من لحم ودم، بحيث يستحيل على النّاظر إلى الشّخصيّة، أن يفصل بينها وبين الكائن الإنسانيّ الواقعي، وينطلق هؤلاء في نظرتهم هذه من إيمانهم العميق بضرورة محاكاة الأدب للواقع الإنسانيّ المحيط بكل ما فيه، محاكاة تقوم على المطابقة التّامّة بين زمني السّرد/ الحكاية[1].

وتعدّ الشّخصيّات الأدبيّة عند بعض الكتّاب أمثال (ميلان كونديرا) و(رولان بارت) كائنات ورقيّة متخيّلة لا تشبه الكائن الحيّ في شيء[2]، إذ إنّ من المستحيل المطابقة بين هذه الشّخصيّة الأدبيّة والكائن الحيّ في أيّ حال من

---

[4] مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1979، ص117.

[1] انظر: آمنة يوسف، تقنيّات السّرد، دار الحوار، اللاذقيّة، 1997، ص25.

[2] انظر: رولان بارت، مدخل إلى التّحليل البنيوي، ترجمة منذر عياش، مركز الإنماء الحضاري، 1993، ص72.

الأحوال، فميلان كونديرا يقول «الشّخصيّة الروائيّة ليست شبيهة بالكائن الحيّ، إنها كائن متخيّل، أنا تجريبيّة»[3].

وتتأرجح الشّخصيّة في التّيّار الثّالث بين الخيال والواقع، فهي عند أصحابه ومنهم (نيللي كورمو) كائن خيالي يوحي بالحياة والواقع، وخلق يكسبه المؤلف مظهراً ماديّاً، ووزناً من لحم ودم، ولوناً للسحنة، ومرونة للحركة، وشكلاً للوجه المعبّر الحيّ، فتبدو الشّخصيّة بذلك حيّة حقيقيّة لها تأثير عميق في قارئها، وتؤكد (كورمو) أننا لا نستطيع أن نتصوّر عمليّة خلق تقوم كلّها على العدم، فالواقع لا بدّ أن يقدّم دائماً العناصر الأولى للعمل الأدبي[1]، من ثم يعمل الكاتب على اختيار ما يريد تصويره من الحياة، ويطرح جانباً كلّ ما هو عرضي لا فائدة منه، ويعيد خلق اختياراته بأوضاع جديدة لم تكن معروفة في الحياة، أوضاع تتطوّر فيها الأشياء بموجب قانونها الخاصّ لتعبّر عن نفسها دون عائق[2].

وما إحساس القارىء بمعرفة الشّخصيّة الّتي يقرأ عنها وتقمّصه لها وتفاعله معها في كثير من الأحيان إلاّ دليل تنضوي إليه بشائر إثرائها بالحياة، واستلهامها من الواقع[3]؛ فخلقها وبعثها الخيالي لا يعني فصلها فصلاً تامّاً عن الحياة، فالرواية هي الشّكل الأدبيّ، الّذي يكشف عن تعقيدات الحياة وصعوباتها،

---

[3] ميلان كونديرا، فنّ الرّواية، ترجمة أمل منصور، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999، ص40.

[1] انظر: نيللي كورمو، فيزيولوجيّة القصّة، الآداب، ع1، بيروت، 1954، ص ص73، 74، 77.

[2] انظر: بيرسي لوبوك، صنعة الرّواية، ط2، دار مجدلاوي، عمان، 2000، ص28.

[3] انظر: عبد الملك مرتاض، في نظريّة الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص90؛
محمد نجم، فن القصّة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1956، ص53.

ويبيّن الاهتمامات المعيشيّة في مجتمع ما، وهي أفضل أداة يمكنها أن ترشدنا إلى نواحي التنوّع والتناقض في الطبيعة الإنسانيّة[4].

وبناءً على التّيار الأخير – تيّار المراوحة بين واقعيّة الشّخصيّة وخيالها – الّذي نجد له أصداء في كتابات عربيّة متعدّدة[5]، فإنّ الكاتب يخلق شخصيّاته ويلتقطها من واقعه الّذي يشكّل المادّة الخام لذلك الخلق، ومن ملاحظاته المباشرة في الحياة المحيطة به، ولولا عثور الكاتب على مثل هذه الشّخصيّات، لما استطاع أن يقدّم لقرّائه شخصيّات حيّة، وقد يسمع الكاتب عن الشّخصيّة الّتي يصوّرها في أحد مجالسه أو يقرأ عنها في صحيفة من الصحف أو كتاب من الكتب، وتكون الشّخصيّة وليدة الخيال المحض عند أصحاب التيّار الثّاني، الّذين يَرَون في الشّخصيات كائنات ورقيّة لا تشبه الكائنات الحيّة في شيء[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والكاتب حين يرسم شخصيّاته لا يرسمها رسماً واقعيّاً دقيقاً، بل يعيد صياغتها وتشكيلها ومزجها بالاعتماد على صور الحياة المختلفة، فقد «يرسم بطلة قصّته مثلاً ولها مشية واحدة عرفها، وضحكة أخرى، وطريقة امرأة ثالثة في الكلام، وعطر رابعة، لتكون شخصيّة جديدة مستوحاة من الواقع وإن لم يكن لها وجود كلّي في الواقع»[2]؛ أيّ أنّ الكاتب ينتزع شخصيّته من مجموعة من

---

[4] انظر: روجر آلن، الرواية العربية، ترجمة حصة منيف، المؤسسة العربية، بيروت، 1986، ص21.

[5] انظر: أحمد أمين، النقد الأدبي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص122؛
محمد يوسف نجم، فن القصة، ص90؛
محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ص562- 564؛
محمود السمرة، في النقد الأدبي، ط1، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974، ص ص17- 21؛
عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، مكتبة الشباب، المنيرة، 1982، ص113.

[1] انظر: محمد نجم، فن القصة، ص21؛ محمود السمرة، في النقد الأدبي، ص21.

[2] انظر: محمود السمرة، في النقد الأدبي، ص21.

الشّخصيّات سواء أكانت هذه الشّخصيّات شخصيّات حقيقيّة تعيش في عالمه، أم شخصيّات خياليّة تعيش عالماً خاصّاً بها.

ويقوم الكاتب بتحديد معالم شخصيّاته وملامحها المميّزة من خلال رسم أبعادها التالية:

أولاً: البُعد الخارجيّ: ويشمل المظهر العامّ للشخصيّة، كوصف طولها وقصرها وحجمها ولون بشرتها وسلوكها الخارجي··· أي ما يكسبها ثقلاً من اللحم والدم[3]، ويسهم هذا البُعد في تبيان السّمات العامّة الظاهريّة الّتي تتراءى بها الشّخصيّة أمام النّاس[4].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ثانياً: البُعد الدّاخلي: ويشمل الجوانب الفكريّة والنفسيّة الباطنيّة والسلوك الناتج عن تفاعلها مع العالم الخارجيّ، فيعمد الكاتب إلى تحليل هذه الجوانب وتفسيرها بالاعتماد على الوسيلتين التاليتين: تيّار الوعي والمونولوج الدّاخلي، كما يشمل البُعد الداخليّ التّركيز على الجانب الخفيّ من حياة الشّخصيّة، فلكل إنسان شخصيّة عامّة وأخرى خاصّة سريّة خفيّة، لا يظهرها إلاّ حين يخلو بنفسه أو يكون بين القلّة من خاصته، فيمارس أفعالاً وأقوالاً، تختلف اختلافاً كليّاً عن الأفعال الّتي يمارسها بشخصيّته العامّة[1].

ثالثاً: البُعد الاجتماعي: ويشمل «انتماء الشّخصيّة إلى فئة معيّنة من النّاس أو مكان محدّد كالريف أو المدينة أو طبقة اجتماعيّة بحيث ينعكس هذا الانتماء على حركتها ولغتها وسلوكها وطموحها»[2] ونظرتها إلى العالم، تلك

---

[3] انظر: المرجع نفسه، ص21.

[4] انظر: محمود ذهني، تذوّق الأدب طرقه ووسائله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص147.

[1] انظر: محمود السمرة، في النقد الأدبي، ص24؛ محمود ذهني، تذوق الأدب، ص147؛
نصر الدين محمد، الشّخصيّة في العمل الروائي، الفيصل الثقافية، ع37، 1980، ص22.

[2] فريال سماحة، الشّخصيّة في روايات حنّا مينة، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 1999، ص30.

النّظـرة الّـتي يعدها لوكاتش العنصر الأهمّ والشّكل الأرقى للوعي، فـأي وصـف لا يشتمل على نظرة شخصيّات العمـل الأدبـي إلـى البيئـة المحيطـة لا يمكن أن يكـون تامّاً[3].

إنّ الأبعـاد السّـابقة تـرتبط ارتباطـاً وثيقـاً، فمظهـر الشّخصـيّة وسـلوكها وأفكارها وفلسفتها ومكانتها الاجتماعيّة عوامل تؤثر سلباً أو إيجاباً على نفسيّتها، وبالتالي على الأفعال الّتي تصدر عنها سواء أكانت هذه الأفعال إراديّة أم غير إراديّة.

والكاتب ينجح في بناء شخصيّاته بناءً متكاملاً، إذا قام باللجوء إلى إحدى طريقتين أو كلتيهما، تُعرف إحداهما بالطريقة المباشرة أو التحليليّة أو التفسيريّة وفيها يصوّر الروائي شخصيّاته من الخارج ويحلّل عواطفها ودوافعها وأفكارها وإحساساتها، وكثيراً ما يصدر أحكامه عليها[4].

وأمّـا الطّريقـة الثّانيـة، فتعـرف بالطّريقـة غيـر المباشـرة أو التمثيليّـة أو الدراميّـة، وفيهـا يقـف المؤلـف علـى الحيـاد، ويسـمح لشخصـيّاته أن تكشـف عـن نفسـها بواسـطة الكـلام والحركـة، ويجعلهـا تعبّـر عـن نفسـها بمـا يضـعه فـي أفـواه الشّخصيّات الأخرى من تعليقات عليها وأحكام، والطريقة الثانية تمكّن القارىء من المساهمة في الحكم على الشّخصيّات بدلاً من الأحكام الجاهزة الّتي يفرضها المؤلف عليه[1].

---

[3] انظر: جورج لوكاتش، دراسات في الواقعيّة، ترجمة نايف بلوز، ط2، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972، ص23.

[4] انظر: أحمد أمين، النقد الأدبي، ص123؛

أولتبينريد، الوجيز في دراسة القصص، ترجمة عبد الجبار المطلبي، دائرة الشؤون الثقافيـة، بغـداد، 1983، ص ص132- 133.

[1] المرجعان السابقان.

إذن يختلف الروائيون في رسم شخصيّاتهم تبعاً للطريقة الّتي يؤثرون استخدامها في التّعبير عن تلك الشّخصيّات، فمنهم من يمنح نفسه المسؤوليّة الكاملة عن شخصيّاته، فيتحكم في تصرّفاتها وفي كل حركة تتحرّكها، ومنهم من يترك الحريّة المطلقة لشخصيّاته، فتأتي غريبة في تصرّفاتها يستغربها الكاتب نفسه كما يستغربها النّاس؛ لدرجة أنّها تضبطه بدلاً من أن يضبطها، وتأخذه حيث تريد لا حيث يريد[2].

ولـمّا اختلف الروائيون في مسؤولياتهم الموجّهة نحو شخصيّاتهم، تنوّعت نظراتهم إليها، فمنهم من ينظر إليها نظرة تقديس وإعجاب، فيسمو بها ويمجّد أفكارها وأحلامها وأمنياتها ويصوّرها إيجابيّة خيّرة فعّالة، ويضعها موضعاً قريباً من كل نفس، حتّى إنّ القارىء قد يتمنّى أن يكون مكانها أو يصادقها أو يُسِر إليها لشدّة قربها منه، ومنهم من يكره شخصيّاته وينظر إليها نظرة احتقار وإذلال، فيقصيها ويثقل كاهلها بالحزن والألم والمصائب والمظالم ويصوّرها دنيّة منفرة بغية استفزاز مشاعر القارىء الّذي قد يتعظ بها[3].

ومن الكتّاب من ينظر إلى الشّخصيّات الأدبيّة الّتي يرسمها نظرة محايدة، وهذه النّظرة نادى بها (فلوبير) و(تشيخوف)، ففي فلسفتهما أنه «لا ينبغي للفنّان أن يكون الحكم بالنسبة لشخصيّاته ولما تقوله، وإنما مجرّد شاهد نزيه»[1]، ليتمكّن من تقديم أفعال شخصيّاته وأزمانها وانفعالاتها تقديماً موضوعيّاً صادقاً، فالشّخصيّة تقوم على المزج بين جانبين متباينين؛ هما الخير والشّر، الجمال والقبح، الإيمان والشّكّ، التفاؤل والتشاؤم، الفرح والحزن، القوّة والضعف...، لذا

---

[2] انظر: أحمد أمين، النقد الأدبي، ص122.

[3] محمد نجم، فن القصة، ص95.

[1] نيكولاي أناستاسييف، شخصيّة المؤلّف في أدب القرن العشرين، ترجمة بنعيسى بوحمالة، فصول، م10، ع1، القاهرة، 1991م، ص239.

يقود بُغْض الشّخصيّة واحتقارها الكاتب إلى التّركيز على أحد جوانبها دون الاهتمام بجوانبها الأخرى، وكذا حبّها وتقديسها، بينما حياده يمنعه من الالتزام بأحد جوانبها دون الآخر، فينتجها مليئة بالمشاعر المتناقضة والمتماثلة مع التّركيز على إظهار سمات تلتصق بها في مواقف مختلفة[2].

وقد تنبّه محمود تيمور إلى هذه القاعدة في قوله: «أكذب ما يكذب به القاص على شخصيّاته أن يُلزم كلاً منها وصفاً ثابتاً لا تعدوه...، فالمرء لا يكون خيراً محضاً، ولا شرّاً محضاً، فهو يستجيب للمؤثرات والملابسات كالريشة في مهبّ النزعات والنزوات، حيناً يخضع لها وحيناً يثور عليها، فإن تغلّبت عليه صفة من الصّفات، فلزمته وثبتت له، فلا بدّ أن يكون لذلك مسوغ يقتضي هذا اللزوم والثبات، ولا بدّ أن يكون هذا المسوغ طبيعيّاً تطمئن إليه النّفس، لا تكلف فيه ولا شطط ولا اعتساف»[3].

وعلم النّفس أيضاً لا يقرّ فكرة تصنيف الناس إلى صنفين، بل يؤمن بأنّ أصناف النّاس قد تكون بعدد النّاس، وأنّ كل شخص يمكن أن يكون نوعاً مختلفاً من الأشخاص في أوقات مختلفة، فيجمع بين الخير والشّرّ، والقسوة واللين، والجمال والقُبح، والتمرّد والتبعيّة في الوقت نفسه[4].

غير أنّ تلك النّظرات: التقديس، الحقد، الحياد، لا تقتصر على الكاتب فقط، بل تتعداه إلى القارىء الذي يميل بطبيعته إلى تحليل الشّخصيّات ودراستها وفهمها وتحديد مواقفها والتّعاطف معها والإحساس بها إحساساً صادقاً يبعده عن ظلمها والقسوة عليها، فنظرته المحايدة مثلاً تمنعه من وصف الشّخصيّة الّتي

---

[2] انظر: محمد نجم، فن القصة، ص95.

[3] محمود تيمور، دراسات في القصّة والمسرح، مكتبة الآداب، الجماميز، ص92.

[4] انظر بول تشانس، الشّخصيّة الإنسانيّة لحمتها وسداها، ترجمة محمد البدوي، الثّقافة النفسيّة، م2، ع5، بيروت، 1991م، ص91.

يقرأ عنها بصفات لا تستحقّها، وإعجابه بشخصيّة ما واشمئزازه من أخرى يوجب عليه أن يكون ذهنيّاً عاقلاً متوسطاً رزيناً في تعامله معها، مهما كانت غريبة عجيبة مخالفة للعرف والواقع[1]، فقد تكون الشّخصيّة منفّرة لكنها معبّرة تخدم الهدف المراد من وجودها في النّصّ.

وللتعرّف إلى الشّخصيّة والتقرّب منها والتوصّل إلى تصنيفها يقترح (فيليب هامون) مقياسين أساسيين هما: المقياس الكميّ: ويختصّ بكميّة المعلومات المتواترة المعطاة صراحةً حول الشّخصيّة، والمقياس النوعي: الّذي يشمل الاهتمام بمصدر المعلومات المعطاة حول الشّخصيّة، أيقدمها الروائي أم الشّخصيّة نفسها، أمّ الشّخصيّات الأخرى المساهمة في العمل الأدبي[2].

والشّخصيّات الروائيّة أنواع يوزّعها الكاتب وفق تسلسل معيّن، يمثّل الوسيلة الجوهريّة في تقسيمه لها من بداية العمل الروائي حتّى نهايته وبالعكس، وبالتالي يمثل الوسيلة الجوهريّة في تأليفه لذلك العمل، فالكاتب يمنح كلّ شخصيّة من شخصيّاته رتبة معيّنة بناءً على وظيفتها الّتي تؤديها في النّصّ الروائي، فيجعلها شخصيّات رئيسة أو ثانويّة أو شخصيّات خالية من الاعتبار[3].

وقبل أن نُفَصِّل القول في هذه الأنواع، يجب علينا أن نتحدّث عن طبيعة العلاقة بين الشّخصيّات والأحداث، لما لهذه العلاقة من أهميّة في تحديد رتبة الشّخصيّات ووظيفتها، فوظيفة الشّخصيّة ومكانتها في النّص الروائي تتحدد تبعاً

---

[1] انظر: محمد نجم، فن القصة، ص51؛
عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976، ص192؛
البيرس، تاريخ الرّواية الحديثة، ترجمة جورج سالم، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1967، ص139.

[2] نقلاً عن حسن بحراوي، بنية الشّكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص224.

[3] انظر: لوكاتش، دراسات في الواقعيّة، ص29؛ عبد الملك مرتاض، في نظرية الأدب، ص99.

لتفاعلها مع الأحداث، ووفقاً لعلاقاتها مع الشخصيّات الأخرى، ولمعرفة العلاقة بين الشّخصيّات والأحداث نستعرض الأنواع الرّوائيّة التالية:

أولاً: رواية الحدث: وهي أبسط أنواع الرّوايات وأكثرها انتشاراً، ويظهر لنا من المصطلح الّذي يطلق عليها أنّ عناية الكاتب تسلّط فيها على الأحداث المدهشة غير المألوفة الّتي تسلك في وقوعها نظاماً معيّناً، يهدف إلى إثارة انفعالات مختلفة كالفزع والخوف والتوقّع والإمتاع، وبالرغم من اهتمام الكاتب بالحدث فإنّه لا يستطيع إغفال الشّخصيّات المنفّذة للأحداث والمساعدة على تعقّدها. وتكون هذه الشّخصيّات في هذا النوع من الروايات متأثرة بالأحداث، خاضعة لها[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي رواية الحدث «لا ترتبط الحوادث ارتباطاً وثيقاً بالأمكنة والمواضع الّتي تجري فيها، فمن الجائز أن تقع على وجه الأرض، أو تحلّق إلى عنان السماء، وقد تحدث في بيئة متحضّرة، أو بيئة متوحّشة، فالأمر سواء في نظر الكاتب، وتتوالى الحوادث معتمدة على التّشويق والمماطلة، لكي لا يفتر نشاط القارىء في تتبعها والعدو وراءها، فتفنى متعته ويخمد حماسه. وأكثر القصص البوليسيّة وقصص المغامرات والرّحلات الغريبة ينتمي إلى هذا النوع»[2].

ثانياً: رواية الشّخصيّة: لا ريب في أنّ رواية الشّخصيّة تخالف في خصائصها ما تتميّز به رواية الحدث، «فليس فيها ذلك الشّخص الّذي يندفع في تهوّر إلى الحدث، ولا أيّة حبكة بارزة أكثر ممّا ينبغي، وليس فيها حدث حاسم تشارك كلّ عناصرها في صنعه، ولا النهاية الّتي يتحرّك نحوها كل شيء فيها، والشّخصيّات فيها لا تُفهم على أنها جزء من الحبكة، بل لها على العكس من ذلك

---

[1] انظر ادوين موير، بناء الرواية، ترجمة إبراهيم الصيرفي، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ص ص14-16.

[2] محمد نجم، فن القصة، ص144.

وجود مستقلّ، و الحدث تابع لها، فبينما يكون للحوادث في رواية الحدث نتائج محدودة، نجد هنا أنّ المواقف عامّة أو نمطيّة مبنية أساساً لإمدادنا بمزيد من المعرفة عن الشّخصيّات أو لتقديم شخصيّات جديدة»[1] دون أن تضطر للكشف عن صفات جديدة لتلك الشّخصيّات، بل تقتصر وظيفتها على زيادة معرفتنا بالصفات الأصليّة الثابتة التي تصبغ بها الشّخصيّات من بداية النّصّ حتى نهايته[2].

ثالثاً: الرواية الفنيّة: وقوامها المساواة بين الشّخصيّات والأحداث، فاهتمام الكاتب بالشّخصيّات لا يحول دون اهتمامه بالحدث، وبالتالي اهتمامه بالحدث لا يعني بالضرورة إهماله الشّخصيّات التي يرسمها. وفي الرواية التمثيليّة تتفاعل الأحداث والشّخصيّات؛ فالأحداث تساعد على تطوير الشّخصيّات وإنمائها من الخارج والدّاخل، فتبرز لنا الشّخصيّة الإنسانيّة متكاملة ينسجم ظاهرها مع باطنها، في حين تساعد الشّخصيّات على تحريك الأحداث والكشف عنها والتأثير فيها[3].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يتبيّن لنا أنّ الشّخصيّة والحدث عنصران متلازمان يرتبطان بصلة يصعب حلّها، فحضور أحدهما يتطلب حضور الآخر، إلاّ أنّ ذلك لا يمنع من أن يكون أحدهما هو المسيطر في إيضاح الفلسفة التي يتبناها النّصّ، فإذا ملّك الكاتب الشّخصيّات زمام هذه السيطرة أتت الأحداث منقادة لها، بينما تستكين الشّخصيّات للأحداث إذا تسلّمت الأخيرة قوّة تحريك النّص الروائي والأهميّة القصوى فيه، ولكن إذا مزج الكاتب بين الطّرفين بات كل منهما وسيلة للتأثّر والتأثير في كشف ما وراء النّصّ من فلسفات وقضايا وآراء يهدف الكاتب إلى

---

[1] ادوين موير، بناء الرواية، ص18.

[2] انظر المرجع نفسه، ص19.

[3] انظر: محمد نجم، فن القصة، ص150.

بثّها ونشرها أمام أعين القرّاء، وقد اتفق الكثير من الدارسين أمثال (هنري جيمس) و(فلاديميربروب) و(والاس مارتن) على أنّه من المستحيل فصل الوظائف والشّخصيّات في النّص الروائي لأنهما في علاقة متبادلة دوماً بحيث يتحكّم أحدهما في الآخر[1].

إنّ الشّخصيّة الأكثر التصاقاً بالأحداث وبالشّخصيّات الأخرى تسمّى الشّخصيّة الرئيسة؛ لقدرتها على تحريك الأحداث وتغييرها وقلبها في كثير من الأحيان، وقد كانت تمنح الشّخصيّات الرئيسة قدرات وإمكانات تغيّرت على مدار العصور المختلفة الّتي مرّت بها الرواية، فقد كانت الشّخصيّات الرئيسة – البطل والبطل المضاد – في النّص مثاليّة خارقة تتخطّى كل الصّعاب، وتحلّ المستعصي من المشكلات وتحقّق المعجزات وتنتصر على الأقدار، وتغيّر الأحداث كيفما تشاء، من ثمّ صارت هذه الشّخصيّات أناساً عاديين يجري عليهم ما يجري على كلّ النّاس، يعرضهم الكاتب في شكّهم وإيمانهم، وهزيمتهم وانتصارهم، وحيرتهم ويقينهم[2]، غير أنّ هذه الشّخصيّات أصبحت فيما بعد شخصيّات عامّة شبحيّة مفتّتة يائسة تحاول توحيد ذاتها المشتّتة في أكثر من أنا، وكأنها جماعة تتصارع معاً، أو كأنها مكان تصطدم فيه الأحداث والقوى القهريّة، كل ذلك الانقلاب الّذي حصل لقدراتها كان نتيجة للتقدّم العلميّ والتكنولوجي في عصرنا الحديث[3].

---

[1] انظر: والاس مارتن، نظريّات السّرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، ص152.

[2] انظر: محمود السمرة، في النقد الأدبي، ص25؛

مصري عبد الحميد حنورة، الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص28.

[3] انظر: نبيلة إبراهيم، فنّ القصّ، في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، ص173.

وفي أحيان كثيرة نجد أنّ الكاتب لا يخصّ بعنايته شخصيّة واحدة لتكون هي المحوّر الأساسي في الرواية، وإنما يقدّم عدّة شخصيّات يوليها عناية متناغمة، فنراه يصوّر معاناتها وأشواقها وقضاياها التي تناضل من أجلها، دون التّركيز على شخصيّة بعينها، بحيث تمثّل جميعها في النهاية طبقة اجتماعيّة لها فكرها العامّ واتجاهها المميّز[1]، فهي شخصيّات تتفرّد «بوعيها لمصيرها وقدرتها على رفع العنصر الشّخصي العرضي إلى مستوى معيّن ملموس للعموميّة»[2]، وتمتاز هذه الشّخصيّات بجاذبيتها وقدرتها على لفت أنظار القارىء نحوها، فهي العامل الأوّل والعنصر الأساسي في تطوّر الأحداث المحوريّة والثّانويّة التي تدور حولها الرّواية.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

وبما أنّ الشّخصيّات الرئيسة شخصيّات يبتكرها الكاتب لتأتي حالمة طموحاً متأملة مليئة بالأماني والآمال، تعيش صراعات بين الخير والشّرّ، والحقيقة والوهم، فإنها تحتاج إلى من يساعدها في تحقيق وجودها وإبراز نظرتها إلى العالم، ولا يتمّ لها ذلك إلاّ بمساعدة شخصيّات ثانويّة يخلقها الكاتب لتقوم بإدارة بعض الأحداث الجانبيّة اللازمة لتسيير الحدث الرئيس وإظهار الشّخصيّات الرئيسة الأولى – الأبطال – وتوضيح معالمها وسماتها، سواء عن طريق الكشف عنها مباشرة أو من خلال معارضتها أو إظهار نقيضها[3].

وكون الشّخصيّات ثانويّة لا يشكّل سبباً لإهمالها وتركها، فكثيراً ما يوفّق الكاتب في تقديمها بصورة جذّابة مقبولة متدفّقة بالحياة، لأنّه اقتبس هذه الشّخصيّة من الحياة رأساً دون أن يعنى بتهذيبها أو صقلها أو إعادة صياغتها أو الإضافة إليها، لتأتي صادقة حيّة لا ينساها القارىء لإحساسه العميق بأنّها تشبه

---

[1] انظر: محمود السمرة، في النقد الأدبي، ص25؛ عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، ص119.

[2] لوكاتش، دراسات في الواقعيّة، ص29.

[3] انظر: محمود ذهني، تذوق الأدب، ص154.

بعض أصدقائه ومعارفه الّذين يقابلهم كل يوم، ويعدّ الصّديق المؤتمن الّذي تسرّ إليه الشّخصيّات الرئيسة بآلامها وأحلامها مثالاً دالاً على هذا النّوع من الشّخصيّات[4].

ومن الشّخصيّات الّتي تضفي التّكامل على البناء الروائي، الشّخصيّات الخالية من الاعتبار، وهي شخصيّات يأتي بها الكاتب مبهمة بلا أسماء لها أو صفات أو قسمات خاصّة بها، كما أنّها لا تمثّل علاقات فاعلة في العمل الأدبي، فالمدعوون والمعزون والخدم في أفراح العالم الرّوائي وأتراحه شخصيّات يبتكرها الكاتب في الرّواية، لتمثّل ديكورات وزينة لا يُشار إليها إلاّ بإشارة سريعة عابرة لإكمال عالم الشّخصيّات -الرئيسة والثانويّة- الّذي يحاول الكاتب أن يجعله شبيهاً بالعالم الحقيقيّ الّذي يعيش فيه[1].

غير أنّ الكتّاب لم يكتفوا بتصنيف الشّخصيّات إلى شخصيّات رئيسة وثانويّة بل عملوا على وضع تصانيف أخرى، فها هو (فورستر) يرسي للشّخصيّات الروائيّة قواعد تصنيف أخرى اعتمد فيها على كيفيّة تطوّر بناء الشّخصّة في العمل الأدبي، لكن النقّاد اختلفوا في ترجمة مصطلحاته[2]، الّتي ظلّت تحمل المعاني نفسها، فمعنى الثبات وديمومة الحال الواحدة والبُعد عن التّطور بات ملازماً للشّخصيّة المسطّحة، في حين لازم التّطور والنمو والتناقض الشّخصيّة النامية.

وقد قسّم فورستر الشّخصيّات إلى شخصيّات مسطّحة وأخرى معقدة، والشّخصيّات المسطّحة أو الثابتة أو ذات المستوى الواحد هي الشّخصيّات البسيطة في صراعها غير المعقّدة، والّتي ترسم في أنقى أحوالها وتدور حول

---

[4] انظر: محمد نجم، فن القصة، ص ص52- 53؛ أولتبينريد، الوجيز في دراسة القصص، ص140.

[1] انظر: يمنى العيد، تقنيّات السّرد الرّوائي، دار الفارابي للنشر، بيروت، 1990، ص55.

[2] انظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص10.

فكرة واحدة من بداية النّصّ حتّى نهايته، فالكاتب يقدّمها لنا دفعة واحدة حين تظهر جاهزةً بصفاتها وسماتها ممّا يتيسّر للقارىء توضيحها بجملة واحدة[3].

وقد قدّم فورستر لهذه الشّخصيّات فوائد تتلخّص في سهولة تمييزها عند ظهورها، حيث تميّزها عاطفة القارىء لا العين الباصرة الّتي تلاحظ تكرار اسم معيّن، وهي مفيدة للكاتب الّذي يتدبّر وجودها بسهولة، لأنّها لا تحتاج إلى إعادة تقديم ولا تفرّ من بين يديّ الكاتب ولا تتطوّر لسيطرته عليها، ومن فوائدها سرعة تذكّرها بالنسبة إلى القارىء، فهي ثابتة لا تتبدّل نتيجة للظروف المختلفة الّتي تمرّ بها الشّخصيّات في العمل الأدبي[1].

أمّا الشّخصيّات المعقدة، فيطلق عليها الشّخصيّات النامية أو المدورة أو المعقدة، وهذه الشّخصيّات هي شخصيّات تخالف الشّخصيّات المسطّحة في خصائصها وبنائها الّذي يتّصف بالتّعقيد والنمو والتطوّر والتّفاعل المؤثّر بالأحداث والمتأثّر بها، ولا تُحَصّل هذه الخصائص دفعة واحدة بل يتم تقديمها وتطويرها تدريجيّاً وببطء، فكلما نمت الرّواية نمت الشّخصيّات المعقدة وكشفت القناع عن نفسها مظهرة جوانبها الخفيّة وعواطفها المتضاربة ومواقفها من قضايا الحياة والإنسانيّة عامّة وموضوع الرّواية خاصّة[2].

وقد رأى (فورستر) أنّ اختبار شخصيّة معقدة «يكمن في اختبار قدرتها على الإدهاش والإقناع، فإن لم تُدْهِش بتاتاً فهي مسطّحة، وإن لم تقنع فهي مسطّحة تتظاهر بأنّها مغلقة»[3]. غير أنّ القول بعَدّ المفاجأة والإقناع وسيلة

---

[3] انظر: فورستر، أركان الرواية، ترجمة موسى عاصي، ط1، دار جروس بروس، طرابلس، 1994، ص54؛
محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي، ص565؛
فريال سماحة، الشخصية في روايات حنا مينة، المؤسسة العربية، بيروت، 1999،، ص25.

[1] انظر: فورستر، أركان الرواية، ص54.

[2] انظر: عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، ص16.

[3] فورستر، أركان الرواية، ص61.

ناجحة في التمييز بين الشّخصيّات النامية والشّخصيّات المسطّحة لم يلق إعجاباً من جميع النقّاد، فتودوروف لاحظ أنّ هذا التّحليل الّذي يعطيه فورستر للشّخصيّة، يحيل إلى فهم القارىء العادي أكثر ممّا يحيلنا إلى فهم القارىء الحاذق الّذي لا يمكن مفاجأته بسهولة، ويرى (تودوروف) أنّه من الأفضل أن نحدّد الشّخصيّات المعقدة بكونها تتوفّر على أوصاف متناقضة، وفي هذه الحالة تصبح شبيهة بالشّخصيّات الديناميّة[1]. ويتّفق (ميشال زيرافا) مع تودوروف في ذلك، حيث قال الشّخصيّات المعقدة «هي تلك الّتي تشكّل عالماً شاملاً ومعقّداً تنمو داخله القصّة وتكون في معظم الأحيان ذات مظاهر متناقضة، وهذا لا يمنعها من القيام بأدوار حاسمة في بعض الأحيان»[2].

وأمّا (أدوين موير) فيصفها بقوله «إنّها نقيض الشّخصيّة أسيرة العادة، إنّها الاستثناء الدائم، إنّها تحطّم العادة، أو تتحطّم من أجلها العادة، إنّها تكشف حقيقة ذاتها، أو هي في عبارة أخرى تنمو، إنّها تحيل الحقيقة إلى دراما، بينما لا تفعل الشّخصيّة المسطّحة ذلك، إلاّ بطبيعتها المفتعلة، ولهذا فإنّ كلام الشّخصيّة الدراميّة – النامية – حقيقي فعلاً وكلام الشّخصيّة المسطّحة مظهري أو رمزي يكسبها قدرة على التّأثير غير الآلي والرؤية الإنسانيّة الضحلة»[3].

وللكاتب في تصوير الشّخصيّات النامية وخلقها طريقتان[4]:

أولاهما: أن تكون الشّخصيّة منطقيّة منسجمة مع نفسها، أيّ أنّ تصرفاتها هي نتيجة واضحة لصفاتها، وهذا هو الاتجاه الّذي سار فيه الكتّاب الواقعيون وعلى رأسهم (بلزاك)... .

---

[1] انظر: حسن بحراوي، بنية الشّكل الرّوائي، ص215.

[2] المرجع نفسه، ص216.

[3] انظر: ادوين موير، بناء الرّواية، ص139- 140.

[4] انظر: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي، ص567؛ محمود السمرة، في النقد الأدبي، ص24.

ثانيهما: أن تكون الشّخصيّة غير منطقيّة (متناقضة)؛ أي أنّ تصرفاتها لا تنطبق على ما نعرفه عنها. وقد سنّ (دستوفسكي) هذه الطّريقة لمن تأثّروا به من كتّاب القصّة في أوروبا. ففي شخصيّاته يبلغ التّصوير النفسيّ أقصى درجات التّعقيد، بحيث يتعذّر الحكم على الشّخصيّات إذا أخضعت دوافعها النفسيّة لمنطق معيّن، إذ يتجاوز الكاتب فيها – في آن واحد – ما هو جليل وسام وما هو دنيء حقير، وتقترن فيها العواطف المتضادة، فيستحيل التمييز بين خطوطها المتشابكة.

والشّخصيّة تحظى بالفرديّة إذا كانت «تمثّل فرداً في خصائصه وسماته الشّكليّة والنفسيّة وسلوكه النمطي في حياته الخاصّة والعامّة بحيث لا ترقى إلى تمثيل طبقة اجتماعيّة في خصائصها الفكريّة والاجتماعيّة والنفسيّة»[1]، أمّا إذا كانت الشّخصيّة تجسيماً مثاليّاً لسجية من السّجايا أو لنقيصة من النّقائص، أو لطبقة خاصّة من النّاس وتطلّعاتها ومنهجها في الحياة فإنّها توسم بأنّها شخصيّة نمطية[2].

والدّارسون في كثير من الأحيان يصنّفون الشّخصيّات تصنيفات أخلاقيّة أساسها الجانب السلوكي الّذي تتبعه الشخصيّة في تعاملها مع بقيّة الشّخصيّات الأخرى، وفي مواقفها من القضايا والأحداث الّتي يطرحها الكاتب كأن يقال شخصية سلبية أو إيجابية، خيّرة أو شريرة، ذات استقلاليّة أو اتكاليّة، قوميّة ثوريّة وطنية أو انتهازيّة وصوليّة خائنة متسلّطة...، وبينما تكون الشّخصيّات الإيجابيّة والخيّرة والمتمتعة بالاستقلاليّة على الأغلب شخصيّات نامية متطورة ذات قابليّة للتأثّر والتأثير، قويّة، تذود عن نفسها الألم والمصاعب، وتقف في وجه الأقدار، وترفض ما يفرضه القدر من متاعب ومصائب، تكون الشّخصيّات

---

[1] المرجع السابق، ص122.

[2] انظر: محمد نجم، فن القصة، ص150. عبد الفتّاح عثمان، بناء الرواية، ص122.

السلبيّة والاتكاليّة شخصيّات مسطّحة مستسلمة خاضعة لإرادة البيئة والتّقاليد، حتى ولو كانت ظالمة مع نفسها خاطئة معها، فهي لا تملك القدرة على التأثّر بالآخرين والتأثير فيهم[3].

ولمّا خلقت الشّخصيّات الرّوائيّة في عالم متكامل فيه الصداقة والزواج والحبّ والكره والتجارة والسياسة والحروب والأمراض والألم وأمور شتّى... وجب عليها الارتباط بعلاقات يختزلها (تودورف) في ثلاثة حوافز إيجابيّة تدفع إلى علاقات تقارب بين الشّخصيّات الروائيّة؛ وهي الرغبة وشكلها الأبرز هو الحبّ، والتّواصل وشكله الأبرز هو الإسرار بمكنونات النفس إلى صديق، أمّا الحافز الثالث فهو المشاركة وشكلها هو المساعدة؛ وتقابل هذه الحوافز ثلاثة حوافز ضديّة أو سلبيّة تدفع إلى علاقات تباعد بين الشّخصيّات الرّوائيّة وهي: أولاً الكراهية الّتي تقابل الحبّ الّذي يقابل الشّكل الأبرز للرغبة، وثانياً: الجهر الّذي يقابل الإسرار الّذي يحقّقه حافز التّواصل، وثالثاً: الإعاقة وتقابل المساعدة الّتي يحقّقها حافز المشاركة[1].

وكذا ترتبط الشّخصيّات في النّص الرّوائي بشخصيّة مهمّة لا يمكننا غضّ الطّرف عنها، ألا وهي شخصيّة الراوي/ السّارد الّتي تقدّم العون للكاتب في رسم الشّخصيّات وإخراجها، والّتي تعد شخصيّة متخيّلة شأنها في ذلك شأن باقي الشّخصيّات الرّوائيّة الأخرى، يلجأ إليها المؤلف وهو يؤسس عالمه الروائي لتنوب عنه في سرد المحكي، وتمرير خطابه (الإيديولوجي)، وممارسته لعبة الإيهام بواقعيّة ما يروي»[2].

---

[3] انظر: عبد القادر القطّ، في الأدب المصريّ، دار غريب، القاهرة، 2000، ص15؛
عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، ص102.

[1] انظر: يمنى العيد، تقنيّات السّرد الرّوائي، ص52.

[2] انظر: عبد العالي بوطيب، مفهوم الرؤية السّرديّة، فصول، م11، ع4، القاهرة، 1993، ص68.

وهذه الشّخصيّة المتخيّلة قد تكون من داخل عالم الأحداث القصصيّة حيث تشارك في العمل الأدبي مشاركة ثانويّة – أي يكون الرّاوي معاصراً للبطل – أو تشارك مشاركة رئيسة أساسيّة – أي يكون الرّاوي مشاركاً في الأحداث بوصفه شخصيّة رئيسة -، ويطلق على هذا النوع من الشّخصيّات راوي ضمير المتكلم، وهو شكل ابتدع بدايةً في الكتابات السّرديّة المتّصلة بالسيرة الذّاتيّة، ثم عمم فأخذ بعض الروائيين يختارونه لما فيه من حميميّة وبساطة وقدرة على تعرية النّفس من داخلها عبر خارجها[1]، أو قد تكون هذه الشّخصيّة – الراوي – بعيدة عن الأحداث لا تشارك فيها؛ لأنّها شخصيّة منتقاة من خارج الواقع القصصيّ، ويطلق عليها راوي ضمير الغائب[2].

وقد أبدى النقاد اهتماماً كبيراً بهذه الشّخصيّة، فجان بويون، على سبيل المثال، وضع أقساماً ثلاثة للعلاقة بين الرّاوي والشّخصيّات:

أولاً: الرؤية من الخلف:

في هذا النوع من القصص يكون الرّاوي عارفاً عالماً ملمّاً بكل كبيرة وصغيرة تتعلّق بالشّخصيّات والأحداث الّتي يتناولها النّص الرّوائي، فالراوي فيها صاحب حقّ في التحرّك في الرّواية بالكيفيّة الّتي يريدها، فهو يقفز من زمان إلى آخر، ومن مكان إلى غيره، وكأنه عملاق قد ينتقل من زوايا مكان واحد وفي ساعة واحدة، وهو كذلك صاحب سلطة في التحدّث والتنقّل بين الشّخصيّات وأنفسها، فله أن يزيل القناع عن الشّخصيّات بالولوج إلى أعماقها والكشف عن

---

[1] انظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص93.

[2] انظر: ستانزل، العناصر الجوهريّة للمواقع السّرديّة، فصول، م11، ع2، القاهرة، 1993، ص61؛ السيد إبراهيم، نظريّة الرّواية، دار قباء، القاهرة، 1998، ص ص161- 162.

أسرارها دون أن يمنعه من ذلك مانع...، ويفترض أن تروى القصّة الّتي من هذا النوع بضمير الغائب، وقد امتازت الرّوايات الكلاسيكيّة باستخدام هذه الرؤية[3].

ولكنّ القصص المرويّة بهذه الطريقة لم تنل قبولاً عند جميع النقّاد، (فهنري جيمس) على سبيل المثال «أخذ على هذا القصّ أنه أدّى إلى التفكّك وعدم التّناسق حيث إنّ الانتقال من مكان إلى مكان أو من زمان إلى زمان أو من شخصيّة إلى شخصيّة أخرى دون مبرّر بل دون الانطلاق من بؤرة قصصيّة محدّدة نتيجته التّشتت وعدم التّرابط العضوي بين المقاطع المختلفة في الرّواية، لذلك نادى بضرورة اختيار بؤرة مركزيّة تشعّ منها المادّة القصصيّة أو تنعكس عليها»[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً: الرؤية مع:

وفي هذا النوع من القصّ يقدّم لنا الرّاوي ما تعلمه شخصيّة روائيّة معيّنة، «حيث يُعرض العالم التخييلي من منظور ذاتي داخلي لشخصيّة روائيّة بعينها، دون أن يكون له وجود موضوعي محايد خارج وعيها»[2].

ثالثاً: الرؤية من الخارج:

وفي هذا النوع من القصص يكون الرّاوي أقلّ معرفة من الشّخصيّة فهو لا يستطيع التّعبير عن الشّخصيّات والأحداث إلاّ بمقدار ما سمع ورأى، فليس سهلاً عليه الغوص في أعماق الشّخصيّات غوصاً يصوّر أزماتها واختلاجاتها، وهو كذلك لا يملك القدرة على تخطّي الزّمان والمكان في أيّ وقت شاء على

---

[3] انظر: عبد العالي بوطيب، مفهوم الرؤية السرديّة، ص72.

[1] عبد العالي بوطيب، مفهوم الرؤية السرديّة، ص72؛

سيزا قاسم، بناء الرّواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص ص132.

[2] عبد العالي بوطيب، مفهوم الرؤية السردية، ص72.

العكس من الرّاوي الرحالة العليم، الذي يعلم ما لا تعلمه الشّخصيّة في الرؤية الأولى، الرؤية من الخلف[3].

وقد أضاف تودوروف إلى الأقسام السّابقة حالة رابعة متفرّعة من الرؤية الثانية، سمّاها «الرؤية المجسّمة التي نتابع فيها الحدث الواحد مرويّاً من قِبَل شخصيّات عديدة، ممّا يمكننا من تكوين صورة شاملة ومتكاملة عنه»[4].

لكنّ (جيرار جنيت) لم يستسغ مصطلح الرؤية الذي اقترحه (جان بويون)، لما له في اعتقاده من طابع بصري، فاستبدله بمصطلح آخر هو التبئير (بؤرة)، وقد استلهمه من مصطلح الناقدين (بروكس) (ووارين) (Foucs of)، ومن ثمّ قسم العلاقة بين الرّاوي والشّخصيّات إلى الأقسام التالية[1]:

أ – محكي ذو تبئير (بؤرة) في درجة الصفر، ويقابل الرؤية من الخلف.

ب- محكي ذو تبئير داخلي: ويقسم إلى أنواع هي:

أولاً: محكي ذو تبئير داخلي ثابت، يقابل الرؤية- مع.

ثانياً: محكي ذو تبئير داخلي متعدّد، يقابل الرؤية المجسّمة المتفرّعة من الرؤية- مع.

ثالثاً: محكي ذو تبئير داخلي متنوّع، وفيه يمرّ التبئير عبر عدّة شخصيّات، فيكون السّرد مرتكزاً على شخصيّة ما، ثم ينتقل إلى أخرى وأخرى... ليعود إلى الأولى من جديد... وهكذا.

---

[3] انظر: عبد العالي بوطيب، ص73؛ سيزا قاسم، بناء الرواية، ص133.

[4] عبد العالي بوطيب، مفهوم الرؤية السردية، ص73.

[1] انظر: عبد العالي بوطيب، مفهوم الرؤية السّردية، ص ص73- 74؛ السيد إبراهيم، نظرية الرواية، ص ص145-146.

ج – محكي ذو تبئير خارجي، ويقابل الرؤية من الخارج، وفيه تكون معلومات الرّاوي ومعرفته أقلّ من الشّخصيّات.

يقدّم كل من جان بويون وجيرار جنيت وغيرهما اقتراحات متعدّدة لمعرفة الاتجاه الّذي يتتبعه الكاتب في عرضه للعلاقة بين راويه وعناصر روايته وبخاصّة الشّخصيّات، إلاّ أننا نلاحظ أن التفرقة بين الأنماط السّابقة ليست دائماً بالوضوح الّذي يبدو أنها تقدّمه إلينا؛ «فالبؤرة الخارجيّة عند شخصيّة من الشّخصيّات، يمكننا في الغالب الأعمّ أن نقرّر أنّها بؤرة داخليّة عند شخصيّة أخرى، وكذلك فالتفرقة بين البؤرة المتغيّرة واللابؤرة من الصعب أحياناً تقريرها؛ لأنّ الرّواية الخالية من البؤرة يمكن في الأغلب الأعمّ أن ينظر إليها على أنّها رواية ذات بؤرة متعدّدة»[1]، بالإضافة إلى أنّ مزج الكاتب لهذه الأنماط في النّص الواحد يؤدي إلى صعوبة تصنيفها[2].

إنّ الدرجة المرموقة الّتي تبوأتها الشّخصيّة فقدت شيئاً من وهجها بمرور السّنوات والعصور المتعاقبة عليها، فبعد أن كانت هذه الشّخصيّة الرّكيزة الأولى الّتي يعتمد عليها الرّوائي في بناء روايته بحيث لا يمكن أن نتصوّر رواية دون طغيان شخصيّة مثيرة يقحمها الرّوائي فيها[3]، أضحت تلاقي انتقادات لا توازي المنزلة المعطاة لها من قِبَل الرّوايات الّتي رأت فيها "جوهراً سيكولوجياً"[4] لا يمكن الاستغناء عنه.

---

[1] السيد إبراهيم، نظرية الرّواية، ص146.

[2] انظر: سيزا قاسم، بناء الرّواية، ص133ز

[3] انظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية، ص ص86، 104.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الرّوائي، ص212.

فالباحث في تتبعه للمراحل الّتي مرّت بها الشّخصيّة الرّوائيّة، يجد أنّ التّحليل البنيوي منذ ظهوره نفر نفوراً كبيراً من الاعتقاد القائل بأنّها جوهر سيكولوجي، حتّى وإن تعلّق الأمر بالتّصنيف، فقد ذكر (تودوروف) أنّ (توماشفسكي) قد أنكر على الشّخصيّة الأدبيّة أي أهميّة سرديّة، ثم خفّف من حدّة هذه النّظرية لما لها من أهميّة لا يمكن التغاضي عنها أو تناسيها[5].

بينما حاول (بروب) تصنيف الشّخصيّات الأدبيّة إلى نماذج بسيطة، تقوم على وحدة الأفعال الّتي تستند إليها الشّخصيّات في السّرد، وليس على جوهرها السيكولوجي، فقد رأى أنّ الشّخصيّات تكون متغيّرة في النّصوص، لكنّ أفعالها ثابتة لا تتغيّر من نصّ إلى آخر، لذا قدّم (فلاديميربروب) محاولة قوامها تحديد أفعال الشّخصيّات في إحدى وثلاثين وحدة وظيفيّة، على اعتبار أنّ الوحدة الوظيفيّة تتمثّل في فعل ما من أفعال تلك الشّخصيّات[1].

أمّا جريماس، فقد درس بروب وتأثّر به وعمل على اختزال نماذج شخصيّات بروب في ثلاث مجموعات من الفواعل المتعارضة[2]:

المجموعة الأولى: هي الّذات في مقابل الموضوع، وهذه المجموعة تضمّ شخصيّة البطل والشّخصيّة الّتي يبحث عنها. وهي تشمل كذلك الشّخصيّة الشريرة الّتي تُلحق الأذى بالبطل.

المجموعة الثانية: تضمّ المرسل في مقابل المستقبل، وهي تضمّ الشّخصيّة المبعدة للبطل إلى حيث يتلقّى شيئاً، كما تضم الشّخصيّة المساعدة الّتي ترشد البطل كذلك إلى حيث تكون مغامرته في سبيل أن يتلقّى شيئاً.

---

[5] رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي، ص63.

[1] انظر: المرجعان السابقان؛ نبيلة إبراهيم، فنّ القصّ، ص17.

عبد الرحمن بوعلي، شخصيّات النّص السّردي، علامات، م8، ج31، جدة،1999، ص81.

[2] انظر: نبيلة إبراهيم، فن القص، ص43.

المجموعة الثّالثة: تتمثّل في المساعد في مقابل المناوىء، وهذه المجموعة تضمّ أربعة شخوص منفصلة عند (فلاديميربروب)، هي الشّخصيّة المانحة، والشّخصيّة المساعدة، ثمّ الشّخصيّة الشّريرة، وشخصيّة البطل المزيّف.

وعلى الرغم من اختزال جريماس لنماذج بروب، فإنه لم يكتف بذلك بل عمل على تعميق دلالة هذه المجموعات بربطها بموضوعات رئيسة، يمكننا عدّها اختزالاً للوحدات الوظيفيّة عند بروب، وهي[3]:

الموضوع الأوّل هو الموضوع التّعاقدي، ويشمل هذا الموضوع حركة القصّ الّتي تعبّر عن عقد يتمّ بين البطل ونفسه أو بينه وبين مجتمعه.

الموضوع الثاني هو الموضوع الأدائي، ويشمل هذا الموضوع أفعال البطل في سبيل وضع هذا العقد موضع التنفيذ.

الموضوع الثالث هو الانفصال والاتصال، ويشمل هذا الموضوع أداء البطل وحركاته الّتي تتوزّع على مسار النّص الأدبي بين اتصال وانفصال.

لقد أصرّ النقّاد البنيويون على فلسفاتهم الّتي تؤكّد بأنّ الشّخصيّة الروائيّة ليست سوى كائنات من ورق ومجموعات من الكلمات؛ فنلاحظ أنّ تودورف يجرّدها من محتواها الدلالي ويتوقّف عند وظيفتها النحويّة، فيجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السّرديّة تسهّل عليه بعد ذلك المطابقة بين الفاعل والاسم الشّخصي للشخصيّة[1]، أمّا (فيليب هامون) فقد أعلن أنّ مفهوم الشّخصيّة ليس مفهوماً أدبيّاً محضاً بل هو مفهوم مرتبط بالوظيفة النحويّة الّتي تقوم بها الشّخصيّة

---

[3] انظر: المرجع نفسه.

[1] انظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الرّوائي، ص213.

داخـل النّص؛ وأنّ وظيفتها الأدبيّة تتجسّد في عودة النّاقد إلـى المقاييـس الثقافيّـة والجماليّة للحكم عليها[2].

ومـن الـذين تعرّضـوا للشّخصـيّة الرّوائيّـة (آلان روب جرييـه) و(ميشـال بوتور) و(ناتالي ساروت) أصحاب الرّواية الجديدة، فقد آمنوا برفض الشّخصيّة وما يرتبط بها من تحليل نفساني وتصوير سلوكي[3]، لاعتقادهم بأنّ «وصف الأشياء الجامدة الملموسة المرئيّة المحيطة بالإنسان، أثبت وأدعى إلى استجلاء حقيقة الإنسان من الاجتزاء بتحليل نفسيّته ووصف أخلاقه وتصوير بدواته وتعلاته»[4]، كما أنّ أصحاب هذه المدرسة تولوا إثارة فلسفات تنادي بموت الشّخصيّة الرّوائيّة، فالآن روب جرييه - أحد روّادها - يقول: «لقد حدّثونا بما فيه الكفاية عن الشّخصيّة، ولكن للأسف يبدو أنهم لم ينتهوا بعد خمسين (سنة) من المرض، لقد سُجِّل موت الشّخصيّة أكثر من مرّة، وقام بهذا أعظم النقّاد وأكثرهم جديّة»[1].

و (آلان روب جرييه) يعلن كذلك «أنّ خالقي الشّخصيّات بالمعنى التّقليدي للكلمة لم يعد باستطاعتهم أن يقدّموا لنا سوى أشباح هم أنفسهم قد كفّوا عن الإيمان بها، إنّ رواية الشّخصيّات الآن أصبحت ملكاً للماضي، فقد كانت من الصّفات الّتي تميّز حقبة معيّنة: أعني الحقبة الّتي وصل فيها الفرد إلى قمّة مجده»[2]. فأصحاب الرّواية الجديدة يصرّون على أنّ تغيّر مكانة الفرد وقيمته ووظيفته في المجتمع من عصر البرجوازيّة إلى عصرنا، أدّى إلى تغيّر في قيمة الشّخصيّات الرّوائيّة أيضاً، فجاءت هذه الشّخصيّات في مؤلفاتهم مسلوبة

---

[2] انظر: المرجع نفسه.

[3] انظر: جميل حبر، الرّواية بين القديم والحديث، الأفق الجديد، الأردن، ع11، الأردن، 1962م، ص3.

[4] بديع حقّي، اتجاه جديد في الرواية المعاصرة، الأديب، ج3، بيروت، السنة28، 1969، ص17.

[1] الآن روب جرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفى إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص36.

الحقوق، فهي شخصيّات غير محدّدة المعالم، شخصيّات تفتقر إلى الاسم والهويّة والجنسيّة... شخصيّات ليس لها ماضٍ ولا أقدار ولا أعماق... شخصيّات مفتّتة مسحوقة مصهورة...، إنّها شخصيّات ضائعة تائهة حائرة غريبة، تعيش عصر الأنانيّة والزّيف، وتعبّر عن حالة الغربة والضياع الّتي يعيشها إنسان ما بعد الحرب العالميّة الثّانية[3].

ومهما تنوّعت الشّخصيّات الرّوائيّة الّتي يناجيها الكاتب ويحاكيها في نصوصه الرّوائيّة؛ فإنّها ستظل أداة يحرّكها الكاتب بأناملـه كيفما يشاء لتخدم غاياته، وتظهر نظرته إلى الحياة الإنسانيّة بما فيها من خير وشر، ولا يتحقّق له ذلك إلا بتفاعل هذه الشّخصيّات وتواصلها مع بقيّة العناصر الرّوائيّة الأخرى، فهي الّتي تضفي الحياة على الرّواية ببعثها للأحداث البسيطة والمعقّدة، وهي الّتي تجلس وتمشي وتعمل وتنام وتصرح وتحبّ وتبغض وتثير وتثار وتغضب وتنتقم وتتألم...، وهي الّتي تستقبل الكلام وترسله إلى الشّخصيّات الأخرى، مقيمة معها علاقات أساسها الخير أو الشّر، الحبّ أو الكره... وهي الّتي تحدّث نفسها وتلج داخلها مصوّرة ما يعشش فيها من حبّ للانتقام أو إرساء للسلام مظهرة شظايا التناقضات الّتي تسكنها...، وهي الّتي تستقرّ في المكان وتبنيه وتؤسسه وتزيّنه بعلاقاتها المتشابكة مع ساكنيه من الأحباب والأصدقاء، وتحميه من الأعداء، وهي الّتي تكون في أحيان كثيرة سبباً في تدميره وتحطيمه بهجره كرهاً أو طوعاً، فازدهاره في تمسكها به وإنمائها له في مختلف النواحي الاقتصاديّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة...، وهي الّتي تنتقل بين الأزمنة الثلاثة- الماضي والحاضر والمستقبل – لتستحضر الماضي أو لتتذكّر الحاضر أو لتهيم

---

[3] انظر: الآن روب جرييه، نحو رواية جديدة، ص36.

ناتالي ساروت، انفعالات، ترجمة وتقديم فتحي العشري، ط1، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1971، ص ص19، 23، 31.

في المستقبل حالمة آملة أن تحقّق آمالها، إنّها هي الّتي تتفاعل مع الزّمان مانحة إيّاه معنى جديداً...[1].

ستظلّ الشّخصيّة الأدبيّة وما يتعلّق بها من مسائل، قضيّة مثيرة للجدل، طالما تناولتها أيدي الباحثين بالدرس والتّحليل، لذا فإنّ هذا البحث قد آزر المذهب الّذي ذهبت إليه (إليزابيث بوين) حين قالت: «شيء واحد بوسعنا أن نؤكّده، هو أنّ الناس مادّة الرّواية، وستبقى الرّواية هي حكاية الحياة الإنسانيّة، بالرغم من أنّ عامل الزّمن قد يفرض تغييراً في العرض وفي الأشخاص وطبيعة الأدوار الّتي سيلعبون»[2].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز الإيداع الرسائل الجامعية

حاولت في هذا الجزء من دراستي أن أحدّد الخطوط العامّة المتعلّقة بالشّخصيّة الرّوائيّة، إلاّ أنني لم أتمكن من استعراض كلّ ما قيل عنها، لكثرة الاختلاف فيه، فما نجده يقنع أصحاب مذهب من المذاهب ليس شرطاً أن يقنع أصحاب المذهب الآخر، وإن اقتنع به الأخير فإنّه يتمم عمل الأوّل فيزيد عليه تارةً ويحذف منه تارةً أخرى، ويختلف معه أو يتّفق حول قضايا بسيطة في آن واحد... فكلّ مذهب من هذه المذاهب يحاول لي عنق الشّخصيّة الرّوائيّة لتخضع لأهوائه وتجاربه وفلسفاته الخاصّة، ولتخدم الأهداف الّتي تبنّاها ذلك المذهب. ولمّا استعصى عليّ قول كل شيء، قرّرتُ طرح هذه الخطوط الّتي تشكّل المعين الّذي نرتوي منه، والرّافد الّذي لا يمكن الاستغناء عنه في محاولتنا لاستحضار الشّخصيّة الإنسانيّة في الرّواية الأردنيّة وتحديدها.

---

[1] انظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية، ص104.

[2] إليزابث بوين، الشّخصيّة في صناعة الرّواية، ترجمة سميرة عزّام، الآداب، ع2، بيروت، 1957م، ص36.

الباب الثاني

صورة المرأة في الرّواية الأردنيّة

الفصل الأول: صورة المرأة والرجل في المجتمع الأردني

الفصل الثاني: صورة المرأة عند الكاتب

الفصل الثالث: صورة المرأة عند الكاتبة

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

صورة المرأة والرجل في المجتمع الأردني:

لم تحظ المرأة أوائل العشرينات وحتّى أواخر الخمسينات في المجتمع الأردني بمكانة اجتماعيّة متميّزة، توازي مكانة الرجل فيه ومن أبرز خصائص هذا المجتمع؛ «أنه مجتمع رجال؛ يتميّز الرجل فيه عن المرأة ويحتلّ مكانة أعلى منها... وهذا التميّز ظلّ واضحاً في جميع الممارسات الحياتيّة سواء في البيت أو العمل، حيث كان الرّجل يتمتع بالسّلطة والكلمة المسموعة ويمارس حقوقه السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة بكل حريّة، في حين أنّ المرأة الأردنية لم تكن تملك من الحقوق إلاّ بالحدود التي يبيحها لها الرجل سواء كان أباً أو أخاً أو زوجاً»[1]، فالمرأة في تلك الحقبة تابعة للرجل تسير خلفه ولا تتقدّم عليه أبداً؛ فهي في المرتبة الثانية دائماً وهو في المرتبة الأولى «فالفرس من خيالها والمرة من رجالها» على حدّ قول المثل الشّعبي المتداول بين أبناء الشّعب الأردني[2].

إنّ الباحث عن واقع الحياة الذي تعيشه المرأة في ظل الرجل في الأردن يصطدم بمجموعة من الشّواهد الّتي تعلي من شأن الرجل، وتدلّ على دونيّة المرأة وتبعيّتها للرجل الذي تسلّط عليها وتحكّم بها... نذكر من هذه الشّواهد:

أولاً، الأمثال الشّعبيّة المتداولة بين النّاس*، والّتي تذكّرنا بقول الله عز وجل: ﴿وإذا بشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوّداً وهو كظيم﴾[3]، فهذه الأمثال تصوّر بدقة متناهية الضيق والتبرّم والحرج والرفض الّذي تعامل به المرأة منذ

---

[1] دائرة المطبوعات والنشر، المرأة الأردنية، عمان، 1979 ص14.

[2] انظر: محمد سلام جميعان، صورة المرأة في المثل الشّعبي، أفكار، ع88، عمان، 1989م، ص45.

* يُقال في الأمثال؛ (مبغوضة وجابت ابنية)، و (دلل ابنك بيغنيك ودلل بنتك تخزيك)، و (امبارك البنين للأربعين)، و (مصائب الدهر أربعة: الدين ولو درهم، والبنت ولو مريم، والوصل والسؤال ولو كيف الطريق، وموت وليتك من صفا نيتك، و (هم البنات للممات).

[3] سورة النحل، آية 59.

ولادتها وحتّى وفاتها، على العكس من الأمثال التي تصوّر الفرح والفخر والاعتزاز الذي يعامل به الذكر منذ ولادته وحتى وفاته وبخاصة من رجال الأسرة الذين يتمنون دائماً إنجاب الذكور[1].

كما أنّ الأمثال الشّعبيّة* «تضع المرأة في إطار أسود قاتم لا تحسد عليه فهي غادرة شريّرة لا تحفظ عهداً ولا تكتم سرّاً، وهي خرقاء تغلبها عاطفتها، وهي غادرة تخون أقرب النّاس إليها»[2]، إضافة إلى أنّ هذه الأمثال ترى في المرأة وسيلة يشتم بها الرّجال بعضهم بعضاً، وبخاصة إذا عُهد بالذكر إلى امرأة لتربيه وتكبّره[3].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز الإيداع الرسائل الجامعية

ثانياً، الأغاني الشّعبيّة المتداولة بين النّاس في مناسباتهم المختلفة، والّتي تحمل في طيّاتها تعبيراً صادقاً يدلّ على حبّ الذكر وتفضيله على الأنثى؛ ولا عجب في أنّ النساء أنفسهن هنّ اللواتي ينشدن هذه الأغاني فقد رافقتهن منذ نعومة أظفهارهن.

يابـي فـلان وســع الديــوان والعز لك والفــرح للصبيان

ومثالها أيضاً:

---

[1] انظر: محمد جميعان، صورة المرأة، ص44.

* يُقال في الأمثال؛ (النسوان ملاعين الشيطان)، و (النسوان زغيرتهن مثل زغيرة الحيايا)، و (فلان ترباية مرة)، و (مرة ابن مرة اللي يعطي سره لمرة)، و (شاوروهن واخلفوا شورهن)... إلخ.

[2] إبراهيم الفيّومي، صورة المرأة في الأمثال السّائرة، أفكار، ع93، عمّان، 1989م، ص55.

[3] انظر: سهير سلطي التّل، مقدّمات حول قضيّة المرأة، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 1985، ص26.

يا ريتك مباركة لفلان لحاله وتبكري بالصبيــان وتعمري داره
يا ريتك مباركة على السلف وتبكري بالصبي وتكثري والسلفة الخلفـة[4]

ثالثاً، الزواج المبكّر حيث يتم تقييد المرأة وزجّها خلف قضبان هذا الزّواج في سنّ مبكّرة تحرمها طفولتها، دون أن تملك الحقّ في قبول هذا الزواج أو رفضه، فالمرأة في كثير من الأحيان متاع يحرّكه الرجل سواء أكان أباً أم أخاً مثلما يشاء ووقتما يشاء ووفقاً لمصالحه الخاصّة وأهوائه المتقلّبة... حتّى إنّ مهر المرأة لم يكن من حقّها بل كان من حقّ ولي أمرها، ممّا أدّى إلى شيوع ما يسمّى بزواج البدل، وفيه يتّفق رجلان أن يزوّج كل منهما أخته للآخر أو ابنته، دون أن يدفع أحدهما مهراً لزوجته، باستثناء بعض الدراهم لتحليل الزواج من الناحية الشّرعيّة، وإذا ما حدث شجار بين الزوجين، فإنّ هذا الشّجار يمتّد أيضاً إلى الزّوجين الآخرين، حتّى وإن كانت حياتهما هادئة؛ وإذا ما وقع خصام أدّى إلى طلاق إحدى الزوجتين من زوجها وجب على الزوجين الآخرين أن يفترقا وإن كانا سعيدين في حياتهما الزوجيّة[1]، وكذا إن تزوّج أحدهما مرّة أخرى، فإنّ الآخر يسعى سعيه فيتزوج مرّة ثانية مدعيّاً أنه يحاول الدفاع عن أخته أو ابنته، الّتي تعرضت للخيانة من قبل الزوج الأوّل، دون أن يلتفت الرجل إلى ما يخلّفه هذا النوع من الزواج في نضج المرأة وتكوينها النفسي، فهي تصبح غير قادرة على اتخاذ القرارات الصائبة في حياتها، لقلقها وخوفها المستمرين من الفشل في المستقبل.

---

[4] انظر: أحمد الربابعة، الشّخصيّة الأردنيّة، سماتها وخصائصها، المكتبة الوطنية، عمان، 1999، ص ص81- 82.

[1] انظر: سهير سلطي التّل، مقدّمات حول قضيّة المرأة والحركة النسائيّة في الأردن، ص26، 28؛
أحمد الربابعة، المجتمع البدوي الأردني، دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1974، ص209.

ولا غرو في أنّ إعطاء الرجل حق طلاق المرأة أو الزواج بأخرى لأسباب أهمها عدم الإنجاب أو إنجاب الإناث فقط أو العيوب في خلقها كعيوب الجمال الّتي لم يتمكّن الزوج من رؤيتها قبل الزواج أو لعيوب في سلوكها مثل الثرثرة والعناد والإسراف وعدم طاعة الزوج طاعة عمياء...[2] من الشّواهد الدالّة على قمع المرأة وإذلالها وتسلّط الرجل عليها في تلك الحقبة الزّمنيّة الماضية الّتي تمتد جذورها إلى بعض الأسر الأردنيّة حتّى أيامنا هذه.

رابعاً- الأميّة المتفشّية بين النساء حتّى إنّ الواحدة منهن لا تستطيع كتابة اسمها أو قراءته، فالحكومات والأسر العربيّة ومنها الأردنيّة كانت تعطي الأولوية لتعليم الأولاد وتحرم الفتيات من هذا الحقّ؛ وربما كان السبب في ذلك سوء الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة الّتي كانت تعاني منها البلاد في السنوات الماضية[1]، ممّا أسهم في خلوّ الصحف والمجلات حتّى أواخر الأربعينات من الكتابة النّسائيّة، وإن وجدت فإنّ المرأة لم تكن تجرؤ على كتابة اسمها الصّريح بل كانت تركن إلى الأسماء المستعارة أو الألقاب أو ذكر بعض الحروف الّتي تشير إليها دون غيرها، وذلك كله نتيجة لقسوة الظروف الاجتماعيّة الّتي كانت تعاني منها المرأة إلى درجة أنّ ذكر اسمها عيب أو جريمة لا يحقّ لها ارتكابها[2].

إنّ النظرة السوداوية المظلمة المتخلفة الّتي أحاطت بالمرأة دون الرجل لم تخلق من فراغ بل أسهمت في تأسيسها مجموعة من العوامل أهمّها:

---

[2] انظر: سهير سلطي التّل، مقدمات حول المرأة، ص ص28- 29.

[1] انظر: نجاة السنباري، تعليم المرأة، الآداب، ع1، بيروت، 1976، ص91؛ دائرة المطبوعات، المرأة الأردنية، ص ص16، 77.

[2] انظر: سمير قطامي، الحركة الأدبيّة في شرق الأردن، ط1، وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1981، ص ص179- 181.

أولاً: العامل السياسي: فالأردن شأنه شأن الدول العربيّة في ظروفه السياسيّة المتقلّبة بين التّبعيّة والاستقلال، إذ خضع للسلطة العثمانيّة وللاستعمار الإنجليزي ولما أعقبهما من ثورات وحكومات ومعاهدات واتفاقيات وتأسيس لإمارة شرقيّ الأردن، الّتي تشكّل النواة الأولى للملكة الأردنيّة الهاشميّة. وهذه الظروف السياسيّة المتقلّبة لم تسمح بتحسين الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والصحيّة والتعليميّة في البلاد، فعلى المستوى التّعليمي مثلاً ساد الجهل بين الناس لأنّ كلاً من السلطة العثمانيّة والاستعمار لم يعملا على تحسين المستوى التعليمي لأفراد الشّعب، من الجنسين خاصّة النساء، وذلك لضآلة ما كان ينفق على التعليم عامّة وبناء المدارس خاصّة ولإهمالهم قضيّة العناية بالمعلمين والمعلمات وإعدادهم... وحجّتهم في عدم التّوسع في تعليم البنات هي عدم المساس بتقاليد المجتمع العربي وتعاليم دينه الّتي يزعم أنها تعارض تعليم المرأة؛ والحقيقة أنّ كلاً من المستعمرين – العثماني والإنجليزي كان همّه الأعظم خدمة مصالحه الخاصّة وإحكام السيطرة على البلاد وتحويلها إلى سوق تستهلك مصنوعات المستعمر ومنتوجاته[1].

ثانياً: العامل الاقتصادي: إنّ ضيق الحال الّذي تشعر به الكثير من الأسر الأردنيّة وبخاصّة الريفيّة والبدويّة أثناء تلبية احتياجاتها ونفقاتها من مأكل وملبس ومسكن بسبب قلّة الموارد الماليّة واعتمادها على الزراعة وتربية الإبل والأغنام الّتي تعتمد بدورها على تقلّبات الطقس بحيث يأتي موسم زراعي أفضل من سابقه أو أسوأ أدّى إلى الحدّ من حريّة الفتاة واحتكارها في البيت ومنعها من الخروج إلى العالم الخارجيّ من أجل التعليم أو العمل... فاقتصرت مهامها على ترتيب البيت و تنظيفه، وعلى إنجاب الأولاد وتربيتهم، كما أنّ جهودها تركّزت

---

[1] انظر: نجاة المرسي السنباري، تعليم المرأة، ص94؛

ناصر الدين الأسد، الحياة الأدبيّة الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة 1950، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، 2000، ص67.

على طاعة رجالها وخدمة أسرتها والعمل من أجلها في الأعمال الزراعيّة كجمع الثمار والزرع والدرس والنقل من الحقل إلى المنـزل وتربية المواشي ورعايتها وإعداد قوتها والبحث عن الرعي لها، كذلك اشتركت المرأة في بناء البيوت ونصب الخيام وتقويضها عند الرحيل... وغير ذلك من الأعمال الّتي تستطيع المرأة ممارستها في سبيل مجابهة أعباء الحياة، فهي لم تكن مؤهلة علميّاً أو مهنيّاً أو اجتماعيّاً لدخول ميادين العمل الّتي ترتقي بها حسب المفهوم الحالي اليوم والّتي تورثها القدرة على العناية بنفسها دون العودة للرجل في كل كبيرة وصغيرة[2].

ثالثاً: العامل الاجتماعي: ويشمل اتجاهات عدّة يتعلق بعضها بالطرق التّربويّة المعروفة عند الأسر الأردنيّة، فالآباء في المجتمعات الزراعية والبدوية يفضّلون الذكور على الإناث، وذلك «لأنّ هذه المجتمعات بحاجة إلى الذكور كقوى بشريّة في الإنتاج الزراعي التّقليدي الّذي يعتمد على القوى البيولوجيّة والبشرية والحيوانيّة بصفة أساسيّة، إضافة إلى حاجتها إليهم كقوى محاربة أو مقاتلة، إذ غالباً ما تحسم المعارك أو المنازعات بين القبائل والعشائر في المجتمعات البدوية والريفيّة لصالح القبيلة أو العشيرة الأكثر عدداً، ثم إنّ المجتمعات ترى في الذكور تخليداً لذكرى الرجل من بعد مماته»[1].

وبعض هذه الاتجاهات يتعلّق بالمرأة نفسها؛ إذ تقوم الأمهات بترجيح كفّة الابن على البنت في مواقف مختلفة، فالأم في كثير من الأحيان تطلب من ولدها الذكر أن يعاقب أخته على ذنب اقترفته، فتعزّز فيه حبّ التسلّط والسيطرة على الآخرين، فهو الرجل وهي الفتاة الخاضعة الضعيفة، كما أنّها تسمح لنفسها إذا مرض طفلها أن تقول لأخته على مسمع منها ليتك فداء لأخيك فهو أصلح منك

---

[2] دائرة المطبوعات، المرأة الأردنية، ص18؛ سهير التل، مقدمات حول قضية المرأة، ص39.

[1] أحمد الربابعة، الشخصية الأردنية، ص82.

للحياة، بالإضافة إلى أنّها تفضلّه في الحقوق والميراث، فالفتيات اللواتي يأخذن نصيبهن من الإرث ينظر إليهن بكثير من الازدراء خاصّة من قِبَل النساء الطاعنات في السّن[2].

ونظرات الشّكّ والريبة الّتي تحيط بالأنثى خوفاً من العار وحفاظاً على الشّرف تسهم في التّقليل من شأن المرأة وإعلاء شأن الرجل، فالرجل الأردني يعيش حالة خوف دائمة من تعرّض شرفه للأذى نتيجة التعرّض لعفة إناثه أو استهتارهن بأنفسهن، فبعض الرجال يؤمنون بأنّ فضيلة المرأة لا تنبع من ذاتها بل تنبع من خوفها من الرجل، الّذي يحكمها ويحاسبها ويرغمها إرغاماً على أن تكون امرأة سويّة، تنأى بنفسها عن الفاحشة، لذلك آثر الرجل أن تبقى إناثه حبيسة البيت والعائلة إلى أن تتزوّج، فتنتقل المرأة بذلك من تسلّط الرجل في عائلتها إلى تسلّط زوجها، فقدرها أن تبقى تابعة أينما كانت[3].

وعلى الرغم من معاناة المرأة وتكاتف ظروف الحياة ضدّها واضطرارها إلى تقديم فروض الطّاعة للرجل في سبيل أن تبقى عجلة الحياة مستمرّة دون توقّف، فإنّ مكانتها بدأت بالارتقاء شيئاً فشيئاً، فبزوال العقبات الّتي كانت تقف حائلاً بين المرأة وحريّتها كاستقلال البلاد وتحرّرها من المستعمرين وتحسّن الموارد الاقتصاديّة عن طريق العمل بالتجارة والصناعة و الهجرة إلى الدول النفطيّة واستقرار البلاد وصدور الدستور الأردني الّذي حدّد القوانين الّتي تحافظ على حقوق الأفراد، وزيادة الوعي عند الآباء والأمهات؛ نالت المرأة قدراً كبيراً من حريّتها الّتي مكّنتها من كسر قضبان البيت والفكاك من قيود الزواج المبكّر

---

[2] انظر: بنت الأردن، بهارج المرأة، الرائد في عمّان، عمان، 1945، ص11؛
سهير التّل، مقدمات حول قضية المرأة، ص27.

[3] انظر: أحمد الربابعة، الشخصية الأردنية، ص26. صالح حمارنة، غالب هلسا والمرأة، المجلّة الثقافيّة، ع39، الجامعة الأردنية، 1996، ص131.

وأصبح لها الحقّ في التعلّم والخروج إلى العمل تماماً كالرجل؛ كما بات لها الحقّ في ارتياد المعاهد التعليميّة والجامعات التي ارتادها الرجال، لكي تصبح مؤهلة للعمل في القطاعات الحكوميّة والخاصّة كالممدارس والمستشفيات والمؤسسات التجاريّة والصحفية ومراكز الأمن والجيش... وقد شجعّت الحكومة الأردنية الفتيات على التعليم الإلزامي والثانوي و العالي بتقديم البعثات والمنح والقروض الماليّة لهن ليتمكنّ من التغلّب على العوائق الاقتصادية الّتي تحول دون تعليمهن في مختلف مدن المملكة وقراها، بالطريقة نفسها التي ساعدت الحكومة من خلالها الرجل على تخطي الصعوبات الاقتصاديّة التي وقفت أمام دراسته وتعلّمه في كثير من الأحيان[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وبالإضافة إلى أنّ الأنثى الأردنية أصبحت تملك قرار زواجها كالرجل؛ فقد أصبح لها في معظم الأحيان الحقّ في قبول زواجها أو رفضه واختيار من تراه مناسباً لها.

ممّا تقدّم نستطيع أن نتمثّل شيئاً من واقع المرأة والرجل في المجتمع الأردني، فهل يعَدّ واقعهما الّذي يمكن أن نتمثّله في الرّواية الأردنية تعبيراً عن الحياة الأردنية بتفصيلاتها وجزئياتها وشبكة علاقاتها المختلفة؟.

---

[1] انظر: دائرة المطبوعات، المرأة الأردنية، ص ص3- 60.

صورة المرأة في الرواية الأردنيّة عند الكاتب:

رصد الكاتب الأردني الكثير من العلاقات المتشابكة والمعقدّة التي ترتبط بها المرأة مع غيرها من الشّخصيّات الذكوريّة والأنثويّة، وبثها في ثنايا عالمه الروائي المرتبط بواقع المجتمع الأردني ارتباطاً لا ينكره أحد، ولصعوبة معاينة صورة المرأة دفعة واحدة ارتأينا تقسيمها إلى أجزاء خمسة:

المرأة والمجتمع، المرأة والعِلْم، المرأة والعمل، المرأة والعمل السياسي، المرأة والرجل؛ على اعتبار أنّ هذه العنوانات تتضمن مشاركة المرأة ومواقفها في ميادين الحياة المختلفة في الرواية الأردنيّة.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المرأة والمجتمع:

يتناول هذا الجزء من الدراسة طبيعة العلاقة التي ترتبط بها الأنثى مع والديها اللذين يمثلان طرفي السلطة في الأسرة التي تشكّل النواة الأولى للمجتمع، والتي تسهم في تكوين الأبعاد النفسيّة والاجتماعيّة والفكريّة التي تمنح الشخصيّة النسائيّة تميّزها الخاص عن غيرها من النساء.

فقد تبنّى الكتّاب الأردنيون العديد من الرؤى التي تكشف عن طبيعة العلاقة بين الفتاة ووالدها في الرواية، حيث تندرج علاقتهما في تيّار من التيّارات التالية:

الأول- تسود فيه العلاقة المحايدة الخالية من المشاعر المتبادلة بين الابنة والوالد لأسباب اجتماعيّة لم تكن الفتاة طرفاً فيها، وخير مثال على هذه العلاقة، العلاقة المتجمّدة المحايدة التي ربطت بين سبلو وابنته هاجار، التي يصفها السارد بقوله: «كانت تفكر (هاجار) بمعزل عن والدها الذي ضاقت علاقته بها، وتحوّلت إلى علاقة محايدة تجمع بين اثنين من عالمين مختلفين، لتفعل هاجار ما

يحلو لها»[1] مقولة رددها (سبلو) باستمرار، والمتتبّع لهذه العلاقة في طيّات الرواية يلاحظ أنّ ردّة فعل سبلو على مقتل زوجته بهاج بالاغتراب والانسحاب من الحياة بمعاقرة الخمر[1]، دفعت ابنته هاجار للعمل في الشوارع في بيع الأواني في سنّ مبكرة لإعالة والدها ونفسها، وبالتالي الاحتكاك بفئات مختلفة من الرجال والنساء، فتمتعت بذلك بقدر عالٍ من الحريّة والجرأة، ولكنها في الوقت ذاته حرمت حقها من التوجيه الأبوي الذي يجب أن ينأى بها عن الرذيلة والخطيئة التي أوقعتها في ممارسة العلاقات الجسديّة، والاستسلام للرجال بسبب الحرمان العاطفي الذي فقدته في مراحل طفولتها ومراهقتها وحتّى شبابها[2]، إلاّ أنّ المواقف الحاسمة في حياة الشخصيّة تجبرها على العودة إلى الواقع الذي تحياه مهما حاولت الهروب منه؛ لذا نجدها تلجأ إلى والدها الذي يصحو في نهاية الرواية من غفلته فيضمها ويمنحها حناناً حُرمت منه سنوات طويلة، لتتحوّل العلاقة بينهما من اللامبالاة والمحايدة إلى التّفاهم والمحبّة والدعم في وقوفها ضد التبليغ الذي يقضي بطرد سكان الوادي منه، فالسارد يقول: «رمت هاجار رأسها على صدره الناحل: يا أبي. قالتها الغجرية لأوّل مرّة منذ أن شبّت، فخرجت من فمها ممزوجة بالتعب والوهن، طوّق كتفيها بذراعيه فانسربت دموعها على يده، كثلوج ذابت في دفء صيف مفاجيء! تشمّم رائحة شعرها «يا ابنتي قالها بالغجريّة أيضاً، فالتصقت به، مسح بكفه دموعها، وكانت بيوت الوادي تضاء تباعاً بالشموع والسرج والقناديل العتيقة، ولكن بلا بريق«[3]. تكاد الرواية تخلو من هذه العاطفة الأبويّة التي تدعم ثقة الفتاة بنفسها وتشعرها بأنها قادرة على خوض معارك الحياة بنجاح ودون خوف.

---

[1] جمال ناجي، مخلّفات الزوابع الأخيرة، دار الفارس، عمان، 1988، ص80.

[1] انظر: سمية الخصاونة، الاغتراب في الرّواية الأردنية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1995، ص46.

[2] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص ص77- 79.

[3] المرجع نفسه، ص264.

التيّار الثّاني- يشمل العلاقة السلطويّة الّتي تدفع الفتيات إلى الابتعاد عن الآباء والنفور منهم، بسبب الخوف الشديد والشّعور بالنقص الذي تحسّ به الفتاة لرفض والدها لها، فوالدها يجسّد في نظرها الرجل المتسلّط داخل البيت وخارجه، فعفاف على سبيل المثال تصف تجنب والدها لها بقولها: «والدي، الّذي غضب جداً من أمي، لأنّها أنجبت له بنتاً مع أنّها أنجبت له ولدين قبلي، كان لا يطيقني وكان يفضّل إخوتي الذكور عليّ، ولقد رباهما بطريقته فصاروا نسخة عنه«[1]؛ يكشف النص عن مشاعر الكره والتحسّر والألم، التي تبادل بهما عفاف والدها وإخوتها، حيث كان والدها الريفي يميّز بينها وبين إخوتها الذكور، الذين أصبحوا لا يختلفون في معاملتهم لها عن والدهم، ممّا يزيد شعورها بالرفض من قِبَل الأسرة وبخاصّة الذكور فيها، حيث يتشربون طباع الوالد في بغضه للبنات.

ولم يكن التمييز بين الأخوة الذكور والإناث الوسيلة القمعيّة الوحيدة التي مارسها الآباء في قمع بناتهم، فقد تجاوزوها إلى الشّتم والضرب والحبس وراء الجدران إلى أن يأتي الزوج المناسب الّذي تُكره الفتاة على الزواج منه؛ فعفاف الفتاة الريفيّة يتم سجنها في بيت والدها بعد أن تنهي دراستها الثانويّة[2]، وست الحسن الريفيّة أيضاً تزجّ خلف أسوار قلعة والدها[3]، وكذا أسماء فتاة المدينة تُسجن في البيت بعد إنهاء دراستها الجامعيّة إلى أن يأتي الزوج المناسب في رأي الوالد[4].

---

[1] هزاع البراري، الجبل الخالد، ط1، دار الإبداع، عمان، 1992، ص38.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص23.

[3] انظر: هاشم غرايبة، بيت الأسرار (ضمن مجموعته قصص أولى)، دار الأفق الجديد، عمان، ط2، 1985، ص103.

[4] انظر: هزاع البراري، الغربان، دار أزمنة، عمان، ط1، 2000، ص137.

وفي الإشارة إلى تعليمهن دلالة على تفتّـح العقول البشريّـة الذكوريّة وانغلاقها في آن واحد؛ فالآباء يمنحون بناتهم حريّات سرعان ما يتم لجمها بأوامـر البقاء في البيت فهؤلاء الآباء لا يحتكمون إلـى وعيهـم في تعاملهم مع بناتهم، وإنما إلى عاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم اللاواعية التي تشترط الحذر في التعامل مع الفتيـات.

وقد كان من أقبح الوسائل القمعيّة التي لجأ إليها الأب مع بناته حرمانهن من حقهن الشّرعي/ الميراث، حيث يعمد قبل موته إلى كتابة ممتلكاته إلى أبنائه الذكور، كما فعل والد نوفل المتعلّم المثقف وزير الصحّة الذي لم يوظف علمه في ممارساته الحياتيّة؛ بل بقي محتفظاً بأساليب والده وجدّه في التربية[1]. وفي الوقت الذي تنبهت فيه عفاف في الجبل الخالد إلى الشّبه بين الأبناء الذكور والآباء، لم تتنبه أخوات نوفل إلى ذلك الشّبه، حيث هرعن بعد موت والدهن إلى تفويض شقيقهن نوفل الانتهازي شبيه والده بأمر المزرعة التي ورثنها؛ على النحو التالي: «لقد فعلن ذلك دون أن تطرف قلوبهن أو عقولهن التي وثقت بذلك الشقيق، فأسلمنه القيادة، فاستولى على المزرعة بكل ما فيها من تراب وأشجار وآبار ومعدّات ومولدات وبيوت وطيور وحيوان!»[2].

يعكس هذا النّص ضعف عواطف المرأة أمام الرجل ومساهمتها في تضخيم ذاته التي لم ترَ في العالم إلاّ مالاً يجب امتلاكه والسيطرة عليه، كما أنّ المرأة هنا أيضاً قامت بإعطائه الفرصة ليغصبها حقّها دون معاناة تذكر، فما الدافع القويّ الذي يدفع المرأة لأن تمنح الرجل قيادة ممتلكاتها سوى سطحيّة

---

[1] انظر: جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 1993، ص ص55- 56.

[2] المصدر نفسه، ص55.

تفكيرها وجهلها بنوعيّة الرجال الذين ينتمي إليهم نوفل الراغب بالنفوذ، بغض النظر عن الوسيلة المتّبعة لتحقيق ذلك، فالغاية عنده تبرر الوسيلة[3].

وأمام القمع الذي تجده الأنثى من أسرتها المجسّم المصغّر للمجتمع في الرواية الأردنية، كان لا بدّ لها أن تختار بين أمرين: الاستسلام أمام أوامر الأب والخضوع لجبروته والتزام البيت حتّى يأذن لها بالانطلاق منه، كما فعلت أسماء في رواية الغربان، حيث لزمت البيت ولبست الحجاب في سنّ مبكرة، ومارست الطقوس الدينيّة التي أجبرها عليها والدها الّذي يدّعي التديّن، إلى أن تحرّرت من قيود والدها بالزواج الّذي نقلها إلى قيود من نوع آخر تتمثّل في قيود الحياة الزوجيّة الرتيبة[1]. وأمّا الأمر الثّاني فمقاومة المرأة البؤس الّذي تعيشه بالتمرّد والانطلاق واختيار بداية جديدة لحياتها تعوّضها حرمانها العاطفي الّذي تعانيه في إطار الأسرة التي تبغض الفتاة وترى فيها همّاً لا يزول إلاّ بالموت، وقد اتخذ الرفض في الرّواية الأردنيّة أشكالاً أهمّها انعدام الحوار، وسيادة الصّمت بين الرجل والمرأة، والانطواء الداخلي، وترقّب الحريّة والتأمل والاتجاه بعواطفها نحو آخر تنتقيه من خارج إطار الأسرة، على نحو ما فعلت كل من عفاف في الجبل الخالد وكفاية ابنة حتّوم الممرّض في رواية "وقت"؛ حيث تقوم عفاف باختيار شاب تبادله الحبّ وتهرب معه وتتزوجه رغماً عن والدها وتنجح في بناء بيت خاص بها دعاماته التّفاهم مع زوجها[2]، في حين تقوم كفاية بالاتصال الجسدي مع شاب انتهازي يلاحقها بهدف المتعة فقط، حيث يرغب بالزواج من

---

[3] انظر: المصدر نفسه، ص47؛ إبراهيم السعافين، الرواية في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1995، ص118.

[1] انظر: هزاع البراري، ص138.

[2] انظر: هزاع البراري، الجبل الخالد، ص ص44- 46.

فتاة أخرى عندما يقرّر الاستقرار، تاركاً الفتاة تعاني إثم خطيئتهما وحدها، دون أن يكترث بما ستلقاه من عقاب الجماعة عند اكتشافهم لعلاقتها المحرمة معه[3].

التيّار الثالث: ويشمل المحبّة والتفاهم الّذي يكنهما الأب لابنته والّذي يترجمهما إلى حقوق كاملة، كالتربية السويّة والخروج من البيت والتعليم والعمل والاختلاط بالآخرين، واختيار الزوج الّذي تراه مناسباً لها، بالإضافة إلى ما يدعم ثقتها بنفسها، فوالد سمر مثلاً هرع إلى الطبيب بمجرد أن رأى طفحاً أحمر على يديها «في الليل أصيبت يد سمر بحكّة واحمرار، لم يتردد أبوها في الاتصال بالطبيب الّذي عاينها وقرّر أنهـا تعاني من الحساسيّة...»[4]، وهذا الاهتمام معاكس للصورة الّتي كانت تطرح في الروايــة سابقاً، حيث كانت المرأة تتعرّض للموت دون أن يبدي الرجل اهتماماً ملحوظاً، وحجته في ذلك أنه يريد الحفاظ على شرفه فكيف لإناثه أن تنكشف أمام الأطباء[1].

ومثل هذا الحنان الأبوي احتفظ به أبناء الجيل الشّاب في الرواية لبناتهم في المستقبل القادم، حيث لم يجدوا فرقاً في أن يكون الجنين الّذي تحمله محبوباتهم ذكراً أم أنثى، كما سنلاحظ في الحوار التالي الذي دار بين كل من عفاف وخليل:

«(خليل): انتبهي إلى نفسك جيداً، فأنت مسؤولة عن ابني

(عفاف): وما أدراك، ربما تكون بنتاً

(خليل): لا فرق فهي ابنتي أيضاً»[2]

---

[3] انظر: جمال ناجي، وقت، ط1، دار ابن رشد، عمان، 1984، ص ص142، 175.

[4] قاسم توفيق، ورقة التوت، المحروشة للنشر، القاهرة، 2000، ص79.

[1] انظر: محمد العطيات، القصة الطويلة في الأدب الأردني من بدء الإمارة (1921- 1977)، منشــورات دائــرة الثقافة والفنون، عمان، 1985، ص260

[2] انظر: هزاع البراري، الجبل الخالد، ص80.

يشير الحوار إلى التّفاهم بين الزوجين الّذي يثري العاطفة الأبويّة بينهما ويغنيها، ممّا يدفع الوالدين إلى التمسك بعلاقتهما الّتي تنعكس على تربيّة الأبناء، بصورة إيجابية تعمّق إحساسهم بذواتهم القادرة على اجتياز مصاعب الحياة.

أمّا الأم، فقد كانت صورتها أكثر إيجابيّة في أعماق الفتاة، فهي مثال للحبّ والتّراحم والتعاطف، وهي الملجأ الّذي يدفىء قلب الفتاة ويداوي جراحها من قساوة الأب وجبروته الّذي كان يرى في ملاطفتها منقصة لجبروته؛ فست الحسن تقبل على حنان أمها، تعبّ منه ولا ترتوي، وتستكين إلى حضنها، فتتعلم منها القراءة ثم الكتابة؛ فتنشأ بينهما بذلك علاقة قويّة تغذّي تمرّد الفتاة وتعوضّها عن شعورها بالنّقص لكونها أنثى يرفضها الوالد، لذا كان من الطبيعي أن تتأثر ست الحسن سلبيّاً بوفاة والدتها، فتؤثر الانكفاء على ذاتها «نظراتها اليوم للداخل، لداخلها فقط»[3]بعيداً عن الوالد الّذي لم يكن يتوانى أبداً عن تفريغ غضبه في وجه ست الحسن، وكأنها المسؤولة عن الانهيار الأسري الّذي تعرضت له أسرته[1].

وقد تطابقت صورة الأم في بيت الأسرار مع صورتها في الجبل الخالد، حيث باتت أم عفاف المتنفس الوحيد لفتاتها الّتي تفيض نفسها بمشاعر الرفض والألم الّتي زرعها الوالد بقمعه لها، فنراها تقول: «أمّا أنا فلم تكن لي غير أمي»[2]، وكذا أسماء التي تجرؤ على إخبار والدتها برفضها لأوامر والدها، دون أن تبدي مثل هذا الرفض أمامه حتى ولو بالكلام، لشدّة صرامته وقسوته في التعامل معها[3]. وكذا والدة فاطمة في الرواية نفسها، التي تحسّ بأنّ فتاتها على

---

[3] هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص107.

[1] انظر: هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص ص91، 96.

[2] انظر: هزاع البراري، الجبل الخالد، ص38.

[3] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص128.

علاقة مع شاب فتحفظ سرّها وتنصحها بالانتباه في التعامل معه خوفاً من أن تزلّ قدماها في الخطأ[4].

والأم نفسها هي الّتي كانت تدافع عن فتياتها قدر استطاعتها أمام الوالد وتحاول المساواة بينهن وبين أبنائها الذكور عندما يظهر والدهن إعجاباً بالذكر وفخراً بذكائه، على نحو محاولة والدة نوفل في الدفاع عن بناتها في الحوار التالي: «(الوالد): نوفل أذكى من كل أخواته، فترد (والدة نوفل) مستمدة من دفء الأمومة رغبة في خلق إنصاف قسري، حتى في ملكات أطفالها [الخمسة]: لا تقل هذا يا أبا نوفل، إنهنّ ذكيّات مثل شقيقهن»[5].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ومن الضروري أن نشير إلى أنّ معظم الشّخصيّات التي مثلت دور الأمومة كانت شخصيّات تجاوزت سنّ الشباب ثانوية مسطحة، تؤمن بعادات وتقاليد قديمة منها طاعة الزوج المطلقة، لذا لم تستطع أن تقدّم الأمهات للفتيات إلاّ الأذن الصّاغية التي تسمع تأوهاتهن وتحاول التخفيف عنهن، واللسان الّذي كان يحثّ الفتيات على الطاعة المطلقة للأب والصبر والتوكّل على الله والأمل في يوم أفضل خوفاً عليهن من الوالد الذي لن يقدّم لهنّ مقابل تمردهن إلاّ القمع والشتائم والضرب وربما القتل، فوالدة أسماء مثلاً تلجم تمرّد فتاتها دائماً بقولها: «والدك سيقتلك إن خالفته...»[1].

---

[4] انظر: المرجع نفسه، ص28.

[5] انظر: جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص32.

[1] هزاع البراري، الغربان، ص128.

المرأة والتعليم:

لم يعن الكاتب الأردني مقارنة بالكاتبة بالصعوبات التي وقفت عائقاً أمام تعليم المرأة الذي يشكل إحدى الخطوات الأساسيّة في مسيرة تحررها واستقلالها عن الرجل وعبوديتها له، فقد جاءت معظم الشخصيّات النسائيّة الشابّة متعلمة وعاملة على الأغلب، فأحلام وريم في"حواء"[1]، وفاطمة وسوسن وأسماء ولارا في "الغربان"[2]، ونادية في "الطريق إلى بلحارث"[3]، وهيفاء في "الحياة على ذمة الموت"[4]، وهيام في "ماري روز تعبر مدينة الشمس"[5]، وغيرهن من الشخصيّات النسائيّة الشابّة متعلمات عاملات بمؤهلاتهن العلميّة.

جميع الحقوق محفوظة

لقد استطاعت المرأة في الرواية الأردنية الوصول إلى الجامعة دون أن يصوّر الكاتب صراعاتها مع الأسرة والمجتمع/ المال اللازم لدعمها في توفير مستلزمات الدراسة الجامعية؛ ففاطمة وقّاد يتيمة الأب تستطيع الالتحاق بالجامعة الأردنيّة مع فقرها وصعوبة عمل والدتها في الخياطة، والتي تنفق على ولدها الآخر ياسر في الجامعة نفسها في الوقت نفسه؛ فياسر وفاطمة توأم[6]، وكذلك أسماء فهي تدرس في الجامعة، وتنهي دراستها لتعود سجينة البيت، دون أن يعنى الكاتب بتصوير معاناتها في الوصول إلى الجامعة مع أنه يشير إلى قسوة والدها الذي يكرهها على الزواج من رجل لا تريده، وينتهز

---

[1] انظر: هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ط1، دار النسر للنشر، عمان، 1995، ص ص18، 103.

[2] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص ص125، 130، 131.

[3] انظر: جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ط1، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، 1982، ص19.

[4] انظر: جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص15.

[5] انظر: قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1985، ص17.

[6] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص124.

فرص زجها خلف قضبان البيت؛ لتقـع فريسة للوحدة والآلام بعد التخرّج[1]، على نحو ما جاء في حوارها التالي مع ياسر: «بكت أسماء، تشنجت الكلمات في فمي، ودموعها كماء النار تذيبني، قلت لها بتوسل.

- لماذا تبكين
- سأعود إلى سجني... الآن أراك... أعيش معك بقدر ما أستطيع وأصبّر نفسي لأني سأراك كل صباح... أمّا في الأيّام القادمة، فلن أجد مبرراً للخروج سيتحول جميع أفراد البيت إلى حرّاس على بابي ستأكلني الليالي والوحدة... وربما لن أراك»[2].

جميع الحقوق محفوظة

يمكننا التساؤل كيف استطاعت أسماء دخول الجامعة والاختلاط بالشباب الذكور، دون أن يمانع والدها صاحب العقلية المتخلفة الذي يحرمها من العمل ويزجها في البيت سجينة دون أن يسمح لها بالخروج، فهي تقول: «أدخلوني البيت وقالوا: هنا المقر والمستقر، وطلباتك تلبى، وأمرك مستجاب، فلا تغادري البيت ولا تفتحي الباب لغريب أو ضيف، حتى يأذن الله، ويأتي النصيب، فتخرجين إلى بيت زوجك بيضاء كالحليب»[3].

وبينما أهمل الكاتب الأردني تصوير معاناة المرأة في السعي وراء العلم والثقافة، سعى الكاتب إلى رصد تأثيرهما في شخصيتها خاصّة على الصعيد الفكري، فعلى سبيل المثال تتحوّل فاطمة بعد تخرجها من الجامعة الأردنية من فتاة مراهقة ساذجة، تحتكم إلى عواطفها عند قراءتها لقصائد حسن إلى فتاة ناضجة على المستوى الفكري؛ فهي قادرة على تمييز الغث من السمين والخطأ

---

[1] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص133.

[2] المصدر نفسه، ص135.

[3] المصدر نفسه، ص137.

من الصواب والجيد من الرديء؛ فالسارد يقول في وصف تحولها: «فاطمة وقّاد، تحمل البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها، تعرف الآن، أنّ ما كان يسميه شعراً، هو كلام عقيم، وأنه صدأ الحروف، ليس فيه من فن النظم شيء... كلام مراهقين... لا يعرفون غير الثرثرة الخاوية»[1]. وفي موضع آخر نجد فاطمة تناجي نفسها ناقدة لشعر حسن بقولها: «يدعي الشعر ويلوك الكلام الوضيع، ويصوغ الصور الحمقاء، يكسر قواعد اللغة ويمحو بهرائه أصول النحو»[2]، لقد غدت فاطمة قادرة على الاحتكام إلى عقلها وخبراتها العلمية في إطلاقها للأحكام على أعمال الآخرين، وقد أكدّ الكاتب على نضوجها الفكري حين وازى نقدها لشعر حسن بنقد أساتذته لشعره، فهو يقول: «من الأشياء التي زادت في حزني وكآبتي، أنني عندما عرضت نماذج من شعري على بعض مدرسي الأدب في الكلية، اكتشفت بأنني لم أقبض يوماً على زمام الشعر كما كنت أتصوّر، وأنّ الوزن يعاندني، واللغة ليست دائماً طوع قلمي، فتألمت وبصقت على أفكاري الغامرة، أسفت على ضمور قلبي وحروفي المعوّقة، فبدت لي قصائدي، كأجنة ميتة»[3].

لقد انبرى الكاتب الأردني إلى تصوير انكباب المرأة على القراءة، التي تسهم في استقلالها وبناء ذاتها ولملمة شتاتها؛ فابنة عيسى ست الحسن أسيرة القلعة تشغف بالقراءة، وتغوص في الكتب، وتلج أعماقها لتروي توقها إلى الحياة، وتستمر في مطالعاتها، وتتخذ القرار بضرورة إنقاذ ذاتها وتحقيق مجدها الخاص بالتمرد على الوالد وتخطي قواعد قلعته وعاداتها، واحتضان العالم الخارجي المتمثل بالارتباط بدحام الذي شكلت صورته بالنسبة إليها الرديف

---

[1] هزاع البراري، الغربان، ص29.

[2] المصدر نفسه، ص26.

[3] المصدر نفسه، ص183.

الحيّ للبطولة والنقاء اللذين كونتهما مطالعاتها وأحلامها، فهي ترى في دحام بطلاً قوياً ترتسم صورته على خلفية من النقاء والتجرد كونتهما في حزمة الشعاع المتسرب إلى داخلها من وهج الحياة، كما أنها رأت في إنقاذها له من الطوفان إنقاذاً لنفسها من التعفّن وراء أسوار القلعة[1]، لذا نجدها تصطدم مع والدها في حوار عنيف على النحو التالي:

- «(لن تخرجي)، صاح بها البيك مخترقاً عزلتها وكأنه يقرّر ما يجول بخاطرها.

ارتجفت، أزاحت يده من طريقها وهبطت الدرج مجتازة لحظة التردد والخوف لحقها البيك متهالكاً على الدرج مسك ذراعها (ارجعي لا تفضحينا).

لفت شالها حول وجهها وقالت بحزم (الفضيحة... أي حدث أهون من التعفن هنا...)

(هل تسعين لإنقاذ راع لا يأبه له أحد؟)

(بل أسعى إلى إنقاذ نفسي)

(لكنه دحام) قال والدها برجاء بعد أن عرف صلابة تصميمها.

لن ينقذني من عفن بيتك الكبير إلاّ رجل كانت الشمس هوايته»[2]، لقد نجح الكاتب في الكشف عن تصميم ست الحسن على الانعتاق والحرية والتمرد والرفض باستخدام السرد والحوار الخارجي، كما تمكّن من الإشارة إلى هزيمة البيك واستسلامه وانهيار مسلماته ومعتقداته بتغيير لهجته في الحوار من لهجة آمرة ناهية، تحمل دلالات الغضب والتهديد إلى لهجة الترجي والاستسلام والخضوع، ممّا يدل على انتقال ست الحسن من موقع

---

[1] انظر: هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص ص106، 130؛

نبيل حداد، الرّواية في الأردن في الثمانينات، أبحاث اليرموك، م7، ع2، جامعة اليرموك، 1989، ص ص72، 78.

[2] هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص131.

الضعف إلى القوّة، وتحوّل موقع الوالد من القوة إلى الضعف، فدوام الحال من المحال، إضافة إلى أنّ المرأة متمثلة في شخصيّة ست الحسن، والرجل متمثلاً في شخصيّة دحام يملكان الحق في البحث عن حريتهما بعيداً عن قيود الأسرة والمجتمع[3].

ولم ينفرد هاشم غرايبة بتصوير انكباب المرأة على القراءة، بل عمل جمال ناجي على ذلك في روايتيه "الطريق إلى بلحارث" و"وقت"، فنادية في روايته الأولى كلما قرأت أكثر ازداد شعورها بالفخر والثقة أكثر، لذا نجدها تصر على إخبار عماد/ الراوي ملهمها الروحي بعشقها للقراءة في رسالتها له، حيث تقول: «صرت أقرأ وكنت تشجعني وترسل لي الكتب السميكة فأسهر الليالي الطويلة وكنت كلما قرأت شيئاً جديداً ازدادت ثقتي بك... أنت الذي حملتني هذا العبء من الكتب والأمل»[1]، وتستمر قائلة: «لمّا سافرت أنت، بقيت أقرأ مثلما عهدتني، بل أكثر، صحيح أن فراقك شغلني أكثر من لقائك، هذه حقيقة يجب أن أعترف بها، إلاّ أنني أجد الفرصة للقراءة، أما زلت تقرأ مثلما كنت؟»[2] فنادية مع انشغالها الذهني بسفر عشيقها، ورفضها لهذا السفر لما يحمل من غدر للوطن وطعن بمعتقدات عماد أيام الدراسة «كنت تتحدث عن الوطن بحرارة المناضلين»[3] ما زالت تصرّ على القراءة التي مكنتها من اكتشاف الهوّة بين النظرية والتطبيق، وبين القول والعمل، وبين مثالية الكتاب وحقيقة الواقع، فها هي تقول: «كل شيء في المخيم كان يطاردني، وأسأل نفسي هل اقترفت ذنباً، وأنت المسافر يا عماد لا أنا، ولأول مرة اكتشفت بأن ما قرأته عن الوطن ليس أكثر من رغام أسود على ورق مصقول، إذا لم يقرأ في طرقات

---

[3] المصدر نفسه، ص107؛

سليمان الأزراعي، الحرية والديمقراطية في الرّواية الأردنية، أفكار، ع107، عمان، 1992، ص40.

[1] جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص63.

[2] المصدر نفسه، ص64.

[3] المصدر نفسه، ص63.

المخيم الموحلة، وعندما سافرت كدت أحرق كل الكتب والدفاتر التي ألقمتني إياها، ولكنني هنا، لم أسافر وأشتاق لك كثيراً، حينما أتذكر لحظة انطلاق الطائرة بك وبرفاقك المدرسين، أحسّ بأنّ شيئاً ما غير صحيح يهتز في كيان علاقتنا وفي فهمنا لتلك الكتب التي قرأناها»[4].

وأمّا فتحية في رواية "وقت"، فيصور الكاتب تأثرها الإيجابي بما تقرأ وبمعلوماتها الكثيرة من خلال ما جاء على لسان راوي ضمير المتكلم "منير" حيث يصف تدخلاتها الحادة ومناقشاتها الواعية في الحوارات السياسية بقوله: «لكن الذي حيّرني وأطار صوابي، أنّ فتحيّة أيضاً كانت تملك الكثير من المعلومات التي أعرفها أنا، وأنا الذي أسأل يا فتحيّة: من أين تأتين بهذه المعلومات، الخطيرة؟»[1].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إلاّ أنّ الإجابة عن هذا السؤال لا تختفي في ثنيات الرواية، وإنما يجدها القارىء بسرعة في وصف الكاتب لانهماك فتحيّة في القراءة على لسان منير الذي يستذكر الماضي قائلاً: «وأراك في الفناء تقرئين، دائماً تقرئين يا فتحيّة! ماذا تقرئين؟ وشعرك يسيل على قبّة فستانك الزهري، عيناك تلتهمان صفحات الكتاب، ماذا تقرئين يا فتحيّة... أناديك من وراء الحائط الطيني... فتحيّة فتردين من وراء ذلك الحائط ماذا تريد يا منير؟

- : أريد أن أراك؟
- : ها أنت تراني.

---

[4] المصدر نفسه، ص65.

[1] جمال ناجي، وقت، ط1، دار ابن رشد، عمان، 1984، ص141.

– : أريد التحدث معك. فتضعين يدك بجانبك ثم تعقدين يديك حول ركبتيك... تفضل، تحدّث تقولينها بنفاد صبر»[2].

يدل الحوار على انشغال فتحيّة بالمطالعة والتعلم وتبرمها من منير، لأنه يحاول قطع خلوتها مع الكتاب الذي تعشقه، والذي يؤمّن لها النضج الفكري والاستقلال بالرأي عن الآخرين.

وبينما شكّل العلم عاملاً إيجابيّاً في التكوين النفسي والفكري لنادية وست الحسن وفتحيّة، فإنه لم يترك آثاره الإيجابية في شخصيّات أخرى، كشخصية سمر في "ورقة التوت"، حيث صار علمها مجرد صفة تلحق بها، إضافةً إلى صفاتها الأخرى – الجمال والرقّة والثراء – فتعليمها لم يسهم في ارتقاء فكرها وفلسفتها في الحياة من حولها، فكان أهمّ ما يرضيها رجل يداعب رغباتها، ومجلة تقرأ فيها عن خصوصيّة العلاقة بين الرجل والمرأة[1]، فالسارد يقول في وصف نظرتها إلى الحياة: «فكرت ماذا تريد فتاة مثلي من الحياة غير ذلك، ولم تكن لتصدق أنه في الحي الشرقي من المدينة التي ولدت فيها، وعاشت فيها وشهدت فرحاً دائماً فيها، أنّ هناك أناساً يموتون من الحزن»[2].

ولمّا كانت معظم الشخصيّات النسائيّة الشابّة الروائيّة المؤثرة في الإحداث والمتأثرة بها، متعلمة أنهت دراستها في الجامعات والمعاهد كان لا بدّ لها من الانطلاق إلى الشارع والتحرر من الأسر الأبوي واقتحام ميادين الحياة، وبالتالي مزاولة الأعمال المختلفة التي أسهمت في نموها الفكري وتفتحها وتحررها من قيود التبعيّة الاقتصاديّة للرجل، حيث أصبحت المرأة مستقلّة مكتفية ماديّاً

---

[2] انظر: المصدر نفسه، ص144.

[1] انظر: قاسم توفيق، ورقة التوت، ص75.

[2] المصدر نفسه، ص78.

وفكريّاً، فهي تستطيع إعالة البيت والأسرة، وتشارك الرجل همومه الماليّة، وتخفّف من أعباء الحياة الثقيلة التي كانت ملقاة على كاهله في الأزمنة الماضية التي كانت ترى في عمل المرأة عيباً وحراماً لا يجوز لها ممارسته.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المرأة والعمل:

استطاعت المرأة في الرواية الأردنيّة الفكاك من قيودها المنـزليّة والخروج إلى الشارع ومزاولة الأعمال المختلفة التي منحتها قوة وجرأة وخبرة مكنتها من مقاومة شرور الواقع الخارجي الذي تعيشه، ويسرت لها فرصة للمساهمة في بناء أسرتها ومجتمعها عن طريق حماية نفسها وتحولها إلى منتجة بدلاً من مستهلكة.

ويمكننا أن نوزع أبرز الأعمال التي مارستها المرأة في الرواية الأردنية إلى مجموعات أهمها: أولاً الأعمال اليدوية وهي الأعمال التي لا تحتاج إلى مؤهلات علمية، وإنما تكتفي باستعمال اليدين والعضلات والعينين وباقي الحواس وقليل من الفكر[1]، ومن أمثلتها الخياطة التي عملت بها أم ياسر وفاطمة حيث تقول لولديها: «ماكنة الخياطة هذه التي ترونها مضحكة بقدمها، سترتنا، ولم تحوجنا لأحد، أقسمت بأن لا أتزوج بعد حمدالله، وأن أجاهد الحياة، كجهاده وأربيكم كما كان دائماً، هيه دنية دوّارة»[2].

يبدو أنّ الخياطة من أهمّ الأعمال التي مارستها المرأة الأميّة غير المتعلمة، للحفاظ على نفسها وأولادها وتربيتهم تربية مستورة تبعدهم عن العوز والإذلال والبؤس وتحفظ لهم قوت يومهم على الأقل؛ فهذه المهنة لم تقتصر على أم ياسر فقط، وإنما زاولتها كذلك أم عماد التي يقدمها بقوله: «ووالدتي ليست بسيطة، فعلى الرغم من أميتها، إلاّ أنها تزن الأمور بمقياس مادي صرف، هكذا علمّها كرسي الماكينة»[3].

---

[1] انظر: حسين أمين، المرأة بين الشارع والبيت، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص36.

[2] هزاع البراري، الغربان، ص124.

[3] جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص10.

إنّ عمل المرأة في هذه المهنة الخياطة أكسبها استقلالاً عن الأقارب، وقدرة على التفكير، لكنه أورثها في الوقت ذاته المرض والنحول والقلق، فعماد يقول في وصف حال أمه: «وسترمي تلك الأثواب الحاسرة المنكبة التي مللت رؤيتها على جسدها، وسوف تستريح من الخياطة، تبيع الماكينة تتخلّص منها، ستنام ليلها الطويل دون خوف من تكاليف الصباح»[1].

ومن الأعمال اليدوية التي مارستها المرأة الغزل والنسيج؛ فابنة عيسى ست الحسن تكفيه حاجة أهل القرية بعد أن خسر تجارته في المدينة بمزاولتها لهذه المهنة، فالسارد يصف اعتماد الوالد على ابنته وعملها بقوله: «هكذا صار رهين فشله، سجين قلعته، لا معين له إلاّ ما تنسجه ابنته وما تخيطه، كان يخبىء ما تنتجه في عبه، ويتسلل إلى المدينة يبيعه في سوق إربد ويبتاع قوتاً، ثم يعود على عكازه متهادياً إلى قلعته كأنه لص يخاف عيون الناس، لكنه حين يوصد الباب خلفه يحاول أن يمارس شيئاً من جبروته المفقود على وحيدته، فيعيشان صراعاً مرّاً ولا أحد فيه يقبل أن يستسلم»[2]. يكشف النصّ السابق عن نوع العمل الذي مارسته ابنة عيسى وعن أهميته في حياة الوالد بعد أن أصبح فقيراً معدماً لا يملك قوت يومه، كما يبين إصرار الأب على ممارسة سلطته على ابنته التي أكسبها عملها قدرة وإصراراً على مقاومة جبروت الوالد، فهي لا ترضى أن تتنازل له وتخضع، بعد أن أصبحت مستقلة مسؤولة عن تمويل والدها وحمايته من التسوّل والتذلل لأهل القرية.

ومن الأعمال اليدوية التي مارستها المرأة، وبخاصة الريفيّة، الزراعة والرعي؛ فسعاد لا تذكر عن أمها إلاّ عملها الشّاق في الزراعة قبل زواجها المبكّر وبعده، فتصفه في موقفين؛ الأول قبل الزواج حيث تقول: «أمي امرأة

---

[1] جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص ص9، 30.

[2] هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص93.

تنقّب عن قدرها المنسي، في متاهات الجوع، وقسوة الظروف، أمضت صباها في الرّعي والزّراعة، وقطع القفار حافية»[3]، والثاني بعد الزواج وتقول فيه: «دخل بها الرجل الكئيب، الذي لم تعرف اسمه إلاّ وهي تُساق إلى كهفه الذي يشبه مقابر الرومان الغابرين، ولم يتغيّر الحال، بل ازداد سوءاً، فأصبحت تحفر الأرض مع زوجها بأصابعها، ترعى قطيع الماعز حافية، وتنجب أبناءها وهي تعمل في الأرض»[1].

نلاحظ أنّ عمل المرأة في الزراعة في الرّواية الأردنية لا يعفيها من مهامها الأخرى تجاه الزوج والبيت؛ لذا فإنّ هذا النوع من العمل الشاق الذي يتطلب من المرأة وقتاً وجهداً وقوّة بدنية، يفتك بها ويجعلها عرضة للأمراض التي تنهكها وتؤدي بها إلى الموت أحياناً كثيرة، كما حصل لوالدة سعاد التي فتك بها مرض السل «حتى غدت هيكلاً يغطيه الجلد، عينان جاحظتان وأمان محنطة منذ الولادة بلا روح، حتى سقطت ميتة، بهدوء دون ضجيج»[2].

وحريٌّ بنا أن نذكر أنّ هذه الأعمال لم تفرض على المرأة الخروج إلى الشارع، بل مكنتها من ممارستها داخل بيتها وفي إطار أُسرتها ومراقبة زوجها الذي شكّل في بعض الأحيان عائقاً من عوائق عمل المرأة، فقد حبسها ومنعها من الخروج من البيت بحجة واهية هي الخوف عليها من مواجهة مضايقات الرجال الآخرين الذين لا تستطيع حماية نفسها منهم.

ثانياً: الأعمـال العقلية والذهنية: وهـي الأعمال التي تحتـاج إلى إعمـال العقل المؤهل علمياً، المسلح بالعلم والمؤهلات المناسبة لنوع العمل، الّذي تمارسه الشخصيّة، فيمكنها من التفكـير والاستنتاج وحلّ المشاكلات وخلق

---

[3] هزاع البراري، الغربان، ص164.

[1] هزاع البراري، الغربان، ص165.

[2] المصدر نفسه، الغربان، ص165.

الأفكـــار الجديدة التي تسهم في تقـدّم العمل، فلا تكون المرأة لذلك عائقـاً أمام العمل بل سبباً في استمراره وتقدمه[3]. ومن أبرز هذه الأعمـــال التعليم وتربية الأجيال الناشئة والتمريض وإدارة المدارس والشركات والمحلات. ومن البديهـــي أنّ هذه الأعمال هـــي أعمال مشروعة، سمح للمرأة بتداولها علنـاً والخروج من البيت لمزاولتها، لكنّ السؤال الذي يمكن إثارته هو هل استطاعت المرأة التوفيـــق بين عملها خـــارج البيت وداخله؟، وما التغيّرات التي طرأت على واجباتها نحو زوجها وأبنائها؟، إنّ عمل المرأة في الرواية الأردنية خارج البيت لم يشغلهـــا عن بيتها وزوجهـــا ومسؤولياتها، فعلى سبيل المثال نرى أنّ عمل المرأة في التعليم لم يعفها من واجبها المنـزلي ولم يحملها على التقصير في واجباتها نحو زوجها، بـل شكّل ذهابها إليـــه واجبـــاً أسريـــاً جديداً، يسهم في تحسين وضع الأسرة الاقتصادي، فعزيزة – زوجة علي – المعلمة تلقي حصصها في المدرسة، لتعود إلى البيت، وتبدأ بممارسة وظائفهـــا البيتيّة المختلفة كالتربية والتنظيف وطهو الطعـــام والترتيـــب والغسيل، علـــى نحو ما جاء على لســـان عماد/ الـراوي في تقديمه لشخصيّة علي مـــن الخارج، فهو يقـــول: «أمّا لباس علي فهو الدشداشة الناصعة البياض، كل يوم يلبس دشداشتـــه وزوجتـــه تحسن الغسيل، أحياناً أحسده على هذا النعيم الذي يعيش فيه مع زوجته، أتمنى لو أنّ نادية تعيش معي هنا»[1].

استطاعت المرأة التوفيق بين عملها وبيتها، كما استطاعت بقدرتها على ذلك إقناع الرجل/ عماد بضرورة تمني امرأة تشاركه مشّاق الحياة وصعوباتها، فعملها لم يقلل من واجباتها، بل منحها القوّة على المشاركة والتفاعل مع المجتمع

---

[3] انظر: حسين أمين، المرأة بين الشارع والبيت، ص38.

[1] جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص ص67، 98.

ومؤسساته المختلفة بدلاً من الجلوس خلف قضبان البيت التي تزيد من أميتها وجهلها وتقلل من خبراتها في مختلف ميادين حياتها الاجتماعيّة.

وقد أدت قدرة المرأة على التوفيق بين عملها وبيتها إلى تحويلها إلى "وسيلة للربح"[2]، فالأستاذ علي يصرّ على أن ترافقه زوجته في السفر إلى بلحارث لمزاولة عملها مع أنها تعاني من آلام المخاض. وقد كشف الراوي عن استغلال علي لزوجته عزيزة في الحوار التالي بين عماد ومنصور "قال منصور: قد تلد في أية لحظة.

- ولماذا تسافر؟ فأجاب بنفاد صبر.
- لأنها معلمة، ولأنّ زوجها الأستاذ علي، لا يريد أن يضيع العام الدراسي عليها، لأنهم سيشطبون اسمها إن تأخرت عن القدوم إلى هنا في الوقت المحدد.

جميع الحقوق محفوظة

- ألا ترى بأن العلم أصبح مصيبة للبنات؟»[1]، إنّ استغلال بعض الرجال لعمل المرأة بصورة سلبية وثانوية بسبب ظروف الحياة القاسية لا يمكننا عده سبباً في أن يصبح علم المرأة ووسيلتها إلى الارتقاء مصيبة، بل ما زال يحتفظ بمكانته المهمّة في الحياة؛ فيكفي أنه عمل على مساعدتها في الخروج من عالم الظلم والجهل والأميّة إلى عالم النور والثقافة والتقدّم؛ فأصبحت المرأة تشارك الرجل في الحياة جنباً إلى جنب، بعد أن كان الرجل سيداً والمرأة تابعاً لا تتحرك إلاّ كما أراد لها سيدها.

ومثلما استطاعت المرأة الأردنية التوفيق بين عملها في الخارج في بلحارث تيسّر لها ذلك في عمان، فسعاد الممرضة تعمل "أكثر من عشرة رجال"

---

[2] إبراهيم خليل، الرّواية في الأردن، ط1، دار الكرمل، عمان، 1994، ص40.

[1] جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص18.

في إحدى المستشفيات في عمان بعد أن أصبحت المعيل الأول والأخير لعائلتها التي فقدت معيلها الأصلي الأب بسبب مرضه الشديد، فها هي تقدم نفسها بقولها: «أنا أكبر إخوتي، جاء بعدي [ولدان]، وماتا بعد ولادتهما بأيام، بعد ذلك جاءت زينات ومجدي، وكانت تسكن بالقرب منّا، امرأة شركسيّة، عندما رأت حالنا، أحضرتني إلى هذه المستشفى، التي كانت تعمل بها، ومنذ ذلك الوقت وأنا أعمل وأعيل أسرتي، هذا أنا باختصار»[2]. من هنا نجد سعاد قادرة على التوفيق بين مسؤولياتها في تربية إخوتها ورعاية والدها المريض العاجز وواجبات وظيفتها في المستشفى.

وقد رافق عمل المرأة وظيفتها الأولى ألا وهي الأمومة، فحنان امرأة ناضجة ثرية متعلمة تعرضت لتجارب قاسية أهمها فقدان والديها، ومن ثم زوجها، ممّا جعلها ترى في العمل وسيلة للتسرية ولجمع شتات ذاتها التي تعرّضت للانهيار نتيجة للآلام والأحزان المتكررة، فهي تقول: «انقلبت حياة اللهو لديّ إلى كابوس صحراوي، إلى دموع لا تعرف النضوب، وقررتُ أن أتفرّغ لإسماعيل (ابنها)، وأن أدفن أنيني في العمل، وأخذ إسماعيل بالرغم من كل شيء يكبر، فإذا نظرتُ في عينيه، وجدتُ النور يغمر ظلام أحزاني المتوثبة»[1].

لقد رأت حنان في العمل والأمومة وسيلة لنسيان الماضي وآلامه؛ «فحملتُ إسماعيل وعدتُ إلى عمّان، كانت عمان تتمتع بطفولتها، قبل أن تصبح بهذا الشباب وهذا الاكتظاظ، وعشتُ هنا وتفرغت لأمرين، إسماعيل والعمل»[2]. وبذا استطاعت المرأة أن توفّق بين عملها وأمومتها دون الإخلال

---

[2] هزاع البراري، الغربان، ص161.

[1] هزاع البراري، الغربان، ص106.

[2] المصدر نفسه، ص107.

بإحدى الوظيفتين؛ فحنان تنجح في إدارة مؤسستها التجارية، وتنجح في رعاية ولدها إسماعيل الذي يموت في عيد ميلاده الثالث عشر، فتعود حنان مرّة أخرى للغرق في أحزانها إلى أن تقرّر مرّة أخرى العودة إلى العمل للتعويض عن الفراغ العاطفي الذي خلّفه أحباؤها في نفسها الحزينة الجريح، فنجدها تقول: «قررت أن أدوس الحياة وأن أغرق بأعمالي، فلا أعود أذكر متى ولدت وأين عشت وكيف أصبحت»[3].

ثالثاً- الأعمال التي تمارسها المرأة معتمدة فيها على "شكل الجسم والوجه والصوت"[4]، وأهمها في الرّواية الأردنيّة الأعمال المتعلقة بالتسويق والبيع والشراء، والأعمال التي تحتاج إلى من يتقن العلاقات العامة والسكرتارية، ومن هذه الأعمال الأعمال الاستعراضيّة الراقصة التي تزاولها بعض الشخصيّات الروائيّة الثانويّة المجردة من الملامح في الملاهي والبارات، وهي أعمال غير مشروعة تمارس سراً لكونها مرفوضة بين الناس على المستويين الرّوائي والواقعي، فالراقصة امرأة منحرفة السلوك لا يمكن أن تكون سوية الخلق، تعتمد على مفاتنها الأنثوية وشكلها الخارجي في لفت انتباه الرجال وجذبهم لمشاهدتها، على نحو ما جاء في المشهد التالي: «وجوه الناس هنا تفيض إشعاعاً وتألقاً، والبشر يشربون، ويقهقهون باسترخاء، ثم ينظرون إلى الموسيقيين الذين يعزفون ألحاناً غريبة، حتى إذا ظهرت الراقصة على المنصّة علا التصفيق والصفير، ويصبح اللحن شرقياً ينساب عبر خصر هذه الراقصة الجنيّة...، كان لباسها كجناح الفراشة، إذا حرّكته بان جسمها شهيّاً، أمّا العيون التي ترقب أدنى الحركات بشغف الأرض العطشى إلى نسمة غربية، كانت تبتسم بخبث وهي

---

[3] المصدر نفسه، ص109.

[4] حسين أمين، المرأة بين الشارع والبيت، ص35.

ترى العيون تستبيح مفاتنها المتوثبة للانقضاض، بعد ذلك أمطرت الأيادي النقود تحت قدميها القافزتين»[1].

إنّ هذه الأعمال منحت المرأة الكثير من الأموال، لكنها سلبتها شرفها واحترامها لذاتها، فقد غدت هذه النماذج النسائيّة وسيلة للإمتاع والترفيه لا غير.

أمّا أعمال البيع والشراء في المحلات التجارية، التي فرضت على المرأة الاهتمام بمظهرها الخارجي الذي يجب أن يلفت النظر، فتمثله هاجار الشخصيّة النسائيّة الرئيسة في "مخلفات الزوابع الأخيرة"، حيث عملت في المحل التجاري الذي يملكه نزار أبو خنجر في وادي الغجر الذي يشترط في موظفته مجموعة من المواصفات أهمها الوسامة، والرقة واللطف، والذوق، بالإضافة إلى المظهر الأنيق فاهتمامها بمظهرها إنما هو جزء من صميم عملها[2]، لذا نجد زوجة نزار تغدق عليها «الكثير من أسباب تحقيق هذه الأناقة: منحتها فستانين يليقان بقوامها، [وحذاءين] بكعبين عاليين، وحزامين دقيقين ملونين، وطوقين بلاستيكيين لشعرها...، ثم أوضحت لها طرائق العناية بملابسها وشعرها ووجهها، لأنّ فتيان الوادي ولا سيما الغجريات، سيقتدين بها، سيقلدنها، لذا عليها أن تقوم بتوجيه أذواقهن نحو أصناف محدّدة من الملابس»[1].

كما أنّ نزار صاحب المحل التجاري رأى أنّ عمل المرأة في المحلات التجارية يجذب الكثير من الزبائن وبخاصّة الشباب الذين يميلون بطبيعتهم الغريزيّة للمضايقات والمشاكل؛ على النحو التالي: «تهافتت فتيات الغجر والفلاحين على محله، يدفعهن إلى ذلك إعجابهن الخفيّ بها، ازداد إقبال الشباب

---

[1] هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ص147.

[2] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص118.

[1] جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص119.

أيضاً على النوفوتيه، ربما بدافع من رغبتهم في التحدّث إلى هاجار عبر مشروعيّة العمل التي مكنتهم من سماع آرائها في أنواع الملابس وألوانها وأشكالها، وصاروا يتلمسون متعة امتلاكهم حق التحدّث إليها على مرأى من الآخرين الذين لا يفسرون الأمر بطريقة مغلوطة، فهي تبيع وهم يشترون»[2]، وهؤلاء الشباب هم أنفسهم الذين انتقدوا هاجار لعملها في "نوفوتيه" نزار «فقد أحسّوا بأنّ في إقدامها على خطوة العمل في النوفوتيه خروجاً على مألوفاتهم»[3]، ممّا يدل على أنّ عمل المرأة في المحلات التجارية يلاقي انتقادات كثيرة وبخاصّة من الرجال.

جميع الحقوق محفوظة

وبينما كان المظهر الخارجي أهم المؤهلات التي قدمتها هاجار للفوز بالعمل عند نزار، نلاحظ أنّ هيفاء تقدّم علاوة على مظهرها وجمالها وأناقتها مؤهلاتها العلميّة والعمليّة، فتجمع بذلك بين جمال الجسم ونور العلم وسرعة البديهة، يقول الصيرفي في وصفها لنوفل صاحب العمل الذي يعجبه في المرأة أمور ثلاثة؛ رشاقتها وذكاؤها وكفاءتها العلمية ، إنها تفهم كل أصول العلم والتعامل مع العملاء، ثم إنها تتقن الإنجليزيّة كالإنجليز تماماً، بل إنها تشرّبت طباعهم، لقد درست في لندن أيّام كان والدها حياً وتربت في بيئة دبلوماسيّة، يكفي أنها تجولت في ثلاثين بلداً، هذه الزيارات بحدّ ذاتها ثقافة، إنها تغني المرء عن قراءة مئات الكتب، لا ينقصها شيء، جميلة، ناعمة، منطقية، تفكر بالطريقة التي تعجبك: الطريقة العملية: واحد زائد واحد يساوي [اثنين]»[1]، لقد امتلكت هيفاء الكثير من المؤهلات التي يجب أن تتسلح بها المرأة من أجل المضي قدماً في أعمال السكرتارية والتجارة وإدارة الأعمال التي تكسبها قدرة على الشعور

---

[2] المصدر نفسه، ص120.

[3] المصدر نفسه، ص121.

[1] جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص93.

بالاستقلاليّة، وتمنحها مصدراً للرزق ينأى بها عن التذلل للرجل والاعتماد عليه في النفقة، فهي قادرة على كفاية نفسها كل ما تحتاج إليه دون أن يضطر الرجل إلى التفكير بأنه يجب «أن يمتلك ثمن طعام زوجته وشرابها، وملابسها وسجائرها وأحذيتها، ومواد زينتها، وتكاليف تصفيف شعرها، ومصاريف زياراتها وعلاقاتها المتعددة»[2]، إضافة إلى مصاريف نسوية أخرى لا يعلمها إلاّ اثنان الله والزوجة ذاتها[3].

رابعاً: الأعمال التي تحوّل فيها المرأة جسمها وسيلة للارتزاق باحتراف البغاء، وهذا النوع من الأعمال غير مشروع لا يقبله الناس، لأنه يحرم المرأة من الحفاظ على شرفها ويعرّضها للتعامل مع كثير من الرجال الشاذين الذين لا يرون فيها سوى أداة للمتعة وتحقيق الرغبات ووسيلة لإضاعة الوقت وتفريغ الشهوات الشاذّة[4].

والكاتب الأردني عند تصويره لمثل هذه الشخصيّات عادةً لا يعتني إلاّ بمظهرها الخارجي، فيصورها ثانوية ومسطحة وسلبية، يأتي بها لتخدم موقفاً أخلاقياً في النّص، فهي شاذّة، لا مبالية لنظرات الناس التي تدين أفعالها، يهمها المال والمتعة، وتسعى وراء مصالحها الذاتيّة، ولا تشبه المرأة الأردنيّة إلاّ في جنسها الأنثوي وجنسيتها الأردنيّة، ولعل غاية الكتاب من تصويرها إدانة المجتمع الذي يفرز هذه الطبقة من الشخصيّات النسائيّة التي تكون في بداية عملها ضحية، فأمل ما هي إلاّ فتاة مراهقة تتحول إلى امرأة تحترف البغاء، لأنها تقع ضحية لإهمال الزوج والزوجة، فالسارد يقدم هذه الشخصيّة السلبية، بقوله: «حنا يعرفهما مثلما يعرف كل الناس هربت زوجته مع سائق

---

[2] المصدر نفسه، ص74.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص74.

[4] انظر: حسين أمين، المرأة بين الشارع والبيت، ص32.

شاحنة تذهب إلى الخليج وتركت له أمل صبية، يتفتق جسدها عن صدر ناضج وردفين كبيرين، تلهى بالخمر، وتلهت ابنته بمعاكسة شباب الحي، يقفزون إليها من فوق السور، يسرقون قبلة أو لمسة تطفىء حرارة أجسامهم المشتعلة»[1]؛ لكن أمل الفتاة البسيطة المراهقة تضطر إلى شقّ طريقها وحيدة وفي سن مبكرة دون أن يرشدها أحد إلى الصواب أو الخطأ، فحتى والدها كان دائماً منطوياً متقوقعاً على نفسه متلهياً عنها بعالم الخمر الذي يمكّنه من الهرب من واقعه إلى عالم آخر يفقد فيه السيطرة على عالمه الحقيقي، مما دفع أمل إلى أن تلهث وراء تحقيق رغباتها على النحو التالي: «وكلما هبّ جسدها ونضج، كلما أحست بنهم الرجال حولها يودون التهامها، ولمّا كبرت لم يتقدم أحد لخطبتها من أبيها، رسمت لها هدفاً وصارت تدعو الرجال مقابل ما يدفعونه لها، وببطء تحولت إلى امرأة أخرى، يودها شباب الحارة، وتأتي لبيتهم سيارات تحمل لوحات أجنبيّة في الصيف، وأبوها يعبق بالخمرة ويسحب أنفاساً من أرجيلته بتلذذ، فيبقى غائباً عن أنفاسه النهمة»[2]، «دون أن يتكلف عناء النظر إليها»[3].

وبينما كانت أمل ضحية الوالد الأب المستغلّ المهزوم في "عمّان ورد أخير" كانت فاتن ضحيّة الزوج الانتهازي فراس، فمحمد أبو سليمان يقدمه بقوله: «كلكم تعرفون أنه (فراس) يقود الرجال إلى زوجته (فاتن)، من أجل المشروب»[4]، ففراس رجل شاذ غير طبيعي، يصحب الرجال إلى بيته ويفرضهم على زوجته مقابل مقولته: «كم تدفع وأترك لكما البيت»[1]، وفاتن

---

[1] قاسم توفيق، عمان ورد أخير، ص109.

[2] المصدر نفسه، ص ص109- 110.

[3] المصدر نفسه، ص110.

[4] هزاع البراري، الغربان، ص38.

[1] هزاع البراري، الغربان، ص46.

امرأة سلبية تعودت الأمر واستساغته، فهي لا ترفض ولا تتمرد ولا تناقش زوجها بل تتقبل الأمر بسهولة، على النحو التالي: «وخزتني الكلمات المتملقة، نظرت إلى فاتن فلم تتغير ملامحها، وكأن الأمر لا يعنيها، أخرجتُ ما بجيبي وأظنها خمسين ديناراً، خطفها من يدي وخرج كالمذعور، تأملتها بنظرة لا أعرف كيف كان شكلها، وقلت مبتسماً: زوجك تحفة»[2].

لقد استطاعت المرأة في الرواية الأردنية الخروج من دائرة الرجل إلى دائرة أوسع هي الحياة، فاستقلت بنفسها وامتلكت حرية الاختيار ووفرت لوازمها، ولم يعد لزاماً على وليها القلق والتفكير في كيفية توفير احتياجاتها ورغباتها؛ فهي قادرة على أن تشاركه همه وتساعده على تجاوزه بممارستها العمل داخل البيت وخارجه، وخير مثال على الأثر الذي خلفه العمل في تطوّر شخصية المرأة هاجار.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالمتتبّع لشخصيّة هاجار يلاحظ نجاح المؤلف في تصويره التدريجي للتغيرات التي خلّفها العمل خارج البيت في شخصيّتها على المستويين الجسدي والفكري، أمّا أهمّ التغيّرات الجسديّة، فتكمن في تحسين مظهرها الخارجي تبعاً لما تفرضه وظيفتها - بائعة في محلّ تجاري -، فالسارد يصوّر تأثرها بالعمل قائلاً: «هكذا تغيّرت: في البداية تخلصت من القميص الليلكي، والمنديل الأسود الذي كانت تلفه حول شعرها ورقبتها، تأملتْ وجهها في المرآة، تنبهتْ إلى ما لا لزوم له من الشعر في أماكن مختلفة من وجهها فأزالته، وخطّت حاجبيها بالقلم الأسود، كحّلت عينيها، رتبت شعرها، ثم خرجت من البيت وسط فحيح الدهشة التي أصابت وجه سبلو»[3] حينئذٍ، تحوّلت هاجار وتطورت شخصيتها من فتاة بسيطة يتيمة مهملة لا تلقى العناية حتى من والدها الغارق في شرب الخمر إلى

---

[2] المصدر نفسه، ص47.

[3] جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص120.

امرأة عصرية متحررة قوية واثقة بخطاها ناضجة جميلة تثير بجمالها انبهار الشباب»[1].

أمّا على المستوى الفكري فكان من أهمّ التحولات الطارئة على شخصيتها البسيطة قدرتها على الاستقلال واتخاذ القرارات المتمثلة بالصمود الإيجابي في مواجهة الظلم المتمثّل في قرار التبليغ الذي يقضي بضرورة تسليم سكّان الوادي بيوتهم لمعروف المعروف، فهي ترفض دفع ثمن الأرض على الرغم من معرفتها بطرد نزار لها من العمل إن لم تدفع، كما أنها تصر على الوقوف مع الجماعة ضد زوجها عرقي الذي أصرّ على الرحيل من الوادي[2]، فالكاتب استطاع أن يتجاوز بشخصيّة هاجار همّها الخاصّ - دفع ثمن بيتها للمالك الحقيقي - إلى اعتناق الهم الجماعي والدفاع عنه طوعاً ودون مقابل حتى نهاية الرواية، مع العلم بأنّ هاجار قادرة على دفع ما يترتب عليها من أموال لمعروف المعروف[3].

بالإضافة إلى ذلك فقد وهب العمل هاجار قدرة على التمييز بين الرجال والغوص في أعماقهم، على النحو التالي: «لقد تعلّمت هاجار بمرور الأيام كيف تميّز بين الرجال، وكيف تعرف ما إذا كان الرجل راغباً في الشراء أم في المداعبة، أم في عرض إمكانية (الانبساط). وأصبح بمقدورها أن تحدد من خلال صوت الرجل، أو منطقه، أو مشيته، أو حركات عينيه أو يديه، ما إذا كان وقوراً أو سافلاً أو حتى عتلاً...»[4]؛ يكشف النصّ عن أهمّ المشاكل التي تتعرّض لها المرأة أثناء مزاولتها لبعض المهن، ألا وهي المضايقات الجنسيّة والهجمات

---

[1] انظر: عوني الفاعوري، أثر السياسة في الرّواية الأردنية، وزارة الثقافة، عمان، 1999، ص106.

[2] ناصر يعقوب، التجربة الروائيّة عند جمال ناجي، ص92.

[3] جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص ص285- 286.

[4] المصدر نفسه، ص78.

الذكوريّة على المرأة. والتي أدّت في رواية "الغربان" إلى المكائد وإلى استسلام المرأة متمثلة بأماني لمديرها في العمل/ حسن مجبرة، على النحو التالي:

« - أتعلمين كم أنت جميلة يا أماني.

- أستاذ حسن أرجوك... اترك يدي... بماذا تفكر؟؟

- أنت اقترحتِ بأن أتزوج... وسأتزوجك؟

- أنت مجنون... أنا متزوجة... ابتعد عني.

- زواج لبعض الوقت.

ارتعبت،... استجارت... بكت... قاومتني لكن ذلك ذهب هباء... ضاجعتها مجبرة...»[1]، مما اضطر أماني إلى ترك العمل في شركة الحنان التي يمتلكها حسن الذي يمثل في استغلاله لأماني نموذجاً سلبيّاً شاذاً مريضاً هامشيّاً على الصعيدين الفني والواقعي.

وقد لجأ الكاتب هنا إلى توظيف الجنس، لا لإثارة القارىء وحسب، وإنما للتعبير عن الدمار النفسي والاجتماعي الذي تعيشه الشخصيّة، ممّا يدفعها إلى الهروب من واقعها الاجتماعي وحتى السياسي في أحيان كثيرة إلى الجنس والخمر، حيث أصبحا يمثلان أداة للهروب من الظلم والفساد والتردي الاجتماعي والسياسي[2]، على نحو ما رأينا من انهزام والد حسن اجتماعياً إذ أجبره والده على الزواج من امرأة لا يحبها، وسياسياً إذ عاصر الهزائم العربية الإسرائيليّة التي تركت آثاراً سلبية في نفسه لسنوات وسنوات أوقعته في صراعات داخلية

---

[1] هزاع البراري، الغربان، ص118.

[2] انظر: شاكر النابلسي، كيف عبّرت الرّواية الأردنيّة عن الواقع المحلي والعربي، أوراق ملتقى عمان الأول (1992)، دار أزمنة، عمان، 1954، ص139.

جعلت منه فريسة للإنكسار والضياع؛ فقرر الانسحاب إلى عالم اللهو والنسيان الذي يحققه الجنس والخمر معاً[3].

وبينما استطاع الكثير من الشخصيّات النسائيّة الخروج من البيت لمزاولة عملها خارجه؛ اضطرت أخريات إلى مزاولة أعمالهن في البيوت، فما زال الرجل يشكّل عائقاً أمامها في رفضه لخروجها من البيت؛ فنزار صاحب العقلية المتحجرة حين تقترح عليه زوجته هادية فكرة المحل التجاري ينظر إليها بغضب ويقول بلهجة متوعدة: «لا أظنك تريدين العمل في النوفوتيه»[1]، لكنّ هادية تكون على قدر من الوعي والخبرة بالعمل، فتصرّ على أنها لن تخرج من البيت، وإنما ستفعل ذلك في بيتها دون أن تضطر إلى الخروج، فترد على زوجها رداً يداعب تسلطه ويقلل من غضبه، فهي تقول له: «طبعاً لا، ولكنني أستطيع المساعدة كثيراً وأنا هنا، في البيت»[2]، وبالفعل تنجح هادية/ المديرة في الباطن في توجيه زوجها نزار/ المدير في الظاهر وأمام الناس، فينجح في عمله ويفتتح محلاً تجاريّاً آخر دون أن يعطي زوجته حقها من التقدير والاحترام، فالنساء عنده غير أمينات على أنفسهن وأعراضهن، فمن أهم المسلّمات التي كان يؤمن بها نزار قوله: «لا يؤتمن للنساء»[3].

ومن النساء اللواتي منعهنّ الرجل من ممارسة حياتهن العمليّة، أسماء التي أنهت تعليمها الجامعي لتعود سجينة وراء أسوار البيت، تنتظر الرجل المناسب ليقتادها إلى بيت الزوجيّة، فأسماء لم تستطع التمرّد على الوالد وتوظيف علمها الجامعي لتستقل بذاتها عن الأسرة، وإنما وافقت مرغمة على أول طارق يطلب

---

[3] انظر: محمد سلام جميعان، الرفض والقلق والإدانة في رواية الغربان لهزاع البراري، أفكار، ع44، عمان، 2000، ص ص108- 109.

[1] جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص115.

[2] المصدر نفسه، ص115.

[3] المصدر نفسه، ص105.

الزواج منها؛ وتكشف عن ذلك في رسالة أرسلتها إلى ياسر، حيث تقول فيها: «أكتب لك الآن، وأنا أستعد لأن أزف، بل أُشيع إلى زوجي في الغد»[4]، ممّا يدلّ على أنّ المرأة حتى المتعلمة ما زالت تعاني في بعض الأسر قيود العادات والتقاليد المتوارثة رغم تطوّر المجتمع الذي تعيش فيه، والذي منحها حقّ الحريّة والعمل داخل البيت وخارجه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[4] هزاع البراري، الغربان، ص138.

المرأة والعمل السياسي:

نوّع الكتّاب الأردنيون في رؤاهم الفكريّة المتعلقة بعمل المرأة السياسي، واختلفوا في تصوير طموحاتها السياسيّة، فمثلاً كان دور المرأة السياسي غائباً في روايات قاسم توفيق الذي انشغل بالرجل ومواقفه البطوليّة ومعاناته في البحث عن حريّة العالم وتغييره، متناسباً دور المرأة في ذلك باستثناء إشارات مقتضبة، تسهم المرأة فيها إسهاماً جماعيّاً إلى جانب الرجل، فزينب يقتصر دورها السياسي على المشاركة في المظاهرة التي يخرج إليها حبيبها إبراهيم فهي تقول له: «لقد شاركنا في المظاهرات»[1]؛ ومثل هذه المشاركة الجماعيّة نجدها في رواية "عمّان ورد أخير"، إذ يقوم الراوي بوصف للمسيرة التي يجهز لها أحمد ورفاقه في حزبهم الذي يخلو من صوت نسائي واحد يشاركهم اجتماعاتهم الحزبيّة[2]، على النحو التالي: «جاءت المواكب من المدن والقرى، تجمّع موظفو الشركات والبنوك... وفتيات الاتحاد النسائي»[3].

كما أنّ المرأة في رواياته، اكتفت بانتظار الرجل السياسي المرهق المحتاج إلى من يسمعه ويشجعه ويشاركه همه وقلقه مشاركة معنوية نفسية خالية من العمل الفعّال المؤثر؛ فهيفاء الجامعيّة زوجة هاني الجابر المناضل المعروف، تنتظره وتنتظره ساعات وساعات إلى أن يعود من اجتماعاته الحزبيّة المطوّلة فتستمع له وتواسيه تاركة له الحرية في الإبحار في عالمه الخاص، فالسارد يصف جلستهما بعد عودته من اجتماعات الحزب الذي ينتمي إليه بقوله: «كانت هيفاء تتركه ليسبح متلذذاً بأحلامه، بالطقوس البديعة للذاكرة، السجائر،

---

[1] قاسم توفيق، أرض أكثر جمالاً، ص126.

[2] انظر: ص34.

[3] المصدر نفسه، ص37.

القهوة، نبرة الصوت الدافئة [الحنون]، ذاك البريق الحادّ في العينين وذاك الصوت الرخيم»[1]، وبالطريقة نفسها تشارك هيام أحمد الاستماع والتخفيف عنه بعد خروجه من المعتقل مثقلاً بالهم والحزن[2].

وبينما غابت طموحات المرأة السياسيّة في روايات قاسم توفيق، ظهرت طموحاتها في العمل السياسي بصورة ثانوية في أربع روايات: الأولى: "حوّاء"؛ فريم المعز على ثانويتها وتسطح شخصيتها غير المبررة في العمل الفني تمثل هذا الاتجاه، إذ كان دخول بطل الرواية صبحي إلى مكتب الحزب افتعالاً من قِبَل الكاتب، فهو يرى مكتباً لأحد الأحزاب ويدخله ويجلس مع سكرتيرته ويحدثها عن تجربته في السجن بسبب امرأة تعرّف عليها فخدعته، وهي مستمعة له دون أن تقاطعه، ودون أن تسأله عن حاجته، من ثم نجده يدّعي أنّ سبب دخوله إلى الحزب تذكّره بزميلته ريم المعز التي كانت تظهر إصراراً وتعلّقاً شديداً بالعمل الحزبي[3]، فهي «لا تدع مناسبة تفوتها، الأعياد الوطنية، القوميّة، المناسبات الخاصّة، تستغل حتى أتفه المناقشات لتروّج لأفكارها، حتى إذا أيدها شخص جرّته إلى حزبها»[4]، كما أنها تواصل أحلامها في العمل الحزبي بعد الجامعة، إلى أن تكوّن حزباً خاصّاً بها على حدّ قول سكرتيرة الحزب التي ما زال صبحي يحادثها، دون أن تسأله ما سبب دخوله إلى مكتبها، «للأسف حصلت بيننا وبينها خلافات، حول انتخابات رئاسة الحزب فانفصلت عنّا، وكوّنت حزباً جديداً لها، يحمل الاسم نفسه، لكنها أضافت كلمة (...) في آخر الاسم، وأصبحت أمينة

---

[1] قاسم توفيق، ورقة التوت، ص63.

[2] انظر: قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص70.

[3] انظر: هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ص101.

[4] المصدر نفسه، ص103.

لـه»[5]، وبانتهـاء المقابلـة بـين شخصـيّة الروايـة الرئيسـة (صـبحي) وسـكرتيرة الحزب تغيب شخصيّة ريم المعز في الرواية دون عودة إليها من قبل أيـة شخصـيّة من شخصيّات الرواية الرئيسة أو الثانويّة.

أمّا الرواية الثانية التي يظهر فيها إصرار المرأة على العمل السياسي فهـي "وقت"، متمثلة في فتحية، التي يبدو أنها منضمة إلى تنظيم سياسـي سـري تستقي معلوماتها السياسية الكثيرة منه[1]، فمشاركتها في الحوارات السياسيّة التـي كانـت تدور في بيت منير، تدلّ على ثقافة واسعة حول الواقع السياسي، ممّا أوقـع راوي الروايـة منيـر فـي الحيـرة؛ «لكنّ الـذي حيّرنـي وأطـار صـوابي، أنّ فتحيّـة أيضـاً كانت تمتلك الكثير من المعلومات التي أعرفها أنا، وأنا الذي أسأل الآن يا فتحيّـة: من أين تأتين بهذه المعلومات الخطيرة»[2]؛ ومن المعروف بالنسبة إلـى القارىء أنّ مصدر معلومات منير هو المركز الثقافي والسياسي، الذي كـان يتـردد عليـه بعد انتهاء دراسته[3].

والكاتـب يشـير إلـى حماسـتها فـي مقاومـة الفسـاد والظلـم بالعمـل لا بـالكلام فحسب، ويظهر ذلك في موقفها الثوري الإيجابي الذي يحثّ الناس على المقاومـة العمليّـة لرمـوز السـلطة الطاغيـة الفاسـدة، المتمثلـة فـي أبـي نبيـل الجسـر (رأس الأفعى) وأداته التنفيذيّة الشاروط (الذيل)[4]؛ على النحو التالي:

---

[5] المصدر نفسه، ص104.

[1] إبراهيم السعافين، الرّواية في الأردن، ص107.

[2] جمال ناجي، وقت، ص141.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص129.

[4] انظر: نبيل حداد، الرّواية في الأردن في الثمانينات، ص80؛ وناصر يعقوب، التجربة الرّوائيّة عند جمـال نـاجي، ص86؛ وعوني الفاعوري، أثر السياسة في الرّواية الأردنيّة، ص104.

«أبو عباد قال: يا جماعة تعالوا نهجم على دار الجسر والذي يصير يصير. فخرج صوت أنثوي من بين الناس:

- كلام أبو عباد صحيح، لازم يفهم الجسر وشاروطه، بأنّ أهل الحارة أقوى منهم.

تلك كانت فتحيّة التي لم أستطع رؤيتها بسبب الظلام»[5].

وأمّا الرواية الثالثة فهي رواية "مخلّفات الزوابع الأخيرة"، متمثلة بهاجار، الشخصيّة النسائيّة الوحيدة التي يظهر دورها في دعم أهالي الوادي ضد الإقطاعي معروف المعروف، الذي أراد أن يحصل على أراضي الوادي بأيّة وسيلة، دون الاهتمام بالأحوال الاجتماعيّة السيئة، التي يعيشها أهله مستخدماً التبليغ الذي منحته إياه الدولة، ممّا دفع هاجار إلى الصمود والتمسّك بالناس، حتى إنها اتهمت مع والدها سبلو وثلاثة من الفلاحين الذين امتنعوا عن دفع ثمن الأرض لمعروف المعروف بإحراق الجرّافات الجاثمة عند مدخل الوادي بانتظار أوامر الهدم[1]، والتي ترمز إلى السلطة التنفيذيّة التي ستدفع بالناس خارج الوادي رغماً عنهم، ممّا يؤكد أن في إحراقها إضاءة نحو انطلاقة العمل السرّيّ ضد سطوة هذا الإقطاعيّ أو من يمثله[2] بدعم من المرأة التي نجحت في الصمود والمقاومة أمام الاستبداد والظلم بمساعدة الرجل المثقف/ جبر الذي دفعها إلى اعتناق هذه الإيجابيّة لمساعدة أهالي الوادي[3].

---

[5] جمال ناجي، وقت، ص186.

[1] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص286.

[2] انظر: عوني الفاعوري، أثر السياسة في الرّواية الأردنية، ص66.

[3] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص222.

وأمّا الرواية الرابعة التي ارتبطت فيها المرأة بالسّياسة، فهي رواية "رؤيا"؛ إذ تشكّل المرأة متمثلة في نجمة رمزاً للحريّة والأرض والثورة وكل ما يتعلق به عشيقها زيد المناضل الثوري السجين ويدافع عنه ويناضل من أجل الوصول إليه حاضراً ومستقبلاً[4]؛ فنجمة تصوّر في النص التالي التقلبات والتغيّرات التي شهدتها الأرض عصراً بعد عصر إلى أن وصلت إلى واقعنا المتردي الممزق سياسياً واجتماعياً، فهي تقول: «أخبركم أنّ ما لم يحدث أبداً قد حدث، رأيت الأخ قد أصبح عدواً، الأب وقد أصبح خصماً، والابن يقتل أباه، والأخوّة ملأى بعبارات الاستجداء، وكل الأشياء الطيبة تنقضي، والأرض يعمرها الخراب، إنّ الأرض تضاءلت وحكّامنا كثروا...»[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

ويكشف الكاتب عما ترمز إليه العلاقة بين زيد ونجمة في قول زيد: «الحبّ طفولة، الحبّ حفاوة بالآخرين، الحبّ نزاهة، الحبّ هو الإيمان بإمكانية تغيير العالم...»[2]؛ من هنا كان حب زيد لنجمة حبّاً روحيّاً يرمز به إلى الحريّة المحاصرة بالسجون والقيود والقهر التي يستحيل وصوله إليها إلاّ بكسر قضبان المعتقل، والانسلاخ عن سطوة السجّان الذي يمثّل التسلّط والظلم[3].

لقد جاءت الشخصيّات النسائيّة التي شاركت في العمل السياسي في روايات الكاتب الأردني شخصيّات ثانويّة على الأغلب، وبالتالي كانت مساهمتها في البناء الروائي والعمل السياسي/ ثانوية، ولا سيما إذا ما قورنت بالعمل السياسي الذي كان الرجل يتصدى له ويتطوع من أجله بجسده وروحه وعلمه؛ كما سنرى عند حديثنا عن الرجل والعمل السياسي عند الكاتب.

---

[4] انظر: أحمد الزعبي، التناص التاريخي والديني، أبحاث اليرموك، م13، ع1، جامعة اليرموك، 1995، ص186.

[1] هاشم غرايبة، رؤيا، قدسية للنشر، 1991، ص50.

[2] المصدر نفسه، ص55.

[3] انظر: أحمد الزعبي، التناص التاريخي والديني، ص187.

المرأة والرجل عند الكاتب:

يقيم الكاتب الروائي عمله الروائي على مجموعة من العلاقات المتشابكة بين الشخصيّات الذكورية تارة والأنثوية تارة أخرى، والأنثوية والذكورية تارة أخرى، وتأخذ الأخيرة الحيّز الأكبر من هذه العلاقات، حيث يعرض كتابنا لخصوصيّة العلاقة بين الذكر والأنثى من جوانب متنوعة، فيصورون اللقاء بين المرأة والرجل؛ أماكنه ومراسيمه وأحاديثه وتطوّره ونظرة المجتمع إليه.

إنّ خروج المرأة إلى الشارع ومزاولتها العلم والعمل قرّبتها من الرجل أكثر وفتحت أمامها أبواب الاختلاط معه؛ فبعد أن كانت حبيسة البيت تحجب عن الرجال إلى يوم زفافها، على نحو: «دخل بها الرجل الكئيب الذي لم تعرف اسمه إلاّ وهي تُساق إليه»[1] أصبحت قادرة على اللقاء به في كل مكان فهي باتت تلتقيه في الشارع والجامعة والمراكز الثقافيّة وأماكن العمل والمقاهي وحتى البيت، ففاطمة وحسن كانا يلتقيان في مخبز والده[2]، وأسماء وياسر كانا يلتقيان في قاعات الجامعة الفارغة من الدرس[3]، وسعاد وعيسى كانا يلتقيان في المستشفى حيث كانا يعملان[4]، وكفاية ونبيل الجسر كانا يلتقيان في الحفرة الكبيرة في المخيم[5]، وهيام وأحمد كانا يلتقيان بداية في الجامعة، وهي أكثر الأماكن التي تسهّل عمليات اللقاء بين الجنسين، إلاّ أنّ هذه اللقاءات أصبحت تتم في بيت أحمد، وأمه لا تعارض ذلك لأنها «تعلم تماماً أنّ الدراسة هناك (في الجامعة) يختلط فيها الذكور والإناث، وهذا لا يمنع أن يلتقيا في أي مكان

---

[1] هزاع البراري، الغربان، ص165.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص14.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص134.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص162، 137.

[5] انظر: جمال ناجي، وقت، ص137.

آخر»[6]، وفاتن وأحمد كانا يلتقيان في الشارع وفي مقاهي عمّان[1]، وسمر وطلعت التقيا في الجامعة وتحابا[2]، ونادية وعماد التقيا في بيت خالته ومعهد المعلمين[3]، وعفاف وخليل كانا يلتقيان عند شجرة في بيت والدها الإقطاعي الانتهازي الذي يكرهه الفلاحون في قريتهما[4].

ولمّا كان اللقاء محتمل الوقوع بين الرجل والمرأة في أي مكان؛ إمّا مصادفة أو متعمداً، كان لا بدّ من خطوة أولى يقوم بها أحدهما نحو الآخر، والباحث عن ذلك يلاحظ أنّ المرأة أحياناً في عدد من الروايات قد قامت بهذه الخطوة بأساليب متعددة منها زيارة الرجل صدفة لطلب أمر ما، ومن ثم تكرار هذه الزيارات كما حصل في رواية "حوّاء" مع صبحي وأحلام؛ حيث تكررت زياراتها له بحجة البحث عن عمل مع أنها كانت في الوقت نفسه تحيك خيوطها حوله[5].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع رسائل الجامعية

وقد عمدت صديقة عزّت إلى الأسلوب ذاته الذي استخدمته أحلام في جذب عزت إلى شباكها، فهو يقول: «الأصح أنها هي التي تعرّفت إليّ، بعد أن زارتني برفقة اثنين من أصدقائي، ثم أخذت تتردد إلى مكتبي باستمرار»[6].

أمّا الأسلوب الثاني في لفت انتباه الرجال، فقد استخدمته عفاف، حيث نراها تمد يدها خارج نافذة السيارة دون أن تثير انتباه والدها الجالس إلى جانبها،

---

[6] قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص17.

[1] انظر: قاسم توفيق، عمان ورد أخير، ص11.

[2] انظر: قاسم توفيق، ورقة التوت، ص75.

[3] انظر: جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص78.

[4] انظر: هزاع البراري، الجبل الخالد، ص24.

[5] انظر: هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ص25.

[6] جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص73.

وتلقي ورقة على الأرض ليلتقطها خليل لتكشف فيها حقيقة مشاعرها نحوه، حيث دعته في تلك الرسالة إلى لقائها في بيتها بعد خروج والدها من البيت [7].

وأمّا الأسلوب الثالث، فتمارسه معشوقة محمد والد حسن، حيث تلتقي به في السوق فتلفت انتباهه بعد أن تقوم بغمزه بعينيها، ومن ثم تدعوه إلى بيتها بصراحة، يقول محمد في وصف لقائه الأول معها: «نظرت إليها فكدت أشيح بنظري عنها، لولا تلك الغمزة التي خرجت من طرف عينيها في اللحظات الأخيرة، فارتبكت، فاستدركت الموقف السريع بابتسامة رغبة فجلست، تظهر انشغالها بتعديل ملابس الطفل وهي تقول بحيث أسمعها... اسأل عن بيت الغولة... ستجدني بعد الغروب»[1]، يكشف النص عن دعوة صريحة وموجّهة من امرأة متزوجة إلى رجل لا تعرفه، فهل يمثّل هذا النموذج السلبي للمرأة التي تنشغل عن بيتها بالركض وراء تحقيق رغباتها المرأة العربية الواعية لخطورة هذه المواقف؟.

أمّا الأسلوب الرابع، فقد استخدمته هاجار في محاولاتها لإيقاع جبر، الذي كانت تعمل على إثارته بملابسها وجمالها وإظهار مفاتنها الجسديّة، فالسارد يصف اندفاعها نحوه بقوله: «كانت تريد جبراً، هاجار غجريّة لذا بالغت في إبراز مفاتن جسدها الذي لم تجرؤ يوماً على إشهاره أمام الآخرين، خوفاً من هجوم رجولتهم التي لا تعرف الحدود!»[2]، كما أنها كانت تستثيره بجسدها المتفلت من فساتينها اللماعة التي ترتديها في بيتها، والتي لا تستر جسدها أبداً[3].

ومثلما صوّر بعض الكتّاب في عدد من الرّوايات الأردنيّة انطلاق المرأة نحو الرجل، لم يغفل آخرون تصوير سعي الرجل نحوها بأساليب متعددة

---

[7] انظر: هزاع البراري، الجبل الخالد، ص21.

[1] هزاع البراري، الغربان، ص54.

[2] جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص79.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص78.

أبرزها: اللحاق بالمرأة أينما ذهبت واصطناع الحاجة إليها والاحتيال عليها حتى يتمكن من محاورتها مباشرة، فياسر يدّعي حاجته إلى دفتر أسماء حتى يجد الحجّة المقنعة التي تتيح له فرصة التكلّم معها مباشرة على نحو ما جاء في قوله لها: «لم آتِ للدفتر... أردت وسيلة لأتحدث إليك... لأجد فسحة من الوقت أكلمك فيها... فمنذ السنة الأولى وأنا أبحث عن هذه الفرصة»[1]؛ لقد استطاع ياسر الوصول إلى أسماء باعترافه الصريح بميله نحوها.

كما اتبع الرجل أساليب أخرى، إذ كان يلجأ إلى الكلام المعسول مع الفتاة التي تعجبه، ممّا يوقظ فيها مشاعر الحبّ والرغبة، فهو يداعب عواطف المرأة ومشاعرها، ممّا يؤدي إلى تضخم شعورها بذاتها القادرة على تغيير الرجل والسيطرة عليه، فترى في ذاتها امرأة قويّة لا تحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك، وما استمالة طلعت لسمر إلاّ مثال على هذا الأسلوب، فقد استطاع أن يوهمها أنه تمرد على الفقر وبدّل طريقته في الحياة من أجلها فقط، على النحو التالي: «ولأنه أعطاها الثقة بأنها وراء كل هذا التطوّر في حياته، فقد أحسّت شعوراً بالفخر بعظمة الخلق التي تتملكها... وعندما استطاع أن يلتقطها بعيداً عن أعين الآخرين أشغلها بكلماته السحريّة التي كانت تنساب في أذنها ثم تنتشر في بدنها دفئاً ورغبة عارمة»[2].

ومن هذه الأساليب الدعوات الصريحة المصحوبة بالمضايقات واللمسات الموجهة للمرأة، فكثيراً ما تعرّضت هاجار لمثل هذه المضايقات، وهي تعمل في الأسواق المكتظة بالنساء والرجال والشبّان، فالشباب كانوا يتعمدون قرصها

---

[1] هزاع البراري، الغربان، ص133.

[2] انظر: قاسم توفيق، ورقة التوت، ص ص77- 80.

بأصابعهم ولمسها بأياديهم أثناء تحدثهم إليها أو مساومتهم لها على أسعار الأدوات التي تبيعها، بالإضافة إلى أنهم كانوا يعرضون عليها الخروج معهم[3].

ومن هذه الأساليب ما لجأ إليه حسن في استمالته لمشاعر فاطمة؛ إذ راح يكتب لها القصائد الشعريّة ويدسها بمساعده صديقه المؤتمن إبراهيم في كيس الخبز الذي كانت تشتريه منه إلى أن ردّت عليه برسالة تظهر فيها مشاعرها نحوه بأسلوب غير مباشر، فهي تقول فيها: «إلى الشاعر حسن... تحية طيبة سعدت في الأيّام الماضية بقراءة قصائدك التي تحوي مشاعر نبيلة وعواطف دفاقة، وإنني أرغب في سؤالك عن تلك المقصودة بقصائدك... مع تحياتي... فاطمة»[1]، فرد عليها حسن برسالة أخرى اعترف فيها دون حرج بحبه لها: «عزيزتي فاطمة كل القصائد التي كتبت هي لك، فما كتبت القصائد بحياتي لغيركِ... مع تحياتي... حسن»[2]، يظهر لنا أن حسن لم يعتمد أسلوباً واحداً؛ وإنما جمع بين عدّة أساليب أبرزها الرسائل والقصائد الشعريّة والوساطة المباشرة من قبل شخصيّة أخرى تسهم في ترسيخ دعائم هذا الحبّ متمثلة في شخصيّة إبراهيم الثانوية المسطحة، فقد اقتصرت وظيفته على إيصال الرسائل بين حسن وفاطمة والمحافظة على سرهما بعيداً عن الآخرين[3].

والإشارة إلى شخصيّة أخرى تسهم في ترسيخ دعائم الحبّ بين الرجل والمرأة يقودنا إلى الالتفات إلى قضيّة مهمّة تكمن في سماح الكاتب الأردني لشخصياته الذكورية بالإعلان عن حبها والاعتراف به إلى شخصيّات أخرى، فأحمد في رواية "ماري روز" يكشف عن علاقته بهيام لأمه وصديقيه راسم

---

[3] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص78.

[1] هزاع البراري، الغربان، ص78.

[2] المصدر نفسه، ص78.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص ص26، 69- 79.

ومحمود[4]، وأحمد في رواية "عمّان ورد أخير"، يعلن عن تعلّقه بفاتن لصديقيه مروان وعمر[5]، أمّا حسن في "الغربان"، فيكشف عن علاقته بفاطمة لإبراهيم صديقه في العمل والذي يحاول مساعدته والتوسّط بينهما[6]، بينما تحرم المرأة من هذا الحقّ خوفاً عليها من النّظرة السلبيّة الّتي يشوبها التخلّف والمعتقدات الصارمة الّتي تحدّ من حريّة المرأة، إذ ترى فيها مذنبة مسؤولة عن خطيئتها، ممّا يوجب ضرورة عقابها الّذي يعرضها لمخاطر النبذ والقتل والذبح في أحيان كثيرة، فوالدة أحمد خشيت على هيام من الذبح، إذا ما اكتشفت علاقتها بأحمد دون أن تكشف عن خوفها على ولدها، وكأنها تؤمن غريزيّاً بأنّ الضرر لن يقع على ولدها، وإنما سيلقى فقط على كاهل المرأة[1]، فهي تقول: «والله إذا لم تغيّر ما في رأسك، دفعت بالبنت للذبح»،[2] وبالفعل تقع هيام ضحية للمجتمع باختيارها؛ فهي تستسلم لأحمد غير واعية لما يترتب على العلاقات غير المشروعة بين الرجل والمرأة؛ وتحمل سفاحاً وتقع فريسة للمجتمع الرافض لحملها غير الشرعي، والرجل الّذي يحاول في البداية الانسحاب من المسؤولية المتمثل في إصراره على ضرورة التخلّص من الجنين بالإجهاض[3]، مهما كانت المخاطر الماديّة والنفسيّة والجسديّة الّتي سيتعرضان لها، وبخاصّة الفتاة الّتي لا تظهر مقاومة إلاّ في أعماقها المتمسكة بطفلها وملامحها الحزينة على فقدانه. ويكشف النص التالي عن المخاطر الّتي ستتعرض لها هيام دون أن نسمع صوتها

---

[4] انظر: قاسم توفيق، ص57.

[5] انظر: المصدر نفسه، ص10.

[6] انظر: هزاع البراري، ص79.

[1] انظر: سهير التل، مقدمات حول قضية المرأة، ص42.

[2] قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص16.

[3] انظر: سليمان الأزرعي، الرّواية الجديدة في الأردن، المؤسسة العربية، بيروت، 1997، ص180.

معترضاً أو حتى موافقاً: «قال لنا كمن يخطط لسطو: سنجري العملية هنا، لا شيء هنا، غير مكتبة وسرير لفحص المرضى وبعض الأدوات التافهة، ثم يتابع: ستوقع لي [إقراراً] أنكما متزوجان. وستدفع لي ثلاثماية دينار، ولم يتركني لأدهش أكمل مسرعاً: نقداً إذا أمكن وكان يعني أن يمكن ذلك حتماً.

- وأريدك أن تقوم ببعض الإجراءات. قال الطبيب ذلك وهو يتحرك عن مقعده... قلت له بنفاد صبر: ماذا تريد أيضاً... قال الطبيب: أريدك أن تأخذ عينة من بولك إلى المختبر وتفحصها باسمها هي فحص حمل، فالطبيب يريد شهادة يثبت فيها أنّ هيام ليست حاملاً وإنما جاءته في حالة مرض شديد لم تقوَ أعصابها على احتماله فماتت»[1] فاستسلم أحمد لأوامر الطبيب واتّفقا على إجراء عملية الإجهاض في الصباح، إلاّ أن هذه الخطّة تبوء بالفشل بعد قراءة أحمد لرسالة صديقه راسم الموجود في المعتقل، حيث أيقظ فيه راسم روح المقاومة والتمرّد ورفض الاستسلام وضرورة الوقوف في معترك الحياة، فتأتي بذلك النتيجة النهائيّة لهذه القضيّة مخالفة للتوقّع المعتاد الذي يدفع بالفتاة إلى دروب الموت والانسلال بعيداً عن لجّة الحياة الصاخبة[2]، فأحمد الرجل القادر على اتخاذ القرارات المتعلقة بهما يقول: «قلت لها ونحن نصل إلى الشارع سنعمل جولة في الأسواق، سنشتري لك فستاناً جديداً يلائم بروز بطنك، كنت طائراً من الفرح ونحن ننطلق ثلاثتنا معاً إلى عمّان»[3].

وبالعودة إلى أحداث اللقاء الذكوري الأنثوي في الرواية الأردنية نلاحظ في لقاءاتهما طقوساً يمارسها المحبّان، فهما يتواعدان وينتظران ويتحابان ويتبادلان

---

[1] انظر: قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص ص89- 91.

[2] انظر: إبراهيم السعافين، الرّواية في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1995، ص214.

[3] قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص99.

الابتسامات والنظرات المعبّرة المليئة بالمشاعر والكاشفة لأعماق كليهما ويحلمان ويتمنيان ويختلفان ويتفقان ويتهاديان ويتحادثان في أمور كثيرة أهمها حياتهما الخاصّة، فأسماء تسر إلى ياسر الكثير من الأمور المتعلقة بحياتها وعلاقاتها غير الإيجابيّة بأسرتها ولا سيما والدها[4]، وكذا عفاف تعلن عن حياتها الخاصّة في لقاءاتها مع خليل، إذ تحاور خليل قائلة «أنت يا خليل تريد أن تعرف كل شيء بسرعة... كنت أذهب مع أبي إلى المدرسة والآن أنهيت المدرسة، وهذا يعني أني سأبقى في البيت معظم أيّام الأسبوع...»[5]، غير أنّ لقاءً واحداً لا يكفي لذلك، فتكرّرت اللقاءات حيث كانت هناك أسئلة كثيرة تحتاج إلى توضيح من كلا الجانبين، وكان هدف اللقاءات هو تعرّف المتحابين على بعضهما بصورة أكثر وضوحاً[1]، ومن هنا غدت هذه اللقاءات وسيلة يلجأ الكتّاب إليها للكشف عن الأبعاد الاجتماعيّة والنفسيّة والثقافيّة المكوّنة للشخصيّات الرئيسة والثانويّة عن طريق الحوارات الخارجية والمونولوجات الداخلية التي كانت تدور بين المتحابين أو في نفسيهما في لقاءاتهما المختلفة.

لم يترك المتحابان في الرّواية موضوعاً لم يتكلما فيه، فقد تكلّما عن أسرهما وعملهما وأصدقائهما وذكرياتهما السعيدة والمؤلمة ومعتقداتهما السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة على نحو ما فعلت هيام في لقاءاتها المتكررة مع أحمد؛ فهي تهديه شمعة كبيرة في رأس السنة قائلة: «نحن نشعل شمعة للقديسة أم المسيح كلما أصابنا خير... وأنا أريد أن أشعل هذي الشمعة كل يوم حتّى تنتهي السنة»[2].

---

[4] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص134.

[5] هزاع البراري، الجبل الخالد، ص23.

[1] انظر: هزاع البراري، الجبل الخالد، ص23.

[2] قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص14.

ولكنّ استمرار فكرة الخوف على الفتاة من العقاب الاجتماعي والفضائح والذبح وتكرارها في أحاديثهما، ظل هو الحافز الّذي كان يدفع حسن للقاء محبوبته فاطمة سرّاً بعيداً عن سكّان الجوفة المحافظين، فالجوفة بيئة محافظة ترفض مثل هذه اللقاءات بين الرجل والمرأة[3]، ففاطمة تقول: «بالرغم من علاقة ياسر بحسن، وبالرغم من زياراته المتباعدة لبيتنا، إلاّ أنّ أحداً لا يعلم بالعلاقة الّتي بيننا، والحقّ يقال، فإنّ حسناً كان يخشى عليّ ويتجنّب إيقاعي في الحرج... حتّى عندما كنّا نتقابل، كنّا نفعل ذلك بين الناس، ليس في الجوفة ولكن في وسط البلد في مكان للمرطبات، نتبادل الكلمات الموجزة ثم نمضي...»[4]، وهذا الخوف شغل حيّزاً في لقاءات عماد وناديا وأحاديثهما، فقد كانا يرغبان بشدّة أن يصرحّا لمنصور شقيق نادية بحبهما، إلاّ أنهما كانا دائماً يكبتان هذه الرغبة، وبخاصّة عماد المتردد القلق الذي كان يخشى على نادية من أخيها منصور[1]، على النحو التالي: «منصور، آه لو تعلم، والوقت لم يحن بعد، لكنني سأخبرك يوماً ما، بكل شيء، ماذا لو رأيت في جيبي صورة نادية؟ أو إحدى رسائلها؟ ماذا ستفعل؟ قد تصاب بالجنون... أليس كذلك يا منصور. لكنّ المسألة أخطر بكثير ممّا أتخيّل، قد يغضب، قد يبصق بوجهي، قد يبعث لنادية رسالة يقصم فيها ظهرها...»[2]، إلاّ أنّ شقيقها يفاجئهما بموافقته على علاقتهما حيث يرى في نادية امرأة متحررة قويّة مثقفة قادرة على اختيار الرجل المناسب الّذي يجب أن يشاركها حياتها الزوجيّة، وهو بذلك يغدو نموذجاً للرجل المتحرّر من

---

[3] انظر: محمد سلام جميعان، الرفض والقلق والإدانة، ص110.

[4] هزاع البراري، الغربان، ص30.

[1] انظر: جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص ص19، 43، 57، 47؛ وانظر إبراهيم خليل، الخطاب الرّوائي في الأردن، أفكار، ع96، عمان، 1990، ص43.

[2] انظر: جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص24.

تراكمات مجتمعه حول موضوع المرأة، والّذي يمنح المرأة "بنظرة متقدمة"[3] حقّ الاختيار والتحرّك في الحياة، على نحو ما جاء في الحوار التالي بين راوي ضمير المتكلم/ عماد الذي يصوغ مذكراته ومنصور شقيق نادية[4]: «لا أحبّ التنظير أحب نادية فقط، وسأتزوجها إن لم يكن لديك مانع...

يقول منصور: مانع. يا أخي تعلّم الحبّ. قل سأتزوجها رغماً عن كل الناس، لأنك تحبّها، أعاجله بصوت يتناثر في سيل عارم من الغبطة والفرح: إذن فأنت موافق؟... منصور طبعاً وسأرقص في ليلة عرسكما، ولكن قل لي، ما الّذي أعجبها فيك، نحولك أم عبوسك؟ أم اصفرار وجهك؟...»[5].

إنّ السؤال الّذي طرحه منصور على عماد في الحوار السّابق يثير فينا التساؤل عن العوامل الّتي كانت سبباً في الجمع بين الرجل والمرأة في الرواية الأردنية الّتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع الأردني نفسه، إذ الرواية «مرآة المجتمع، فعلى صفحاتها تنعكس قضاياه، وعبر شخصيّاتها تتجسّد أزمانه، ومن خلال رموزها تتصاعد الدلالات والطموحات الاجتماعيّة، فالرواية أداة للوعي الاجتماعي، وهي أوثق الفنون الأدبيّة اتّصالاً بالمجتمع وتعبيراً عنه»[1].

يلاحظ الدارس في بحثه عن معايير الإعجاب الّتي قرّبت بين الرجل والمرأة وأسهمت في جذب أحدهما إلى الآخر اختلافاً وتنوّعاً، فالمال والجمال ولا سيما الأنثوي والثقافة والحريّة، كلّها عوامل أرست قواعد اللقاء الذكوري الأنثويّ، فالمال والثّراء والنسب الرفيع عوامل جمعت بين سمر وطلعت الانتهازي الّذي أراد التخلّص من ثوب الفقر والجوع واستبداله بالغنى والسمعة

---

[3] انظر: أروى عبيدات، صورة المرأة في الرّواية الأردنية، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1995، ص101.

[4] انظر: نزيه أبو نضال، رواية الثمانينات بين الواقعيّة والحداثة، أفكار، ع112، عمان، 1993، ص21.

[5] انظر: جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص76.

[1] أحمد محمد عطية، هموم المرأة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص6.

والنسب العالي عن طريق سمر الثريّة المحبّة للمظاهر التي ألجمت عقلها ومنعته حقّ التّفكير في السبب الّذي دفع بطلعت إليها، ممّا يدلّ على سطحيّتها ورغبتها الشديدة بالارتباط بأيّ رجل كان، حتّى ولو لم تكن واثقة من اختيارها له[2]، فالسارد يصف موقفها منه بقوله: «تبادر إلى ذهنها في تلك السّاعة ولمرة واحدة في حياتها أنّ طلعت ينظر إليها كغنيمة يجب أن ينالها،لم تعرف أبداً كيف فكّرت بهذا الأمر أو حتّى بهذه الصّورة، لكنها أحسّت أنه يطمع باسمها وبثراء أُسرتها فقط، ولكن وهو يهتف بذلك الكمّ الهائل من حالات الشّعر [سُقِط] في يدها، وطردت ذلك الهاجس الغريب الّذي أحسّته مرة واحدة في حياتها فقط»[3].

جميع الحقوق محفوظة

أمّا جمال المظهر الخارجيّ فقد كان الجامع بين علي وفاطمة الّتي تضخمت ذاتها، وأصيبت بالغرور لتهافت الشبّان على إظهار إعجابهم بجمالها وأنوثتها حتّى صارت ترفض الكثير منهم بحجّة أنهم لا يناسبون جمالها ودلالها، ممّا يؤكد نرجسيّتها وإعجابها الشديد بمظهرها[1]، فهي تصف هذا الجمال عند استذكارها له بقولها: «كنت أحلى بنات الزرقاء، عندما أسير تترصدني أعين الشبّان، يعرضون قلوبهم وحبهم الأبدي، اهتمامهم البادي من بعيد، جعلني ألتفت إلى نفسي فأتملى جمالي ساعات طويلة في المرآة، أدركت تميّزي واتّساع [عينيّ]، جديلتي الذهبيّة...»[2]، وتكمل مريم وصفها لإعجابها الشديد بذاتها وإحساسها بدونية الآخرين أمامها باستثناء التّاجر عليّ الّذي قبلت بالزواج منه على الرغم من كبر سنه مقارنة بعمرها؛ لأنها رأت في ماله تعويضاً يوازي جمالها، فهي تقول: «وصلتني قصائد الحبّ الغراميّة، والخاطبات لا ينقطعن

---

[2] انظر: قاسم توفيق، ورقة التوت، ص ص75- 76.

[3] المصدر نفسه، ص77.

[1] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص144.

[2] المصدر نفسه، ص144.

يومياً، هل يمكن أن أقبل بمثل هؤلاء الفلاّحين والرّعاة؟، فارس أحلامي له مميّزات تليق بجمالي ودلالي، رفضت كل من تقدّم للزواج منّي، وأصبحت شهرتي في أنحاء الزرقاء حتّى سمع بي تاجر غني، سمعته بين الناس كالذهب الخالص، كان يكبرني بخمسة عشر عاماً، فقبلت به وتزوجنا بعد شهر واحد»[3].

يكشف النصان عن قضيتين أساسيتين، أولاهما: تتعلق بمفهوم الفتاة المراهقة عن الزواج الّذي لا ترى فيه إلاّ مالاً وجواهر ومظاهر زائفة بعيداً عن الاستقرار والبناء والمشاركة والاستمرار والمسؤوليات المترتبة على الذكر والأنثى تجاه الفرد والجماعة في الحياة الزوجية، ويمكننا أن نردّ ذلك إلى فهمها الخاطىء وقلة خبرتها وفقدانها التّوجيه الصحيح من قِبَل الأسرة التي منحتها حقّ الاختيار وحرمتها من التّوجيه، وثانيهما: زواج الفتاة المبكّر القائم على المنفعة الماديّة من رجل يكبرها سناً وانشغالها بجمالها اللذين أبعداها عن التعليم والعمل والسعي وراء تحقيق ذاتها بعيداً عن الرجل الّذي يكون سبباً في خوفها وقلقها وشقائها فيما بعد، فهي تقول «إنّ دوام الحال من المحال، أيام الشهد الّتي أمضيتها مع زوجي علي، لا يمكن أن تتكرّر، أو تمحى من ذاكرتي، لقد فتن بي وأغرقني بالحرير والمجوهرات والملابس المقصّبة»[1].

أمّا الثقافة، فقد كانت سبباً في استمرار اللقاء الذكوري الأنثوي في روايتي "عمّان ورد أخير"، حيث قابل أحمد فاتن في ندوة شعريّة أثارت بينهما حواراً ثنائيّاً انتهى بوقوع أحدهما في حبّ الآخر[2]، وفي رواية "الطريق إلى بلحارث" تقع نادية في شباك عماد بعد عشقها لثقافته التي ترى فيها معياراً لتقييم الآخرين،

---

[3] المصدر نفسه، ص144.

[1] هزاع البراري، الغربان، ص144.

[2] انظر: قاسم توفيق، ص12.

فقد ازداد حبّها لعماد عندما عرفت نوع الكتب التي كان يقرؤها[3]، فهي تكشف عن ثقافته المتميزة بقولها: «كان عماد يقرأ كثيراً في أيّام المعهد، تصفحت بعض الكتب، لم تكن تخصّ مناهج المعهد، أعرف بأنك قرأت الكثير من الكتب حتّى صارت الكلمات تخرج من فمك متقنة حارّة، كنت تتحدث عن الوطن بحرارة المناضلين وحاولت أن أقلدك، صرت أقرأ وكنت تشجعني وترسل لي الكتب السميكة، فأسهر الليالي الطويلة مثلك، وكنت كلما قرأت شيئاً جديداً ازدادت ثقتي بك، كنت تكبر في عيني صرت عملاقاً»[4].

أمّا الدين، فقد جمع بين أسماء وطالبها بصورة سلبيّة، وظّف فيها الدين بشكل مشوّه فطالبها يقول: «البنت لا تهمني... يهمني الدين... والأصل... ونحن نعرفك ونعرف دينك، ونسمع عن إيمان ابنتك وعفافها... فاظفر بذات الدين تربت يداك»[5]، وهنا يطرح الكاتب قضيّة إكراه الفتاة المتعلّمة على الزواج، ومحاولتها الفاشلة في الرفض والتمرّد على أوامر الوالد المتسلّط الّذي يدّعي التديّن ويتخذ منه قناعاً يكشف تطرفه، فأي أب يجيز له دينه إكراه ابنته على الزواج من رجل لا تتقبله في الثمانينات، في الوقت الّذي امتلكت فيه المرأة علانية حقّ اختيار الزوج المناسب لها في قوانين الدولة الشرعيّة والمدنيّة، ممّا يؤكد النظرة المتخلّفة الّتي ما زالت تترسخ في ذهن الوالد نتيجة للتربية والعادات الخاطئة، على النحو التالي: «قال والدي: لا تحاولي... هذا رجل دين... وستظلين في بيته تتعبدين، ستتزوجينه وإلاّ تموتين... سأقتلك... سأقتلك... إن لم تطيعي...»[1]. وتعبّر أسماء عن رفضها للزواج بالبكاء والامتناع عن الطعام إلاّ

---

[3] انظر: أروى عبيدات، صورة المرأة في الرّواية الأردنية، ص101.

[4] جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص63.

[5] هزاع البراري، الغربان، ص137.

[1] هزاع البراري، الغربان، ص137.

أنها سرعان ما تنهار أمام تهديدات والدها وترضخ له، فيختفي صوتها من الرواية، ممّا يدلّ على سطحيّتها، فالكاتب كان من الممكن أن يتخذ منها نموذجاً حيّاً قادراً على مقاومة الظلم والنجاح في الدفاع عن أبسط حقوقه، لكنّ الكاتب لم يعن بذلك، حيث اكتفى بعرض قضيّتها مع الزواج في رسالة ترسل بها إلى حبيبها تخبره فيها أنها لم تخنه وإنما تمّ إجبارها على الزواج من رجل آخر «ياسر لا أريدك أن تحزن، أن تتهمني بالخيانة...»[2].

أمّا الحريّة، فقد كانت الشمعة التي أنارت اللقاء الروحي بين دحام وست الحسن، حيث كانا يكتفيان بعد لقائهما بأن تتلاقى عيناهما المتطلعة للحريّة لتعبّر عمّا في أعماقهما من إعجاب صادق متبادل، على النحو التالي: «رفع عينيه مرّة أخرى، تلاقت عيونهما، كان في عينيها نداء ما، كأنها تستغيث... أو كما العتب على هذا الجفاء الذي لم تشعر به من أحد إلاّ من دحام! احمر وجهه وكأنه يعتذر عن إهماله، وسرعان ما ردّ كل منهما نظراته عن الآخر»[3]. وقد رأى الكاتب في العينين وسيلة ناجحة للتفاهم بين الذكر والأنثى وبخاصّة الأنثى القادرة على المقاومة من أجل بناء ذاتها وتأكيد حصانة عالمها الداخلي، فالسارد يقول: «وست الحسن كما لكل بنات جنسها عيون خفيّة تقرأ ما يحيط بها من نظرات خاصّة إذا كان المستطلع من الجنس الآخر، كانت تحسّ بكل المشاعر على تنوّعها ولكن بدلاً من ردة الفعل الخارجيّة، تعوّدت بمهارة عجيبة أن تردّها للداخل، لذاتها، فتزداد ذاتها حصانة وتقيم القلعة الخطيرة في داخلها»[1].

لقد عشقت ست الحسن في دحّام الحريّة التي كان ينشدها في أنغام مزماره المسائيّة التي رأت فيها الخيط الوحيد الذي يربطها بالحياة، ويخلصها

---

[2] المصدر نفسه، ص137.

[3] هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص108.

[1] هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص107.

من قيود قلعة والدها، لذا نجدها تتحدّى الوالد والعادات والتقاليد وتهرع إلى إنقاذ روح دحّام من الغرق لأنها كانت ترى في إنقاذ روحه إنقاذاً لروحها «إني أنقذ روحي»[2].

ولم ينس الكاتب في تصويره للعلاقة بين الرجل والمرأة أن يعرض لمعيار مهم في اختيار الرجل للمرأة وبخاصّة في الرّيف ألا وهو العمل، على النحو التالي: «يسري التعبير الجديد في القرية ويتناقله الناس بتندر فكه، وتنفتح العيون على عليا حتّى تجد من يبحث عن امرأة قوية مشيتها صلبة تشيل معه أعباء الفلاحة.

- مريفة عبطتها حزمة!... مدللاً على طول ذراعيها وبالتالي تسري الصفة الجديدة على مريفة حتى تجد طامحاً لامرأة طويلة تسع فتحة ذراعيها أغمار الحصيد الكثيفة وتلم القشّ بسرعة»[3]، فالكاتب يشير من خلال النص السّابق إلى معيار الرجل الريفي في البحث عن امرأة قويّة قادرة على العمل الزراعي بصورة غير مباشرة هامشيّة، وفي سياق تهكمي حيث تنصّب النساء دحام القاروط قاضياً يحكم بينهن في قدرتهن على العمل والاستمرار فيه[4].

عوامل كثيرة ومختلفة ومتنوعة أثارت إعجاب الرجل والمرأة وأسهمت في تقريبهما، بعد أن كان اللقاء بينهما محظوراً من قبل الأسرة والمجتمع، ومن هنا أسهمت الرومانسيّة التي تحيط باللقاء الذكوري الأنثوي المتكرّر في إثارة العواطف والمشاعر والرغبات الجامحة في المتحابين، ممّا يدفعهما إلى التفكير المستمر في ترجمة هذه الرغبات ترجمة حسيّة، فيقع الواحد منهما فريسة للصراعات الداخليّة النفسيّة، حيث تتعارض مطالب الشعور التي تمثل القوة

---

[2] انظر: هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص131؛ وأروى عبيدات، صورة المرأة في الرّواية، ص152.

[3] هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص118.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص119.

الواعية المنطقيّة (الأخلاقيّة) في الشخصيّة، والتي تقيس الأمور وتزن الأشياء وتقّر وتحكم مع قوى اللاشعور التي رأى فيها فرويد مستودعاً لكل النزعات المكبوتة، وهذا الصراع لا ينتهي إلاّ بغلبة أحد المستويين[1]، فإذا ما فاز اللاوعي فإنّ الشخصيّة تغرق في الحلم واليقظة في تحقيق رغباتها في الاتصال غير المشروع مع الآخر، على نحو ما جاء على لسان فاطمة في النص التالي: «عندما أضع رأسي على المخدّة، وآخذ بترديد قصائد حسن في ذاكرتي، أتمنّى في جوف أفكاري، أن يقبّلني ملايين القُبل وأن يحتضنني حتى نتسامى فنتلاشى عن هذا العالم الدنيء»[2]، يكشف النّص عن رغبة المرأة في الاتصال الجسدي مع الرجل في حلمها، حيث يستطيع اللاشعور أن يكون القوّة المسيطرة على العالم الداخلي للشخصيّة، فيسمح لها بممارسة أحلامها دون وعي يردعها ويدفعها إلى كبت رغباتها غير المسموح بها في العالم الحقيقي[3].

وعلينا أن ندرك أنّ التفكير اللاواعي واللاهث وراء الرغبات يوقع المتحابين في اختيار الطرق غير المشروعة المرفوضة من قبل المعتقدات الاجتماعيّة والدينيّة، ممّا يدفعهما إلى ارتكاب الخطيئة سراً دون وعي منهما، فأحمد يثير الرغبة في فاتن التي تتبعه وعلامات الخوف بادية على ملامحها، إلاّ أنّ هذا الخوف سرعان ما يتبدد حين غرق كل منهما في عالم آخر، فقدا فيه القدرة العقليّة الرادعة لما يفعلان، على النحو التالي: «أغمضت عينيها غابت عن المحسوسات عداه ودون أن تقدر على تمالك روحها المتشوّقة... استدارت وألقت جسدها الطري الصغير بين ذراعيه، غابت في قبلاته الحارّة المتشوّقة وبقيت

---

[1] انظر: عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص167.

[2] هزاع البراري، الغربان، ص19.

[3] انظر: محمد سلام جميعمان، الرفض والقلق والإدانة، ص110.

مشدودة إليه»[1]، وبعد أن يفرغ المتحابان من هذا اللقاء فإنهما يدركان ما قد وقعا فيه من مخالفة لنواميس الكون، وبخاصّة المرأة التي تهرع إلى الرجل من أجل إصلاح موقفها الاجتماعي فتصطدم بنوعين من الرجال: الأول الرجل المسؤول الذي يعترف بخطيئته ويحاول الوقوف إلى جانب المرأة بالزواج كما فعل والد حسن مع معشوقته حيث وعدها بالزواج الذي أوقفه القدر بالكشف عن ذنبهما، وبالتالي وقوعها ضحيّة للمجتمع الممثل بأسرتها التي حكمت عليها بالموت قتلاً بالرصاص بحجّة تطهيرها من العار[2]، وكأنّ الكاتب أراد أن يوجه رسالة أخلاقيّة للنساء بأن يتخذن الحذر في علاقاتهنّ مع الرجال. وثانيهما: الرجل غير المسؤول الانتهازي الذي ينسحب من المسؤوليّة، فيترك المرأة تواجه نفسها والمجتمع وحيدة دون معين، ممّا يؤثر على بنيتها الداخليّة سلباً حيث تصبح غير قادرة على التفريق بين رجل وآخر، ولا ترى الرجل إلاّ باعتباره عينة لا فرداً مستقلاً[3]، على نحو ما حدث مع هيفاء «الرجال هم الرجال! ما الفرق بينه وبين ذاك الرجل الذي عبث بكل مكان في جسدي، ثم قال: أنا لم أعدك بالزواج»[4].

أمّا إذا حافظ الوعي على حضوره في لقاءات الرجل والمرأة ولم يفارقهما، فإنهما ينجحان في الابتعاد عن العلاقات غير المشروعة، ليقررا الارتباط معاً بطريقة مشروعة ومتقبلة اجتماعيّاً ألا وهي الزواج.

وللزواج في الرواية الأردنيّة مراسيم مستمدّة من الواقع الاجتماعي للبيئة الأردنيّة؛ حيث يتقدّم الرجل وأهله لأسرة المرأة طالباً الزواج بها، وهنا يضطر

---

[1] قاسم توفيق، عمان ورد أخير، ص67.

[2] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص53.

[3] انظر: إبراهيم السعافين، الرّواية في الأردن، ص121.

[4] جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص96.

الرجل لانتظار موافقتهم على الزواج أو رفضه، فإذا تمّت الموافقة من قِبَل الأسرة والمرأة فإنّ الزواج يتابع مراسيمه دون عثرات، فتتم الخطبة لفترة زمنيّة غير محدّدة ثم يدفع المهر، ويجهز بيت الزوجيّة، ويعقد القران، ويتم تحديد موعد الزفاف ثم تُقام الأفراح، وبالتالي يتم انتقال الزوجين إلى بيتهما والشروع في حياتهما الخاصّة بهما[1].

وأمّا إذا تمّ رفض الارتباط بين الرجل والمرأة لأسباب عدّة منها الطبقيّة أي غنى المرأة وفقر الرجل وبالعكس، فوالد عفاف الإقطاعي أجاب خليلاً الفلاح الفقير عندما تجرأ وطلب عفافاً الثرية للزواج: «اصمت أنت مجرّد خادم عند ابنتي هذا هو حال أمثالك»[2]، ومنها اختلاف دين الرجل عن المرأة، فالخوري يرفض زواج كليب من ماري روز، بقوله: «يا بني حرّم علينا ديننا ذلك»[3]، ومنها عمل الرجل الحرام وغير المشروع، فوالد فتحيّة يمنح ابنته حقّ الاختيار ويدعمها عندما وافق على رفضها الزواج من نبيل الجسر الذي يعمل مع الفئة الخائنة للأمّة، ممّا يدل على درجة عالية من الوعي عند الرجل وابنته[4]، ومنها ميل المرأة إلى رجل آخر ورغبتها فيه، ممّا يثير في الرجل المرفوض مشاعر الغضب والغيرة والإهانة فكيف لمرأة يرى فيها مخلوقاً أدنى منه أن ترفضه؛ لذا نجده في الرواية الأردنيّة يرفع رايات التهديد والتحدّي لمن تترفع عنه فيخطفها ويغتصبها ويتزوجها بعد أن توافق عليه رغماً عنها خوفاً من العار الذي ألحقه بها والذي يدفعها في أحيان أخرى إلى قتل نفسها، فالثريا تفضل التنازل عن حياتها حفاظاً على شرفها، بدلاً من الزواج القسري ببشر، على نحو ما جاء في

---

[1] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص65.

[2] هزاع البراري، الجبل الخالد، ص41.

[3] قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص24.

[4] انظر: أروى عبيدات، صورة المرأة في الرّواية الأردنية، ص131؛ جمال ناجي، وقت، ص142.

النص التالي الذي يُفصّل فيه الرّاوي بشر محاولة الزواج الفاشلة من الثريا التي قتلت نفسها بالسم، «لما نمتُ فوقها، كانت تمص خاتماً في إصبعها... ظننتها تفعل ذلك خجلاً، انتزعت يدها من فمها، ولمعت عينان واسعتان تحت ضوء القمر... أذكر عينين واسعتين مليئتين بالرعب والاحتقار... جسدها لم يقاوم... فقد انطفأت عيناها لحظة دخولي بها...»[1].

والرجل نفسه الذي رفضته امرأة من أجل آخر دفع المرأة في رواية "مخلّفات الزوابع الأخيرة" إلى الرحيل مع زوجها إلى الوادي المقفر الفارغ من معالم الحياة باستثناء كهوف اللصوص الذين يغيرون على بيتها ويغتصبونها ويقتلونها أمام زوجها سبلو الذي لا يستطيع الدفاع عنها، فتقع المرأة بذلك ضحيّة لغرور الرجل وكبريائه الزائف ونظرته المتخلفة التي تحرمها حقّ الاختيار[2]، فإنّ المتحابيّن يضطران إلى الاستسلام والخضوع والتنازل عن حبهما أمام العوائق الاجتماعيّة التي فرضت عليهما الانفصال، كما حصل بين ياسر وأسماء، أو يضطران إلى التمرّد والرفض والتحدّي، وبالتالي الزواج دون موافقة أسرتهما والانسحاب إلى أماكن أخرى بعيدة مجهولة، لا يعرفهما فيها أحد خوفاً من ملاحقة أُسرة المرأة لها لإلحاق الأذى بها لتمردّها على قوانين العائلة، على نحو ما فعل كل من خليل وعفاف عندما اتفقا على الزواج دون موافقة والدها: «وهكذا اتخذا أخطر قرار في حياتهما، ولا يعرفان إن كان هو الصواب أم لا، غير أنّ الشيء الوحيد الذي كانا متأكدين منه أنهما سيدافعان عن سعادتهما بكل شيء، بالأهل والقرية، بالعادات والأعراف، إنهما ما يزالان يحملان عقليّة اللقاء الأوّل»[3].

---

[1] هاشم غرايبة، المقامة الرملية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1998، ص119.

[2] انظر: جمال ناجي، ص30.

[3] هزاع البراري، الجبل الخالد، ص46.

وبعد أن يتم الارتباط بين الرجل والمرأة، فإنّ العلاقات والمشاعر والعواطف الرومانسيّة التي ربطت بينهما في اللقاءات الخالية من الواجبات الإلزاميّة التي يفترض أن يقدّمها كل منهما للآخر بعد الزواج تتبدّل وتنحصر في إمكانيّة الحوار أو انعدامه في حياتهما الزوجيّة. فإذا ساد الحوار بين الزوجين، فإنّ حياتهما تكون أكثر هدوءاً واستقراراً ومودّة وأقلّ خصومة وتحدّياً، على نحو العلاقة الزوجيّة الهادئة المطمئنة الخالية من الشكوى التي عاشها كل من خليل وعفاف بغضّ النظر عن الصعوبات التي واجهتهما، فكلاهما يقدّر تضحيّة الآخر فلا يرهقه بالتحسّر والندم؛ «لقد مضت الأيّام ببطء، كانت عليهما أقسى من صخور المحجر، وأثقل من حمل الجبل، إلاّ أنهما لم يظهرا لبعضهما البعض، كان كل منهما يمتّص آلام الآخر، [قاسى] هو مرارة العمل بالمحجر، ومن ظلم المعلّم مشهور، وقاست هي مرارة الوحدة والقلق والشقاء»[1]، لقد عانيا الكثير من الصعوبات دون شكوى، لدرجة أنّ القارىء قد يشعر بشيء من المبالغة، فهل يعقل أن تستمر الحياة دون أية مناوشات أو نقاشات حادّة بين الزوجين؟.

أمّا إذا انعدم التّفاهم بين الزوجين، فإنّ الحياة الأسرية تغدو مسرحاً للأوامر والنواهي والطلبات التي لا تنتهي، والتي يلقيها أحدهما على الآخر ممّا يثير بينهما المشاجرات العنيفة على أبسط الأمور وأكثرها عمقاً؛ لذا كان لزاماً على أحدهما أن يتنازل للآخر فيمنحه السلطة المطلقة عليه، فتمتلك المرأة بذلك زمام السلطة حيناً ويمتلكه الرجل حيناً آخر.

أمّا امتلاك المرأة للسلطة في الحياة الزوجيّة، فهو قليل، لا يلقى قبولاً من المجتمع الذي يسخر من الرجل الذي يتنازل لزوجته المتمرّدة القوية روحاً وجسداً، حيث يصبح في عرف المجتمع محكوماً إلى امرأة، على النحو التالي: «إنه (أبو سليم) رجل محكوم لزوجته كما أجمع أهل الحارة، وذات مرّة قال له

---

[1] هزاع البراري، الجبل الخالد، ص75.

(أبو خالد) بأنّ عدد النساء في الدنيا أكثر من عدد الرجال، ولمّا سأله (أبو سليم) بغباء: كيف يعني؟ أجاب بأنّ نصف الخلق رجال، والنصف الآخر نساء، وأنّ نصف الرجال محكومين لنسائهم، والذي تحكمه زوجته يصير امرأة ويضاف إلى قائمة النساء»[2]، من هنا رفض الرجل الاحتكام إلى النساء فاتهامه بأنه امرأة فيه خدش وطعن لرجولته، وهذا ما لا يرتضيه الرجل الأردني سواء على الصعيد الفنّي أو الواقعي[1]، وإن كان كذلك فإنّه يحاول دفع التهمة عنه والادعاء بأنه صاحب السلطة في بيته حتى لا يصير سخرية للآخرين يتفكهون بها في مجالسهم المختلفة، على نحو ما كان يفعل أهالي المخيم مع أبي خالد: «إي والله لو أعرف أنّ امرأتي ستحكمني لأقطع ذراعي»[2]، مع أن معظم أهالي الحارة يدركون انكساره أمام زوجته[3].

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يظهر لنا من النّصوص السّابقة أنّ جمال ناجي انتقى شخصيّاته من بيئة بسيطة، فقيرة إلى المال والثقافة والاستقرار؛ يحتلّ الرجل فيها المكانة الأولى فهو المعيل للأسرة والمسؤول عن تأمين احتياجاتها، لذا كان من الصعب على رجالها الاعتراف بالتنازل لزوجاتهم أو حتى القول بالتفاهم معهن فقد كانوا يدركون بفطرتهم الاتهامات التي ستقلل من رجولتهم في نظر الآخرين، وهذه حقيقة أدركها جمال ناجي، لمعرفته السابقة بطبيعة الحياة في المخيم، إذ كانت ولادته ونشأته الأولى في مخيم عقبة جبر في أريحا[4].

---

[2] جمال ناجي، وقت، ص19.

[1] انظر: سهير التل، مقدمات حول قضية المرأة، ص26.

[2] جمال ناجي، وقت، ص20.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص20.

[4] انظر: محمد المشايخ، الأدب والأدباء والكتّاب المعاصرون في الأردن، ط1، مطابع الدستور، عمان، 1989، ص128.

أمّا امتلاك الرجل للسلطة في الحياة الزوجيّة، فهو أكثر الأنماط شيوعاً وأكثرها قبولاً في المجتمع، الذي يفخر فيه الرجل بقدرته الفائقة على السيطرة على زوجته وتحريكها وقتما يشاء وكيفما يشاء، وكأنها دمية لا تملك حقّ الدفاع عن نفسها أمام جبروت رجلها الذي يتفنّن في اختراع وسائل للسيطرة عليها، والتي من شأنها إخضاع العبدة/ المرأة لسيدها/ الزوج، فتغدو العلاقة بينهما قائمة على العبوديّة لا الرحمة أو المودّة[5]؛ لأنّ الرجل في كثير من الأحيان يرى النساء ماكرات، وأكثرهن مكراً الزوجات، فمتعتهنّ تعذيب أزواجهنّ، وإذا ما وقع الرجل في مشاكل جرّاء حبّه لزوجته تصاب بالكبر والخيلاء، والكارثة الحقيقيّة إذا أحست بالظفر، فالويل للرجال، فإنهم ينتحرون من أجل نظرة رضا فلا يجدون ما يسد رمقهم»[1]، كما أنهن في نظره: «لا يصلحن لغير الطبخ والاستغابة وإغواء الرجال، وقذارات ما قبل النوم»[2]، فهن عنده «همّ كبير وقذر»[3]، ويجب الحيطة في التعامل معهنّ خوفاً من تمردهن ونجاحهن في الثورة على الرجل المستبّد، بالتالي التخلّص من قيوده التي فرضت عليهن، كي يبقين تابعات لرجل لا تستطيع الواحدة منهن الاستقلال عنه على المستويين الروحي المتمثّل بالعواطف والمشاعر، والمادي المتمثل بالمال ولوازم الحياة المختلفة.

إنّ الرجل في الرواية الأردنية نجح في فرض سلطته على نماذج مختلفة من النساء - الأميّات والمتعلمات والعاملات - متغاضياً عن حرياتهن في الحياة الزوجيّة، كما أنه برع في استحضار الوسائل التي من شأنها الحدّ من حرية

---

[5] انظر: أحمد الربابعة، الشخصيّة الأردنية، ص82.

[1] هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ص80.

[2] جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص71.

[3] قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص40.

المرأة وإخضاعها وكسر جموحها وإضعافها أمام قوى الرجل الفكرية والجسدية، كالتهديد والنظرات القاسية والضرب والسجن وراء جدران البيت والطرد من بيت الزوجيّة والقتل والطلاق وغيرها من العقوبات التي تعرضت لها المرأة في العمل الأدبي الأردني.

ويمكننا أن نرى في التهديد والشتم والسخرية من المرأة وسائل تمهيديّة، يلجأ إليها الرجل لردع المرأة عن التفكير في التمرد عليه، وليؤذيها من الناحية النفسيّة والجسديّة، فتشعر بالدونيّة والنقص لأنها لم تخلق ذكراً؛ فمريم عندما أنجبت البنات لم تلق من علي سوى الهجر والتهديد بالزواج من أخرى والشتائم القاسية التي تقلّل من إنسانيتها، والتي تعزّز شعورها بالنقص؛ فهي تقول: «لماذا خلقت أنثى؟... كان الأجدى أن يخلق جنس واحد، يتكاثر ذاتيّاً... أمّا تقسيم الأدوار هذا تقسيم مجحف، عندها يعمّ العدل، وتتعادل كفتا الميزان ولا يتطاول الذكور علينا، ويحملوننا أوزاراً لم نقترفها»[1].

يكشف النّص عن إصرار الرجل على معاقبة المرأة بأساليب متعددة على ذنوب لم تقترفها يداها، وكأنّ الكاتب قد اختار لهذا الزواج الفشل لأنه لم يقم على أسس صحيحة، بل قام على أساس المنفعة والطمع المادي بمال الرجل الذي فرحت به مريم في بداية زواجها دون أن تفكّر في الشّخصيّة التي يجسدّها علي التاجر وأمثاله من الرجال الجاهلين، الذين لم يتمكنوا من نسيان الفرق بين الذكر والأنثى، فظلت نظرتهم المتخلفة إلى الأنثى تحكم تصرفاتهم معها، فعلي دائماً يلوم المرأة بقوله: «السعادة لا تكتمل... ومغفل من يتكل على امرأة»[2].

---

[1] هزاع البراري، الغربان، ص149.

[2] المصدر نفسه، ص148.

أمّا الضرب، فقد كان أكثر العقوبات النسائية تكراراً في الرّواية الأردنية؛ فالزوج يرى فيه وسيلة ناجحة لتأديب المرأة وردعها عن ارتكاب الأخطاء، فبعض الرجال يؤمنون بضرورة معاقبة المرأة وإن لم ترتكب ذنباً، حتى لا تفكّر في الخطيئة أبداً، على نحو ما فعل نزار مع زوجته هادية، حيث صفعها على وجهها وضربها ضرباً مبرّحاً ولوى ذراعها بقوّة إلى أن كسرت دون مبرر لعقابها سوى ما فكّر به نزار في حديثه مع نفسه: «يجب أن تحسب حسابي، يجب أن أذكرها دائماً بأنني نار، نار، لكي لا تفكّر ولو مجرد التفكير باللعب من ورائي»[3]، لقد كان نزار يعمد لمعاقبة هادية دون سبب يذكر حتّى يعودّها على احتمال فظاظته وحدّة طبعه وطاعته العمياء[4]، وقد تحقّق له ذلك على نحو ما جاء على لسان السارد حين وصف علاقة نزار بزوجته هادية بقوله: «نزار عوّد زوجته على الكثير من الأمور التي لم تكن تعرفها في بيت والدها، وهادية احتملت وتعوّدت!»[1]، فقد عوّدها على الارتجاف هلعاً لمجرد اشتمام رائحة غضبه.

وقد جاء موقف هادية من زوجها المتسلط المؤذي سلبيّاً؛ حيث صمتت أمام الطبيب ولم تخبره حقيقة ما حدث، واكتفت بالموافقة على ما قاله زوجها بأنه لم يتعرّض لها ولم يؤذها جسديّاً، فهو يعلل للطبيب إصاباتها الخطرة بقوله: «يا دكتور، المرأة وقعت على الدرج فحملتها، وجئت بها إليك، هذا كل ما حصل، لكن نبرات صوته، ونظراته المفاجئة المسلطة نحو زوجته هادية، أغلقت منافذ الهواء في أنفها الدقيق وفمها الصغير للحظات وأنستها في تلك الظهيرة الحارّة

---

[3] جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص106.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص104.

[1] جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص104.

بـأنّ الكـلام ممكـن وأنّ الاحتجـاج ممكـن...»[2]، وهـذا يـدلّ علـى ضـعف المـرأة الشديد واستسلامها التّام للرجل، دون أن تحاول الانتقام لذاتها المجروحة المهانة.

وعلى العكس ممّا فعلت هادية في انكسارها أمام الرجل، يصوّر الكاتب نموذجاً آخر، تمرّد على الرجل ودفعه إلى الانكسار أمام المرأة، فهاجار الواعية لحقوقها المدنية، تهرع إلى ضابط الشرطة لينتقم لها من زوجها عرقي الذي حاول ضربها، على النحو التالي: «اتجهت من فورها إلى المخفر، وشكته للضابط المناوب الذي أرسل برفقتها أحد رجاله من أجل القبض على عرقي، واحتجازه لمدة اثنتين وسبعين ساعة في المخفر»[3]، ممّا خلق في نفسه الخوف والذعر من التعرّض لها بالضرب خوفاً من العودة للسجن مرّة أخرى؛ فتوصل إلى أنّ خير وسيلة للتعامل معها هي الإقناع الذي تحوّل بمرور الأيّام إلى نوع من الرجاء ثم التوسّل، لقد نجحت هاجار في الدفاع عن نفسها أمام جبروت الرجل الذي حاول إخضاعها، بالضرب، فتحوّل زوجها إلى تابع لها لا يجرؤ على العصيان والتمرّد حتى لا توقعه في مشاجرات مع الناس والشرطة مرّة أخرى[1].

إنّ لجوء الرجل لضرب المرأة لزجرها وإسكاتها ومنعها من الدفاع عن نفسها والتعبير عن رأيها، يكشف عن وحشيّة الرجل وأنانيته وعشقه للسيطرة والقمع، فالرجل دائماً يجد الأعذار والمبررات غير المنطقيّة لغضبه السريع الذي يدفعه إلى ضرب زوجته حتّى الموت دون وعي منه، كما فعل كياز مع زوجته سمّار التي رأت في التسوّل وسيلة لجمع المال من أجل شراء بيت يؤمن

---

[2] المصدر نفسه، ص106.

[3] المصدر نفسه، ص207.

[1] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص207.

الاستقرار لها، والغريب في هذه الحادثة الموقف السلبي الذي يتخذه السارد حين يدافع عن انفعال كياز بقوله: «ربما كان من حقّ كياز أن يرفض فكرة زوجته، على الرغم من حاجته للنقود اللازمة لدفع ثمن الأرض!، ربما كان من حقّه أن يواجه طلبها بذاك الرفض المرهق المشحون، فالخواطر التي انهالت على رأسه حينما تخيّل زوجته وهي تدور في الشوارع، أوصلته إلى استنتاجات كفيلة بتحويل دمائه إلى حمم!، وفكّر بأنّه لو خرجت لتلقفها الرجال الهاربون من بؤس التضاريس المملة لأجساد زوجاتهم...»[2]، أيعقل أن يكون العقاب الذي يجب أن تتلقّاه سمّار على خروجها وتسوّلها رغماً عن زوجها؛ قتلها بتلك الطريقة الوحشيّة التي تشير إلى سطحيّة تفكير الرجل الذي يخاف عليها من مغازلة الرجال؟.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأمّا طرد المرأة من بيتها وخروجها بصورة بائسة مذلّة، فتفصح عن امتهانها والتقليل من مكانتها لتأديبها فيتجسد في النّص التالي[3]: «خرجت امرأة من بيتها، شعرها مبعثر ودموعها ساحلة على خديها، بيدها تضم شعرها تحاول إخفاء فزعه، [وتدّس قدمها] بنعل مهترىء صرخت بنحيب قاس... منك لله... وفرّت راكضة، لحقت بها شتائم الرجل بعد أن عجزت يده عن قذفها بالحجارة التي قدّام البيت، شتمها كأنه يشتم عدواً»[1].

إلاّ أنّ بعض الرجال المثقفين الشغوفين بالسيطرة على النساء أمثال نوفل، لا يرتضون بالضرب وسيلة لعقاب المرأة لإحساسهم العميق بأنّ الضرب قد يدفع المرأة إلى الاستمرار في محاولات التمرّد والثورة على الرجل، بينما حصارها فكريّاً وماديّاً يؤدي إلى اعترافها بقوامة الرجل وحقّه في التسلّط عليها لكونها بحاجة

---

[2] المصدر نفسه، ص188.

[3] انظر: منى محيلان، التجريب في الرّواية الأردنية، ص39.

[1] قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص33.

ماسّة إليه، لأنه الرجل وهي الأنثى، فهديل بعد صمت عنيد دام ستة وأربعين يوماً امتنعت فيها عن مخاطبة زوجها الذي ضرب حولها حصاره الضاري[2]، بأن استولى على أرصدتها في المصرف، مستخدماً الوكالة التي منحته إيّاها منذ سنوات، ثم استعاد السيّارة التي قدّمها هدية لها في عيد ميلادها الثامن والثلاثين، ومنعها من مغادرة البيت، وزيارة أو استقبال أي من الضيوف أو حتّى الاتصال الهاتفي، تعترف بانهيار قواها أمام نوفل بقولها: «هو الرجل وأنا الأنثى: لماذا أُكابر؟ هو الذي يقود السفينة! لماذا لم أعترف بهذا من قبل؟ ما الذي جرى لي؟[3].

وأمّا طلاق المرأة وهجرها في الرّواية الأردنية، فقد ترك آثاره السلبيّة في التكوين الداخلي لها، وقد يتم الهجر أو الطلاق لأسباب لا دخل للمرأة فيها، فحتوم الممرض يرى أنّ خير مكافأة يمكن منحها لزوجته بعد أن أنجبت له البنت الخامسة هي الطلاق، ومن المفارقة أنّ حتوم يعمل ممرضاً، فكيف لشخص يدرك علميّاً أنّ إنجاب الذكر لا علاقة له بالمرأة، أن يلوم المرأة على عمل لم تكن طرفاً فيه؟، إلاّ إذا احتكم إلى الرواسب التي خلّفتها العقليّة الرجعيّة التي أسهمت في تكوينه الشخصي وتناسيه الحقائق العلميّة التي قابلته في تعليمه وعمله في التمريض[4].

كما أنّ الكاتب قد أشار إلى هذه القضيّة إشارات سريعة مقتضبة في سياق ذكريات الماضي عن المكان، دون توغّل منه في آثارها الإيجابيّة أو السلبيّة والقمعيّة في الزوجين، وبخاصّة المرأة التي تمّ طلاقها بشكل تعسفي لا مبرّر له سوى الجهل والتخلّف والتمسّك بغبار الماضي القريب[1].

---

[2] انظر: جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص117.

[3] المصدر نفسه، ص118.

[4] انظر: جمال ناجي، وقت، ص29.

[1] انظر: جمال ناجي، وقت، ص ص15- 40؛ وناصر يعقوب، التجربة الروائيّة عند جمال ناجي، ص83.

بالإضافة إلى أنّ ممارسة الرجل لأشكال القمع المختلفة مع المرأة في الرّواية الأردنية لا تقتصر على مواقف الحياة العاديّة، بل تتعداها إلى أكثر اللحظات خصوصيّة بين الرجل والمرأة كالعلاقة الجنسية العنيفة التي تكررت بين طلعت الأسمر وزوجته سمر[2]. ممّا يؤكّد أنّ الرجل والمرأة في الرواية الأردنية لم يقتنعا بأنهما عنصران متكاملان يكمّل كل منهما الآخر، بل ظلاّ يؤمنان بأنهما خصمان تبنى العلاقة بينهما على التحدّي والنظر إلى الأشياء من وجهة نظر نسائيّة ووجهة نظر خاصّة بالرجال، دون الالتفات إلى أنّ المشكلات والمواقف الأساسيّة في الحياة لا هي مؤنثة ولا مذكرة بل هي ببساطة إنسانيّة، يجب أن يتشاركا في النظر إليها نظرة سليمة ناقدة خالية من التحفّز الذي نجده في كثير من مواقفهما وبخاصّة في الحياة الزوجيّة[3]؛ ولعل السبب في ذلك أنّ الرجل غير قادر على الاقتناع بأنّ للمرأة امتيازات وحريّات من شأنها أن تمارسها دون العودة إلى الرجال الذين هم ضلوع صلبة مسحوبة من أجساد الذئاب على حدّ قول الرجل في رواية جمال ناجي[4].

---

[2] انظر: قاسم توفيق، ورقة التوت، ص74.

[3] انظر: حسين أمين، المرأة بين الشارع والبيت، ص9؛

وروبرت همفري، تيار الوعي في الرّواية الحديثة، ترجمة محمود الربيعي، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص30.

[4] انظر: مخلفات الزوابع الأخيرة، ص189.

صورة المرأة عند الكاتبة

المرأة والمجتمع:

تطرح الكاتبة في ثنايا عملها الأدبي قضيّة مهمّة عمادها على رصد مكانة المرأة/ الأنثى في الأسرة أولاً، والمجتمع ثانياً، منذ اللحظة الأولى لحضورها/ ولادتها، فولادة الأنثى في الرّواية الأردنيّة لم تلق الحفاوة التي تلقاها ولادة الذّكر، وبخاصّة من الرجال، على نحو ما رأينا من ابتهاج فهد الرّشيد الذي يمثّل الأجيال الأولى التي أسهمت في بناء المجتمع الأردني وعمرته، بولادة أبنائه الذكور، فهو ينظر دائماً إلى هضبته قائلاً بفخر واعتزاز: «سأملؤها بالفهود...»[1]، ولعلّ خبرة الكاتبة ومعرفتها الأكيدة بعنصريّة الرجل نحو جنسه ورغبته المكبوتة والمعلنة، بأن لا تحمل زوجاته إلاّ الذكور، تدفعانها إلى أن تجمع بين ولادة الذكر والأنثى من خلال تصوير ولادة تمام الزوجة الثانية لفهد لتوأم يتألف من ذكر/ ربيع الابن الثالث وأنثى/ رابعة البنت الأولى على النحو التالي: «وعند أول صرخة لأوّل مولود، هلل فهد وكبّر، وأطلّت فريدة قائلة: ولد ولد... ولسه الرّابع على الطّريق، كانت تحسب الأوّل والثّاني أبناء غزالة، وقد أطلق فهد صرخة جذلى وقال: الحمد لله... ياوجه الخير وقدوم السعد... هذا ربيع... ربيع الله وين الرابع...

دقائق وأطلّت فريدة: عروس... بنت... بنت

انخفض الحماس لثوان: بنت، بنت يا لله كله خير، ثم عاد صوته يرتفع من جديد: يا سلام بنت... أهلاً وسهلاً... عروس تحلّي إخوتها وحصوة في عين الحسود» [2] لقد رضي فهد عن ولادة الأنثى، لأنها ستشكل نوعاً من التمائم التي

---

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ط1، دار الكرمل، عمان، 1995، ص ص36، 292.

[2] المصدر نفسه، ص36.

ستحمي إخوتها الذكور من أعين الحاسدين الذين لم ينجبوا الذكور سنة تلو أخرى كفهد الرّشيد الذي يمتدح زوجاته، بتعابير وألفاظ تدل على فرحه بحملهن، فتمام "بنت الكرام كريمة"[1]، لأنها تحمل توأماً، وغزالة "فرس أصيلة"[2] لأنها تحمل للمرّة الثالثة.

ويبدو الخوف على الذّكور من الحسد، عادة متوارثة عند معظم الأُسر، فراوي ضمير الغائب في رواية "وتشرق غرباً" يعلن هذه الحقيقة في سرده لسبب تسمية الابن الرّابع لشكري النجّار/ عطا الله شقيق هند الأصغر بهذا الاسم، فهو يقول: أم شكري النجار «تحبّ أولاد ابنها كثيراً وهم يحبونها... عماد وحسام وهند وبسّام والرّضيع عطا الله، وقد اختاروا له هذا الاسم حمداً لله على الولد الرّابع لشكري النجّار الوحيد بلا أخ... ورداً لعيون الحاسدين»[3].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أمّا المرأة، فتتناسى أنها أنثى عندما لا تحفل بولادة الفتاة، وترمقها بنظرة دونيّة تقلّل من شأنها حتى في الموت، ففريدة تخفّف حزن ولدها على موت طفلته بقولها: «ليش يمة تايه وتعبان، حالك ما هو حالك الأولى... الله أخذ أمانته كيف لو كانت ولد شو بتسوي»[4].

وتطرح الكاتبة صورة للفرح بولادة الفتاة من قِبَل المرأة، في مشهد ساخر حين تعلن المرأة فرحتها في بيت الرّشيد بولادة الفتاة، لأنها أنثى ولدت لضرتها، على نحو ما رأينا من انفعالات النساء، عندما ولدت الزوجة الرّابعة نوّار مولودها الأوّل: «وفي المساء يسمع صوت بكاء مخلوق جديد، وتبدو نساء فهد، مترقبات قلوبهن معلّقة في صدورهن بانتظار كلمة تبرد الحمى التي تأكل

---

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص35.

[2] المصدر نفسه، ص37.

[3] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، المؤسسة العربية للدراسات، 1988م، ص16.

[4] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص89.

صدورهـن حين تعلن فريدة: عروس... مثل القمر، وتزغرد أم نـوّار... فتضـحك غزالة وتهمس لنفسها، وإن سمعها الجميع: هو خلفة الأولاد بـالهيّن، هـاي شـغلة بدها فرس أصيلة...»[1]، ويتكشّف لنا من النّص غرور غزالـة وشـعورها بـالفخر لإنجابها الذكور بصورة دائمة.

وبالرغم من اللقاء الحزين بين الأم وطفلتها الأنثى في اللحظات الأولى من ولادتها، حيث تكون قد تمنتها صبياً: «ومهجة أمي لم تطاوعها أرادتني صبياً، وضعت كفّها الناعمة على كرة بطنها، وأنا مجرد جنين، وتمنتني صبياً... صلّت، وضقت بأناملها، وصلتني لمساتها، ومع ذلك جئت بنتاً» [2]لأسباب نفسية، أهمها وعي الأم بقسوة الحياة التي ستفرضها عليها العادات والتقاليد، فإنّ الأم تمثّل الحاجز الذي يفصل بين ابنتها وظروف الحياة الصعبة، إذ تعمل على حمايتها والحفاظ عليها والدفاع عنها بالقول والفعل، حتى في أكثر المواقف خطورة وحساسية، على نحو ما رأينا من والدة خديجة محبوبة خير الله، فعندما انكشف سرهما، وعرف والدها بعلاقتهما، غضب ولم يفكّر أبداً بل هرع إلى معاقبتها فوراً، بينما حاولت الأم حمايتها وردع قمع والد الفتاة بالتصدي لضرباته، على النحو التالي: «تأتأت الفتاة وبكت وذراعيّ أمها تنفردان في محاولة لحمايتها: وطي صوتك يا أبو عبد الله... لويش الفضايح...

- فضايح؟؟ أيوه والله غير أذبحك وإياها على الدرجات قدام الخلق...
- يابه ما سويت إشي... كنت باسقي الزرع... واحد سألني عن عبد الله...
- عبد الله...؟ ما هم عارفينه في المدرسة. ولويش هذا مش في مدرسته؟ وكيف تردي عليه... متعوّد يحكي معك...

---

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص242.

[2] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ط1، دار شرقيّات، عمّان، 1998، ص9.

وانهال الأب على ابنته ضرباً وتلقت الأم المريضة بعض اللكمات، وهي تتحرك متألمة توقف المذبحة وتبكي بحرقة»[3].

إنّ الصورة السلبيّة التي تقدمها الكاتبة للوالد المتسلّط تؤثر سلبياً في التكوين النفسي لشخصيّة الفتاة، فهي تنشأ قلقة مترددة غير قادرة على اتخاذ قراراتها بنفسها، متألمة لإحساسها العميق بالتمييز بينها وبين إخوتها الذكور خاصّة، وتشعر بالاغتراب الذي يدفعها إلى النفور من الوالد والخوف الشديد من مصارحته بحقيقة مشاعرها الداخليّة نحو الآخرين، فرابعة مثلاً كانت تعمد دائماً إلى إخفاء فرحتها بالزواج من منذور خوفاً من والدها، الذي سيحرمها من فرحتها إذا عرف بميولها القلبية نحوه، على العكس من أخويها، ليث وخير الله المتعلمين اللذين يدركان حقها في اختيار الرجل المناسب لها ويفرحان بفرحتها، «لكنهم كانوا فرحين لما يرونه من آثار فرحتها التي تحاول إجهاضها إذا ما التقت بعيني والدها، كان بها ذعر لو أنه كشف عن ستر ما يدور في نفسها أن يحرمها هذه السعادة، وقد تلقّت طقماً من الذهب جلبه لها والدها بفتور وبرود متجنبة الاصطدام بذهب خاصّة بعد موقفها من هدية شيماء، ولكنها ما أن اختلت بنفسها في حجرة تمام حتى عانقت الكردان الذهبي، وقبّلته مرّات وراحت تدور حول نفسها في هوس غير عادي»[1].

ويجدر بنا أن ننوه إلى أنّ تعليم الرجل وتوعيته وانفتاحه على ميادين الحياة الاجتماعية التي تطوّرت بتطوّر المجتمع الأردني، دفعته إلى التخفيف من قيوده التي فرضها على ابنته متأثراً بفلسفات والده وعاداته المتوارثة عن الأجيال السّابقة، ممّا أتاح الفرصة أمامها للخروج إلى المدرسة والجامعة والعمل، وللمشاركة في تنمية وطنها وبنائه كالرجل، ففريدة ابنة فهد الأخيرة، نتاج زواجه

---

[3] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص165.

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص123.

الرّابع، تمنحها الحياة من الحريّة والحبّ والانطلاق والتعليم ما لم تمنحه لشقيقتها رابعة البنت الأولى لفهد الرّشيد، التي اعتكفت في البيت منذ طفولتها إلى أن تزوجت[2]، على عادة الكثير من النساء اللواتي قبعن خلف أسوار البيت في السنوات الأولى لتأسيس الأردن وبنائه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[2] المصدر نفسه، ص81؛ سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص ص20، 130، 157، 174، 179.

المرأة والتعليم:

قضية تعليم المرأة من أهمّ القضايا التي أشارت إليها الكاتبة في رواياتها المختلفة، فالكاتبة الأردنيّة تؤمن بضرورة تعليم المرأة وتثقيفها، لما في ذلك من تحرير للعقلية النسائيّة غير المتعلمة واستقلاليتها.

وانطلاقاً من ضرورة تعليم المرأة نجد الكاتبة الأردنية تصرّ على الدعوة إلى تعليم المرأة في مختلف مراحلها العمرية، فالنسرينة والسوسنة شخصيتا رفقة دودين الرئيسيتان تكشفان عن رؤية الكاتبة ونظرتها إلى معاناة المرأة وتدني مكانتها الاجتماعية في الرّيف الأردني، حيث عملت في إحدى قراه مدرّسة للغة العربية، لذا جاءت كلاهما تطالب في حركتها الإصلاحية بتوعية النساء وبخاصّة الرّيفيّات بتشجيعهن على اللحاق بصفوف محو الأمية لما فيها من يقظة وارتقاء[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

كما أنّ الكاتبة الأردنيّة تقوم بتصوير مشاعر المرأة المحرومة من التعليم، وتشير إلى شعورها بالنقص لأنها سُلِبَت أدنى حقّ من حقوقها، فمريم النجار من النساء اللواتي حرمن التعليم، نجدها تعبّر دائماً عن رغبتها المكبوتة بالتعليم، وشعورها بالنقص في أية فرصة تتاح لها، فهي تعامل المعلمات باحترام شديد لأنهن يعرفن وهي لا تعرف[2]، وتصرّ على سماع القصص والحكايات التي يقرؤها زوجها لتزداد معرفة منها، وترجوه الاستمرار في القراءة إذا أراد التوقف، على النحو التالي: «إحكِ لنا قصة من الكتب التي قرأت... جملة تظلّ مريم النجار ترددها لزوجها كل مساء... فهي لا تعرف القراءة، ولكنها تحبّ

---

[1] انظر: مجدور العربان، ص ص4، 133؛ وأعواد ثقاب، ص ص80، 157.

[2] انظر: ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص8؛

وأحمد عرفات، صورة المرأة في النص الرّوائي، ليلى الأطرش نموذجاً، أدب ونقد، ع136، القاهرة، 1996، ص37.

الحكايات والقصص، وتحبّ الكتب التي يدمن زوجها على قراءتها، وكذلك كتب أولادها ، فتنقلها بحرص وحبّ... تمسك زوجته الكتب برفق، تقبّلها تفتّش فيها عن صور، وتحدّق إلى الأغلفة الملوّنة... وتعجز، فترتبها في زاوية الخزانة الخشبيّة بحب عاشق عاجز، ولا تسمح للصغار بالعبث بها، وتظلّ تلح على زوجها أن يخبرها بما فيها...»[1]، كما أننا نجدها تصف السعادة والأحلام الكبيرة بالتعليم العالي للمهنئين بنجاح ابنتها بدلاً منها، فتدرك هند أنّ والدتها/ مريم النجار «تنتقم بنجاحها من عجزها وافتقارها إلى التعليم، فيغمرها الحنان والعطف عليها، وتبتسم وتضمها مرّات ومرّات وتقبّل وجنتيها كلما أسهبت في الحديث عن النجاح والآمال»[2].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتظهر الكاتبة تعلّق مريم النجار الشديد بالتعليم، عندما تدفعها إلى الحرص الشديد على منح فرصة التعليم التي حرمت منها لابنتها هند، فالقارىء يلاحظ تمرّد مريم النجار وسعيها إلى الحصول على حقّ لابنتها في التعليم، فهي لا تختلف في هذا الحق عن إخوتها الذكور، على نحو ما يكشف الحوار التالي:

«(عماد): كم سنة يا هند وبتروحي أمريكا، لازم تتعلمي البنات اليوم مثل الأولاد تماماً.

صرخت جدتها: عاد أمريكا، بنت وتروح أمريكا؟

أجابتها مريم: البنت زيّ الولد، وبتروح لما تكبر مع إخوانها، لازم بنتي تخلّص علمها»[3].

لكنّ هذا التمرّد يكسر عندما ترضخ مريم النجار لإرادة الوالد شكري النجار بأنّ هند فتاة، ولا يجوز مخالفة العادات والتقاليد وإرسال البنت إلى خارج

---

[1] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص108.

[3] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص69.

القرية للدراسة، فالعائلات المحافظة لا ترسل البنات إلى خارج البلاد حتى لو كانت ميسورة الحال[4]، «فهذه بنت وهذه غربة؟»[5].

لكنّ رغبة هند الشديدة في التعليم التي أورثتها إياها أمها الطامحة إلى تعليمها، دفعتها إلى التنازل والقبول بدراسة الحقوق عن طريق الانتساب إلى إحدى الجامعات العربية، إرضاءً لوالديها وبخاصّة الأم التي غضبت وتمردت دون فائدة، فهند تقول لوالدتها: «أبوي على حق... ويا ستي مش آخر الدنيا، وما معك حق تزعليه، وأنا برضيكم الاثنين وبرضي نفسي... بتوظف وبسجل انتساب في سوريا... بروح وقت الامتحانات بس... ناس كثير بيعملوا هيك...»[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

وإصرار الأم على تعليم فتياتها لم تنفرد به مريم النجار، فنساء كثيرات حذون حذوها في الرّواية الأردنيّة، فعلى سبيل المثال ترفض عائشة تزويج بناتها في سنّ صغيرة، لأنها تحلم بأن تمنحهن فرصة التعليم التي حرمت منها بسبب زواجها المبكر في سن صغيرة، على نحو ما جاء على لسان إحدى النساء اللواتي أردن إحدى بناتها للزواج: «عجيب... عجيب، عائشة تقول كلاماً غير مفهوم، تقول البنات صغار، ويجب أن يتعلمن، هي تزوجت صغيرة فلم تتعلم، وهي تريد لبناتها أن يفعلن ما لم تفعله...»[2] إضافة إلى أنّ النص يشير إلى نظرة المرأة السلبيّة ودورها السلبي في الاستهزاء والسخرية من غيرها من النساء اللواتي يرغبن بتعليم الإناث.

---

[4] انظر: إبراهيم خليل، الانتفاضة الفلسطينية في الأدب العربي، ط1، دار الكرمل، عمان، 1989.

[5] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص108.

[1] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص110.

[2] سميحة خريس، المد، ط1، دار الشروق، عمان، 1989م، ص24.

لقد غدا الزواج المبكر عائقاً في الرّواية الأردنيّة أمام تعليم المرأة كما في الواقع[3]، فعفاف تترك المدرسة بدافع من الأسرة، لأنها التقت برجل غني يكفيها مؤونة الحياة، وكأنّ التعليم غدا وسيلة للتكسّب فقط، لا وسيلة للوعي وتحقيق الذات، فإحسان يتحدث عن الرجل والمال ودورهما في زواج أخته عفاف في قوله: «بالمال استطاع فارس أن يخرج بأختك عفاف من المنزل زوجة له، بعد أن كانت أمك تلعن الأقارب العقارب بمناسبة وبغيرها... بل تغاضت عن إكمال عفاف لدراستها، وزوجتها له حين أكملت الإعدادية»[1].

ومثل هذا الزواج كان السبب في حرمان نادية الفقيه من تعليمها، إذ إنّ نادية كانت تؤمن بأنّ الزواج هو الهدف النهائي لرغباتها[2]، ممّا دفعها إلى قطع دراستها الجامعيّة للزواج من إحسان الذي يصرّ على سلبها حقّها من التعليم، حين يخالف اتفاقه مع والدتها بالسماح لنادية بالدراسة بعد الزواج، إضافة إلى انتزاعه الكتاب منها كلما أرادت أن تعوّض ما فاتها من العلم، بل وعمل أيضاً على تحديد نوعيّة الكتب التي تقرؤها، فأخذ يجبرها على قراءة المجلات البسيطة التي تتحدث عن الممثلين وأشباههم[3].

وبينما تنازلت نادية الفقيه عن حقها في التعليم رغم انشغال إحسان المتواصل عنها أصرّت زهرة على التوفيق بين الدراسة والزواج المبكّر والأولاد، حتى إنّ زوجها صالح أيوب يعترف بتفوقها وقدرتها على تحقيق ما تريد، في غمرة انشغاله عنها في أعماله المتعددة، فهو يقول في تمردها ونجاحها بين البيت والتعليم: «يكبر الصغار في غفلة عن أهلهم، وتمتلك عاشقة ذاتها فلا

---

[3] انظر: دائرة المطبوعات والنشر، المرأة الأردنيّة، ص19.

[1] ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990، ص14.

[2] انظر: عبد الله رضوان، أدباء أردنيون، دار الينابيع، عمان، 1996، ص284؛
وأحمد عرفات، صورة المرأة في النص الرّوائي، ليلى الأطرش نموذجاً، ص41.

[3] انظر: ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص ص42، 51، 52.

يدري بها من تحب... تركت لزهرة أن تكمل دراستها... بل والبيت والأولاد، فحققت نجاحها في غفلة مني...»[4].

لكنّ الفتاة غالباً ما كانت تضطر للخضوع لأوامر الأسرة بالزواج وترك التعليم دون عودة، فجان التحقت بركب المتزوجات في سن مبكرة، وتركت المدرسة رغماً عنها[5]، ورباب أيضاً تترك المدرسة، وتحرم حقها من التعليم، حين تساق إلى بيت زوجها في موكب جنائزي رغماً عنها[6]. وكذا منى فهي تضطر إلى ترك المدرسة والخضوع لأوامر الأب بالزواج المبكر، ممّا ترك أثراً سلبيّاً في تكوينها النفسي، حين ظلت تشعر بأنها حرمت حقّاً من أهمّ حقوقها ألا وهو السعي وراء التعليم وتحقيق الذات[1].

ومن المعوّقات الأخرى التي كادت تحول دون تعليم المرأة، الفقر والحالة الاقتصادية المتردية للأسرة، فسلمى تنتمي لأسرة بسيطة تتكون من ثمانية أفراد، الأب هو المسؤول الوحيد عن إعالتها، ويعمل موظفاً في الجيش، لذا نجده يرفض تعليم ابنته محتجاً براتبه المحدود، الذي لا يكفي الأسرة مؤونتها، ممّا دفعها إلى التعبير عن غضبها وقهرها المكبوت من والدها الذي حرمها أن تكمل دراستها الجامعية بالصراخ والبكاء في وجه الأم، على النحو التالي: «وإلا أبوي! قلت أكمل دراستي رفض... ما بيقدر بده يتقاعد بعد سنة! طيب أطبع كتابي... لما تكبري وتنضجي... اشتغلي وبعدين بنشوف»[2].

---

[4] ليلى الأطرش، صهيل المسافات، دار شرقيات للنشر، القاهرة، 1999، ص109.

[5] انظر: زهرة عمر، الخروج من سوسروقة، ط1، دار أزمنة، عمان، 1993م، ص132.

[6] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص91.

[1] انظر: ليلى الأطرش، ليلتان وظل امرأة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1998م، ص206.

[2] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص112.

وتقتنع سلمى بالتنازل عن الدراسة اليومية، بالعمل الذي يمكنها فيما بعد من الانتساب إلى إحدى الجامعات العربية[3]، ويظهر أثر التعليم في شخصيّتها حين ترى في القراءة والكتابة الوسيلة الأفضل للتعبير عما يحيط بها من ظروف اجتماعية قاسية، على صعيد الأسرة والعمل، فهند كلما التقت سلمى عند العودة من مدرستيهما تجدها «أقلّ انشغالاً بزميلاتها وأكثر بعداً عنهن، تمرّ الأيّام ولا تكاد تعرف عن واحدة منهن شيئاً، رافضة لما هي فيه، بائسة... تغرق نفسها في كتاب تلو كتاب، وتحاول أن تكتب قصصاً قصيرة، تنفث فيها تشاؤمها وانقباضها...»[4].

جميع الحقوق محفوظة

ولجوء المرأة إلى الكتابة للتعبير عمّا سكنها من مشاعر وأفكار وتناقضات نلحظه أيضاً في "الخشخاش"، إذ تلجأ الشّخصيّة الرئيسة إلى الكتابة لتفريغ ما في داخلها من هموم الحياة وثقلها، متيقظة واعية أنّ الكتابة قادرة على تخليصها من الهموم والخيالات والفراغ الذي تحياه، بسبب الروتين اليومي الذي تعيش فيه أية امرأة متعلمة غير عاملة، فهي تناجي نفسها قائلة: «أريد أن أتنفس، أن أكتب، لن أتعافى من خيالاتي إذا لم أكتب، أنا امرأة عادية بسيطة، أكتب القصص بين الحين والآخر، هواية بدأت بالخواطر المدرسية، وأثمرت بأن نشرت لي بعض الصحف شذرات ممّا أكتب في صفحات الهواة والواعدين... أتسلى أو أتنفس ولم أدرك حاجتي للكتابة قبل ذلك...»[1].

والكاتبة تشير إلى تأثر الشّخصيّة الإيجابي بالعلم والثقافة، وتأثيرها فيمن حولها من الشّخصيّات، فالسوسنة تثير صالح بثقافتها العالية وتميزها العلمي وهمتها العالية لتثقيف الناس في قريتها، ممّا يدفعه إلى التأثر بها والانضمام إلى

---

[3] انظر: المصدر نفسه، ص122.

[4] المصدر نفسه، ص118.

[1] سميحة خريس، الخشخاش، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2000م، ص22.

الحزب الذي تنتمي إليه، ليستقي منها المبادىء الأولى للإصلاح والمناداة بتحرر المرأة وضرورة توعيتها في بلده، فها هو يقول: «أنا ماضٍ في إعادة ترتيب أوراقي وأولويات حياتي، ربما كان اختياري طريق محبّة قومي بسبب من السوسنة...، ذلك أني التقيتها أكثر من مرّة، مشرفة في القرى على برنامج التمريض البيتي...، كانت تأسر القلوب بحديثها الجميل العميق، وبضرورة أن يكون المناضل قدوة في كل تصرّف، بتصرفه في كل عمل يقوم به، فلها وعليها السلام في كل آنٍ وحين»[2].

لقد أدركت الكاتبة الأردنيّة أنّ الخطوة الأولى لتحرر المرأة لا تتم إلاّ بتعليمها وتوعيتها ويقظتها من السبات وراء جدران البيوت، لذا نجدها تمنح شخصيّاتها شغفاً كبيراً بالتعليم والدفاع عن حقوق المرأة فيه، فالتعليم يسهّل الطريق إلى العمل الذي سيمنح المرأة ذاتاً خاصة بها مستقلة عن الرجل.

[2] انظر: رفقة دودين، أعواد ثقاب، ط1، دار الفارس للنشر، عمان، 2000، ص80.

المرأة والعمل:

يمكننا تناول عمل المرأة من خلال الإشارة إلى واجباتها اليومية داخل البيت وخارجه، فعمل المرأة يكون في اتجاهين: الأول: عمل المرأة داخل البيت ويكون ملزماً وروتينياً دون مقابل، تجبر المرأة على مزاولته أرادت ذلك أم لا، حيث تعمل الأسرة/ الأم على تجهيز الفتاة لهذا الدور منذ طفولتها المبكرة على الصعيدين الفني والواقعي، فرابعة ابنة فهد الرّشيد التي لم تتجاوز مرحلة الطفولة، تشارك نساء فهد الرّشيد في مهامهن البيتيّة، وتقوم بمساعدة والدتها في كل صغيرة وكبيرة، حتى أنها أصبحت المسؤولة عن تجهيز احتياجات والدها وخدمته، إضافة إلى مسؤوليتها نحو جدتها فريدة، والحجّة في ذلك أنّ رابعة فتاة ستتزوج بعد سنتين أو ثلاث، لذا يجب عليها إتقان مهام النساء ومساعدتهن بينما نجد إخوتها الذكور يلعبون مع أقرانهم أو يدرسون أو يساعدون والدهم ويجالسونه[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتوجز سميحة خريس مهام المرأة اليوميّة المرهقة داخل بيتها على لسان شخصيّتها الرئيسة في الخشخاش على النحو التالي: «يتحوّل عقلي إلى دفتر دقيق بصورة غريبة، وهو يدوّن بجلد المهام التي سيلهث جسدي وراءها في يوم قصير... حليب الصباح، والخبز الذي ما تبقى إلاّ كسرة منه... إعداد طبق البازلاء والأرز... جمع قطع الغسيل المنسية على الحبل منذ الأمس... كي مراييل المدرسة وقمصان الزوج... مسح بلاط المطبخ المتّسخ... غسل شعري المتّسخ قبل وصول النقّاد الصغار ووالدهم... أحتاج إلى سكرتيرة، أو خادمة أو

---

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص ص91- 94؛

نزيه أبو نضال، المرأة في الأردن بين الواقع والطموح، المجلة الثقافية، ع36، الجامعة الأردنية، 1995، ص169.

ضرّة، أحتاج إلى عدّة نساء أوزع عليهن مهامي، ولكني أقوم بها مجتمعة...»[2]، يضاف إليها عمل المرأة خارج البيت بالنسبة للمرأة العاملة.

أمّا الاتجاه الثاني، فيتمثل في عمل المرأة خارج البيت، وقد أكدّت الكاتبة على أهميته ودعت إليه النساء وبخاصّة الريفيّات، لما فيه من استقلال مادي للمرأة عن الرجل وتنمية للوطن، فالنسرينة تدعو النساء إلى العمل من أجل الوطن قائلة: «على المرأة أن تقيم منجزات وطنية خاصة حقيقية؛ إنتاج حقيقي فعلي، ما المانع في أن تقام لها المصانع؛ مصانع بسكويت، دمى أطفال... مزارع أيضاً...»[1].

جميع الحقوق محفوظة

وقد تنوّعت الأعمال التي مارستها المرأة وتعدّدت وفقاً للمؤهلات العلميّة والعملية التي أتقنتها النساء، فالنساء اللواتي حرمن من التعليم اتجهن إلى الأعمال المهنية كالزراعة والخياطة والتطريز والتجميل والبيع والشراء، فمنى تصرّ على الاستقلال بذاتها والتخلّص من تبعيّة الزوج المادية بما أُتيح لها من العلم على افتتاح محل لتجميل النساء الذي فرح الزوج بأرباحه فرحاً يفوق صاحبته التي جمعت بين العمل داخل البيت وخارجه، فها هي تصف فرحة زوجها بأرباح عملها عندما تقول: «اكتسبت المهنة بأسرع مما أتصوّر... جئت بخبيرة وعاملات وراقبت ما يفعلن فتعلّمت... وصار "صالون منى" أحدث وأشهر الصالونات في البلدة، ثم فاقت أرباحه دخل يوسف بمرّات، وظللت حين يدقّق الحسابات لي ألحظ السعادة على وجهه فرحاً بما أنجز»[2].

---

[2] انظر: ص ص13- 14.

[1] رفقة دودين، مجدور العربان، ط1، مؤسسة رم للتكنولوجيا، مؤتة ، 1993، ص132.

[2] ليلى الأطرش، ليلتان وظلّ امرأة، ط1، ص38.

وأمّا النساء اللواتي حظين بفرصة التعلّم، فقد انخرطن في العمل في المؤسسات الحكوميّة والخاصّة التي تشترط حصول المرأة على قدر من التعليم الجامعي، لتكون مؤهلة للعمل في التعليم والمحاسبة والسكرتاريا والأعمال الحرّة وإدارتها والصحافة والمحاماة... وغيرها من الأعمال التي تشترط المؤهلات العلمية والعملية، التي تختص بها المرأة في الجامعات والمعاهد العلمية، فهند وصديقاتها يعملن في التدريس[1]، وفريدة فهد الرّشيد في المحاسبة[2]، والنسرينة تعمل في السكرتاريا[3]، ونادية الفقيه تعمل في تأسيس شركة تجارية خاصّة بها[4]، وكذا آمال التي تفتتح مكتباً للمحاماة خاصّاً بها[5].

جميع الحقوق محفوظة

وقد تعدّدت الأهداف التي دفعت المرأة إلى العمل في غير مهامها البيتية، فقد خرجت المرأة من بيتها لتعيل أسرتها التي تعتمد على فرد واحد منتج لا يكفي عمله لسد حاجات الأسرة اليوميّة، فالنسرينة تعمل عند الطبيب زياد سكرتيرة، لتساهم مع والدها في حمل عبء أسرة كبيرة في زمن تغيراته جسام وظالمة، فليس أصعب من التحكم في رقاب العباد بلقمة الخبز على حد قول زياد رب عملها[6]، وفريدة تزاول العمل في الزراعة باستمرار لتساعد ولدها فهد في زراعة هضبته وتخفيض أجور العمّال عليه، إذ كانت تعمل معه دون مقابل مادي فهي لا تنتظر منه سوى المحبّة والاحترام[7]، وكذا أم أحمد تضطر إلى

---

[1] انظر: ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ط1، ص115.

[2] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص192.

[3] انظر: رفقة دودين، مجدور العربان، ص26.

[4] انظر: ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص131.

[5] انظر: ليلى الأطرش، ليلتان وظل امرأة، ص86.

[6] انظر: رفقة دودين، مجدور العربان، ص28.

[7] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود تقاسيم الحياة، ص12.

العمل خارج بيتها لتساعد زوجها عامل البناء، الذي لا يحصل إلاّ على مال قليل لا يسد رمق الأسرة واحتياجاتها الضرورية[8].

كما أنّ المرأة اندفعت إلى العمل خارج البيت وحتى داخله في أعمال الخياطة والتطريز بدافع داخلي مكبوت في نفسها، فهي أرادت من خلال عملها أن تشغل وقت فراغها بعد الانتهاء من أعمالها البيتية الروتينية، وأن تؤمن احتياجاتها الخاصة دون أن تضطر إلى سؤال الرجل، إضافة إلى رغبتها الشديدة في الإعلان عن وجودها وتحقيق ذاتها، والخروج من إطار أنوثتها التي تسببت في حجزها وراء جدران البيت لسنوات عديدة، أرهقتها جسدياً وفكرياً، حيث كانت رهينة الجهل والقمع والانصهار أمام الرجل ومعرفته الواسعة مقارنة بها، فآمال امرأة غنية مثقفة تسعى إلى العمل باحثة عن ذاتها من خلاله[1]، فهي ترفض أن يمتلكها زوجها، ويرى فيها جسداً يملكه ويحركه كيفما يشاء دون أن يكون لها الحق في استقلاليته والدفاع عنه، فها هي تقول: «كان عادل يريدني أماً لأبنائه، وكنت أريد أن أكون أنا وأماً، وأحببت أن أكون أنا وزوجة، فأرادني امرأته فقط... ولم أحتمل أكثر... أخذت أبحث عن ذاتي رغم إرادته، كثيراً ما حاولت أن أتحدث عن هموم مكتبي أمامه... فيردني بنزق، مؤكداً منذ البداية أنّ عملي يجب أن يبقى خارج المنزل، وفاته أنه إنما يطالبني بأن أفصل نصف ذاتي عني!... تزوجني عاملة تبحث عن تأكيد ذاتها، وها هو يرفض طريقاً لي التقاني فيه، وأحبني من خلاله»[2].

---

[8] انظر: ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص15.

[1] انظر: ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، الرواية العربية النسائية، الملتقى الثالث للمبدعات العربيات، ط1، دار كتابات، تونس، 1999، ص157.

[2] انظر: ليلى الأطرش، ليلتان وظلّ امرأة، ص88؛

إبراهيم خليل، الخطاب النسوي في رواية ليلى الأطرش، علامات، م8، ج31، جدة، 1999، ص187.

يكشف النّص عن أنانيّة الزوج/ عادل وتناقضه وحبّه لذاته وغروره الذكوري الذي دفعه إلى أن يسمح لنفسه بما لا يسمح لزوجته به، فمن حقّه أن يعمل وأن يتحدث عن عمله باستمرار، بينما لا يحقّ لزوجته/ آمال أن تفعل ذلك، إضافةً إلى ادعائه الإيمان بحرية المرأة وحقها في العمل أمام الآخرين، وفي الوقت نفسه يشعر بالضيق من نجاحها المتواصل في العمل وانشغالها به رغم تعلمه وغناه، على النحو التالي: «انصبّ اهتمامه كله في عمله، فلا حديث إلاّ عن الشركة والزبائن والصفقات والسفر، لا يقرأ كتاباً سوى جرائد الصباح باحثاً فيها عمّا يهمه... غير أنه أمام الآخرين ظلّ يستمع إلى ما أقول متباهياً بمعرفتي وتميزي عن الأخريات... وفي خلوتنا كان يضيق بانشغالي عنه»[3]، وعلى العكس من الرجل الأناني السّلبي الذي نقابله في شخصيّة عادل، فإننا نعثر على الرجل الإيجابي الفخور بنجاح زوجته وتحقيقها لذاته متمثلاً في شخصيّة صالح أيوب زوج زهرة التي أصرّت على النجاح في عملها في غمرة انشغاله عنها، إذ استطاعت التوفيق بين واجبات الزوجة والأم والمرأة العاملة دون أن تقصّر في واحدة منها[1].

والكاتبة الأردنية تسعى أيضاً إلى الإشارة إلى المزيد من العقبات التي وقفت في وجه المرأة وعملها، فالسوسنة مثلاً تشير إلى استغلال أرباب العمل وأنانيتهم في التعامل مع المرأة، فها هي تُنَظِّرُ قائلة: «ليكف أصحاب العمل عن استغلال النساء، بعضهم لا يشغل إلاّ العوانس، وإذا ما تزوجت امرأة ما من مخاليق الله تفصل من العمل، وبعضهم يتعامل معهن بمبدأ الأجر الأقل لنفس العمل بحجّة أنّ جهد الرجل قد يفوق جهد المرأة لذات المرأة»[2].

---

[3] ليلى الأطرش، ليلتان وظل امرأة، ص85.

[1] انظر: ليلى الأطرش، صهيل المسافات، ص50.

[2] رفقة دودين، أعواد ثقاب، ص87.

ومن هذه العقبات ما لمّحت إليه الكاتبة بصورة غير مباشرة عن البطالة والتجاوزات الوظيفيّة على لسان فريدة الحفيدة، حيث تصف شعورها بالنجاح في الجامعة قائلة: «في اللحظة التي ينظرون فيها نحوي بفخر وابتهاج تبدأ مخاوفي، رغم أني محظوظة بين بنات جيلي بإخوة يستطيعون تأمين الوظيفة لي، ربما كانت هذه هي مشكلتي... لقد أخذت من الحياة الكثير، وآن الأوان كي أعطيها، فهل أجيد لعبة العطاء؟؟»[3].

ومع ذلك كله، فإنّ مكان العمل شكّل البديل الثاني، الذي كانت تلجأ إليه المرأة للتفريغ عن همومها والتعويض عنها، ففريدة تعلن هروبها من مشاكلها العائلية مع أسرتها الممزقة سعياً وراء المال[4] إلى العمل الذي طالما ساعد الكثير من النساء على الصمود أمام الصعوبات، والخروج من قواقعهن وآلامهن إلى تحقيق ذواتهن بعيداً عن قيود الأسرة ومتطلباتها الكثيرة.

---

[3] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص188.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص ص212- 213.

المرأة والعمل السياسي:

قدمت الكاتبة عمل المرأة السياسي بصورة أكثر حضوراً وفعالية من الكاتب، الذي جعل نشاطها السياسي ثانوياً مقتصراً على المشاركة الجماعية في المظاهرات، دون مساهمة منها في إعدادها والتحضير لها، إضافةً إلى المشاركة المعنوية التي تشجّع من خلالها الرجل المناضل السياسي على الاستمرار في مسيرته، دون أن يتنازل للظلم والاستبداد، فهي مستعدة لانتظاره ساعات وساعات لتستمع إليه، وهو يتغنى ببطولاته وتضحياته فتشجعه وتمسح جراحه دون أن تحاول اتباعه على طريق النضال من أجل الوطن.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز الإيداع لرسائل الجامعية

وعلى النقيض من هذه الصورة، تقدّم الكاتبة لعمل المرأة السياسي، صورة أكثر إيجابيّة وأكثر إشراقاً متمثلة في الشّخصيّات النسائيّة التي كرّست جهدها ووقتها للدفاع عن الآخرين والبحث عن حرياتهم وتحقيق آمالهم في الرّواية الأردنيّة، أمثال النسرينة في "مجدور العربان"، والسوسنة في "أعواد ثقاب"، ومها في "رحلتي"، ولمياء القادري في "شجرة الفهود"، وهند النجار في "وتشرق غرباً"، ونجوى ثابت في "امرأة للفصول الخمسة"، إضافةً إلى مشاركتها المعنوية للرجل السياسي، على نحو ما فعلت زهرة في قولها لزوجها صالح الذي تراقبه السلطة: «أنت رجل مبادىء ونظريات... تؤمن بما تقول وتكتب، وعليك أن تصمد لنتائجه أياً تكن... لست رجلاً عادياً، وستتحمل ونحن معك»[1].

والشّخصيّات النّسائيّة التي تطوعت ونذرت نفسها للعمل السياسي في الرّواية تلتقي مع الشّخصيّات النسائيّة المناضلة الواقعيّة في صفات أهمها: الجرأة والثبات على الحقّ والتصميم على الارتقاء بالمرأة وقضاياها، إضافة إلى الوعي

---

[1] ليلى الأطرش، صهيل المسافات، ص113.

والتعليم اللذين يفتحان أمام المرأة أفق التقدم والاستمرار، إذ تعد النساء «اللواتي يتمتعن بمستوى تعليمي أعلى أنشط بكثير من اللواتي يتمتعن بمستوى تعليمي أقل»[1]، فالنسرينة الشّخصيّة النسائيّة الرئيسة في "مجدور العربان" متعلمة واعية، تحلم بتنظيم إضراب عن الطعام في ساحة بلدها دفاعاً عن حريّة المرأة وقضاياها في يوم المرأة العالمي، لتعي كل امرأة حقوقاً نَسِيتها في غمرة العمل اليومي، فهي تقول بلهفة وتفاؤل: «أنا متأكدة ستنضم لي النساء نساء البلد بأكمله، الحامل والقاعد من الحمل، المتزوجة، والعانس، والأرامل، والمطلقات، ومن تسير بهنّ الحياة سير خلاف... ومن لم يؤتين من العلم إلاّ قليلاً، وستكون الحلقة واسعة، وسنكون لأنفسنا طوقاً بشريّاً لن يخترقه أحد...»[2]، وبالفعل تبدأ بنفسها قائلة: «سأضرب عن الطعام، أنا شخصيّاً سأفعلها، ومرحلياً لا أملك إلاّ ذاتي، ويجب أن أفعل شيئاً يرضيني، يخفف من غلواء هذه الاحتراقات المضرمة في أعماقي النيران... إنهن لا يحترقن على أنفسهن احتراقي عليهن لماذا؟...»[3]. إنّ النسرينة لا تكتفي بالقول فقط، إنما تصرّ على العمل أيضاً؛ شأنها في ذلك شأن السوسنة الشخصيّة الرّئيسة في "أعواد ثقاب"، إذ تصرّ على توعية النساء بعقد المحاضرات والندوات والمؤتمرات التي تبعث اليقظة في النّفوس، كما أنها تترأس إحدى الخلايا الحزبيّة وتنادي بضرورة النضال والانخراط في لجان العمل الوطني[4]، وتدعو أن تتجه «نضالات المرأة من خلال مؤسساتها الجماهيرية نحو تعديل القوانين التي تميز ضدها، في العمل

---

[1] بارعة النقشبندي، المشاركة السياسيّة للمرأة في الأردن، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2001م، ص227.

[2] رفقة دودين، ص127.

[3] المصدر نفسه، ص128.

[4] رفقة دودين، أعواد ثقاب، ص83.

وفي الطلاق وفي أنظمة الإيجارات، إيجارات البيوت والعقارات»[5] فمصلحة المرأة بالنسبة للسوسنة فوق كل مصلحة...[1]، فهي تنخرط في العمل السياسي لتحلم بضحكة الفقراء وثقافة العامة وتحرّر المرأة، لا لشهرة أو مكانة اجتماعية وسياسية تبرزها بين الناس[2]، أمّا مها فبالرغم من دورها الثانوي المقتضب في "رحلتي"، فإنها النموذج النسائي الأوعى والأكثر إشراقاً[3] في حماستها في الدفاع عن أمتها ضدّ الفساد القيادي، ومها تلخص علاقتها بالعمل السياسي في قولها التالي: «استهوتني السياسة في البدء كوسيلة للظهور، ثم جرفني تيّار الحقّ والعدل، أصبت بوباء اسمه ضرورة تحقيق العدالة، وازددت معرفة بالسياسة عن طريق زميلي ياسر، لقد شكّلنا قوة معاً، نظمنا الأحزاب والمسيرات ووزعنا المنشورات، ثم ككل الطلبة تخرّجنا ووجدت اسمي في القائمة السوداء، ولم أتمكن من الحصول على عمل» [4]. إنّ الكاتبة من خلال شخصيّة مها حاولت أن تصوّر المشاركة الفعليّة للمرأة في وقوفها إلى جانب الرجل في العمل السياسي، فالمرأة لم تكتف بالاستماع والتأييد، وإنما بدأت العمل والتخطيط لكل ما من شأنه تحرير البلاد، وتقصير درب الكفاح ضد الوصوليين والمتسلقين من دعاة العمل الوطني.

وأمّا لمياء القادري في "شجرة الفهود"، فتمثل الجيل الثاني الذي حازت إناثه على قدر من الحرية والتعليم، على العكس من نساء الجيل الأول، اللواتي

---

[5] انظر: المصدر نفسه، ص87.

[1] انظر: رفقة دودين، أعواد ثقاب، ص88.

[2] المصدر نفسه، ص157.

[3] انظر: خالد الكركي، الرّواية في الأردن، الجامعة الأردنية، 1986م، ص95؛
وأسامة شهاب، أدب المرأة في فلسطين والأردن، رسالة دكتوراة، جامعة عين شمس، القاهرة، 1991م، ص506.

[4] سميحة خريس، رحلتي، مؤسسة الهيثم، بيروت، 1982، ص98.

اقتصرت وظيفتهن على العناية بالبيت، وإنجاب الأطفال وتربيتهم، وخدمة الزوج، كما أنها تحوّل بيتها إلى مقر تؤمه النساء وبخاصّة المتعلمات، فهنّ يتجمعن فيه يوميّاً لمناقشة الأوضاع السياسيّة في البلاد، وقد تميّزت لمياء عن غيرها من النساء المثقفات عندما نجحت في تنظيم مظاهرة نسائيّة تطالب بالتمثيل البرلماني، فكان ذلك مفاجأة لإربد كلها، يقول راوي ضمير الغائب في وصفها: «المظاهرة النسائيّة لم تبق صامتة، إذ سرعان ما رددت النسوة الشعارات، ورفعن اللافتات وأثرن فضول المارّة والباعة والجالسين على مقاعد المقاهي»[1]، إنّ غرابة الفعل الذي قامت به النسوة أدّى إلى انقسام المتفرجين من الرجال إلى فريقين أحدهما معارض والآخر موافق[2]، فالراوي يقول: «لم يعترضهن أحد ولم يسمعن وهن في حمّى انفعالاتهن التعليقات... نسوان آخر زمن... هاي آخرتها... روح يا شيخ والله أرجل من الرجال... يا ريت بطلع بايدينا مثلهن... هاي مسخرة وقلة حيا... نسوان فاضية... والله احنا اللي نسوان»[3]، وكذا النساء المتفرجات، فقد اختلفن في مواقفهن من المظاهرة، فبينما تذهل ذهب زوجة فهد الثالثة، وتستهجن عمل لمياء في تساؤلها «هاذي وين زوجها عنها؟؟»[4]، تزجرها فريدة حماتها قائلة: «مش شغلك انت... شوبفهمك»[5]، إلاّ أنّ الكاتبة لا تستمر في إبراز حماسة هذه الشّخصيّة التي تصاب بالخيبة، عندما يتعرّض زوجها ليث الذي كانت تستقي منه أفكارها

---

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص303.

[2] أحمد عرفات، صورة المرأة في النّص الرّوائي النسويّ، سميحة خريس نموذجاً، أفكار، ع133، عمان، 1998، ص ص57، 302.

[3] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود تقاسيم الحياة، ص303.

[4] المصدر نفسه، ص303.

[5] المصدر نفسه، ص303.

السياسيّة للاعتقال، فلمياء بعد أن يتم اعتقال زوجها تعود إلى دمشق[6]، دون أن تحاول الدفاع عن مبادئها وأحلامها السياسيّة، فهي تكتفي بالهزيمة النفسيّة أمام السلطة دون أية مقاومة، على العكس من الشّخصيّات النسائيّة السياسيّة السابقة اللواتي يتعرضن للاضطهاد، وحتى الاعتقال دون أن يقبلن التنازل عن حقوقهن في الحياة.

وأمّا هند النجار في "وتشرق غرباً"، ونجوى ثابت في "امرأة للفصول الخمسة"، فهما نموذجان نسائيان ترمز من خلالهما الكاتبة إلى المقاومة النسائيّة الفلسطينيّة الواعية ضد الاعتداء الصهيوني، فهند النجّار مثال للمرأة الثورية التي تقدّم نفسها روحاً وجسداً فداءً للوطن، فهي تنضم إلى أحد الأحزاب السريّة، وتشترك في التخطيط لعملية فدائيّة، تصرّ على تنفيذها، رغم محاولة ردعها عن ذلك لكثرة المخاطر التي تحاصر العملية، فهي تعي ضرورة انتقاء الشرائح اليهودية التي تريد تدميرها، والكاتبة تصوّر إصرار هند على التقدّم على لسان راوي ضمير الغائب «طال نقاشها مع الآخرين هذه المرّة... تدارسوا ما يرسمون له... فَرَد لها الشباب خرائط للمكان، درستها جيداً، وهم يحاولون ثنيها عن ذلك الهدف إلى هدف آخر يُمكنهم الوصول إليه بسهولة... لم تقتنع... عرضوا عليها هدفين آخرين فازدادت إصراراً... اقتنعوا بما تقول ووافقوا عليه»[1]، وبالفعل تقوم هند بتنفيذ العملية، فتقع في أسر اليهود، ويتم تعذيبها بالضرب والشتم والحبس لمدة عشرين عاماً، ويتم تحويلها إلى امرأة مسلوبة من الحقوق، فاسمها تحرم منه، وتصبح رقماً، لكن وعيها بضرورة المقاومة حتى في المعتقل يدعوها إلى التحدي ورفض الاستجابة عند مناداتها بالرقم الذي

---

[6] المصدر نفسه، ص310.

[1] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص227.

يرمز إليها، يقول الرّاوي: «إنها هند النجار... غير أنهم يصرون على أنها رقم 8621، المحكومة بالسجن عشرين عاماً... ولم تجب عندما نادتها السجّانة برقمها مرات ومرات... فضربتها

- أنت رقم ويجب أن تحفظيه...
- أنا هند النجار... ولن أردّ إلاّ على اسمي...»[2]

إنّ جرأة هند وقدرتها على التعبير عن ذاتها وإصرارها على المقاومة، وتحولها إلى مناضلة تؤمن بالعمل الفدائي لتحرير وطنها، كان مقنعاً فقد مهدّت الكاتبة له في رصدها الدقيق المفصّل للأبعاد الطفوليّة والاجتماعيّة والثقافيّة والداخليّة التي تفاعلت معاً لتكوين شخصيّة هند النجّار الناضجة[1]، فهي فتاة مسيحيّة تنتمي إلى أسرة بسيطة قادرة على سدّ احتياجاتها، تعلن في طفولتها المبكرة كرهها الشديد لدراسة العهد القديم الذي يصوّر اليهود على أنهم شعب الله المختار، فهم يقتلون ويدمرون ويشردون «فلماذا نعبد ربّ اليهود إذن... ليته كان لنا رب آخر...[2]، من ثمّ تعمد الكاتبة بتقدّم الأحداث إلى تعميق إحساس الشخصيّة بكره اليهود ونبذهم، فهم الذين يتسببون بقتل صديقها عن طريق قنبلة يجدها في السهول[3]، ويسهمون في تشريد الفلسطينيين من بلادهم، ويحتلون قريتها "بيت أمان"، ويسلبون أخاها هويته عندما يرافق أحدهم (ليفي) فيدمن على المخدرات والنساء، بينما يعتقلون أخاها الآخر بسام فيعذبونه ويضربونه ويشتمونه ويسرقون رجولته[4]، إضافة إلى نشرهم للرذيلة في أنحاء بلادها

---

[2] المصدر نفسه، ص245.

[1] انظر: أحمد عرفات، صورة المرأة في النص الرّوائي النسوي الأردني، ليلى الأطرش نموذجاً، أدب ونقد، القاهرة، عدد136، 1996م، ص34، 37؛

إبراهيم خليل، الخطاب الرّوائي في الأردن، أفكار، ع96، عمان، 1990، ص38.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص11.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص23.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص209، 218.

المختلفة، فبسام يقول لها عن الحرب الأخلاقيّة التي أراد اليهود الانتصار بها على العرب «ويا هند خطة اليهود الجديدة إفساد أخلاق الشباب... الشباب والبنات في الشاحنات يمارسون الحب جهاراً، وفي الشوارع العربيّة ويعرفون أننا نشمئز من ذلك»[5]. لقد سكن اليهود أحلام هند النجار ومدرستها وبيتها وأسرتها وقريتها، لقد حرموها كل خصوصيّة، وحاولوا انتهاك حرماتها، وفكروا في تشويه سمعتها عندما حاولوا الاعتداء على عذريتها عقاباً لها على تمردها وبحثها عن حريتها، دون أن يترك ذلك كله في نفسها إلاّ مزيداً من الحقد الممزوج بالإصرار على المقاومة والمحافظة على الحزب الذي انتمت إليه، ولعل هند النجار نجحت في توصيل الرسالة التي أرادت الكاتبة أن توصلها، ألا وهي أنّ المرأة قادرة على التحمّل والنضال، شأنها في ذلك شأن الرجل، فهي تخاطب المحتل الذي أراد الاعتداء عليها بقولها: «تستطيع أن تفعل بي ما تشاء... أنت محتل وأنا أسيرة... وأنا أعرف أنّ كل الفتيات قبلي وبعدي سيتعرضنّ لمثل هذا... ومن كنّ قبلي ازددن شرفاً بتعذيبكم لهن... وكل شيء يهون في سبيل ما نقدم عليه...»[1].

أمّا نجوى ثابت في "امرأة للفصول الخمسة"، فهي شخصيّة ثانويّة، غالباً ما تقدمها الكاتبة في مواضع مختلفة على ألسنة الشّخصيّات الأكثر حضوراً – نادية وإحسان وجلال- فنجوى ثابت امرأة جريئة ثورية متحمسة ذاع سيطها لكثرة العمليات الفدائيّة التي قادتها، كما أنها كرّست وقتها للدفاع عن قضيتها وقضيّة الأمّة العربيّة القضيّة الفلسطينيّة[2]، فهي تعمل على انتهاز أية فرصة لتوعية الناس عامة والنساء خاصّة بضرورة اليقظة والانتباه إلى أبناء شعبهم

---

[5] انظر: المصدر نفسه، ص193.

[1] المصدر السابق، ص242.

[2] انظر: ليلى الأطرش، ص ص46- 47، 177- 178.

الفلسطيني المقموع، فعلى سبيل المثال تقوم نجوى ثابت بإلقاء خطبة عصماء في النساء الحاضرات على شرف تكريمها في احتفال أقامته طويلة العمر في برقيس، قالت فيها مخاطبة النساء: «أنتن تأكلن الخراف في برقيس وتلبسن الحرير والماس، وشعبنا يعيش في مخيمات، وتهدم عليه مخيماته، يعاني الحرمان والفقر، لو توقفت كل واحدة لحظة وفكرت في أبناء شعبها هنا: لاعتاشت عائلات، وتعلّم أبناء... نحن ينقصنا الدعم... الدعم المالي... ومن يجاهد بماله كمن يجاهد بروحه، لا نريد منكن إلاّ ثمن الكماليات فقط...»[3].

والكاتبة تزيد من وعي هذه الشّخصيّة وإشراقها، حين تدفعها إلى الإصرار على المقاومة ضد الفساد حتى في بيتها، فنجوى ثابت تقرر أن تمزج مصيرها الخاص بمصير أمتها، فهي تطلب الانفصال عن زوجها جلال، لأسباب عقائديّة أساسها تخلي زوجها عن القيم والمبادىء التي كان يؤمن بضرورتها لتحرير بلاده، وإيمانه بجمع الأموال عن طريق الأعمال التجارية الحرة بالسلاح[1].

والكاتبة لم تغفل الإشارة إلى موقف الأسرة من عمل المرأة السياسي، فبينما تعلن أسرة هند النجار دعمها وفخرها المشوب بالخوف والقلق على مصير ابنتها، حيث تشدّ أمها من أزرها وتشجعها قائلة: «أبوك مات وهو فخور فيك وببسام... بس كان خايف عليك لأنك بنت... وأحنا عارفين شو بيعملوا بالبنات... يا يمة كله إلاّ الشرف!!... بس علشان الوطن... معلهش...»[2]، تعلن أسرة سليمة الصخور موقفها السلبي المعارض من تردد ابنتهم على الاجتماعات

---

[3] انظر: المصدر نفسه، ص47.

[1] انظر: المصدر نفسه، ص175، 181، 183.

[2] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص244.

السياسية التي تنظمها لمياء القادري في بيتها، على نحو ما يصرّح به والد سليمة الصخور في الحوار التالي مع فهد الرشيد:

«- : هذا شغل رجال انتو بدكم تورطو بنتي

- :اهدأ يا حج ما بصير إلاّ الخير

- : خير من ورا مرت ليث!! آخرتها السجن

- : وحد الله يا زلمة

- : لا تورطو ابنتي في السياسة والعلاك الفاضي»[3]

من ثم يقف الرجل غاضباً مصرّاً على أنّ ابنته أهانته باتباعها للعمل السياسي، الذي يختص به الرجال دون النساء في رأيه، قائلاً: «ملعون أبو البنات، الله يعدمني إياها اللي ذلتني دنيا وآخرة»[4].

لقد استطاعت الكاتبة أن تخوض بشخصياتها النسائية المناضلة غمار العمل السياسي، لتعلن تصميم المرأة على الدفاع عن وطنها، وتحريره من الظلم والفساد، لكنّ نجاحها في وظيفتها الوطنية لا يتأتّى إلاّ بتحررها من قيود البيت والمجتمع شأنها في ذلك شأن الرجل المناضل من أجل بلاده، فعمل المرأة السياسي في الرّواية الأردنيّة النسائيّة لم يعد هامشياً كما في الرّواية الأردنيّة الذكوريّة، فالمرأة لم تعد تنتظر الرجل ليحثها على البحث عن الحريّة، فهي غدت مصمّمة على الاستمرار والبحث عن حريّتها بل وداعية الرجل إلى تبني قضاياها، فالنسرينة تخاطب الدكتور زياد المثقف الثوري قائلة: «كم اتمنى لو أنّ [حماستك] لقضايا الأمة يماثل [حماستك] لقضايا المرأة»[1].

---

[3] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص290.

[4] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص291.

[1] رفقة دودين، مجدور العربان، ص128.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الباب الثالث: صورة الرجل في الرّواية الأردنية

صورة الرجل عند الكاتب:

الرجل والمجتمع:

شغل الذكر على الصعيدين الروائي والواقعي في المجتمع الأردني حيزاً كبيراً في الأسرة، إذ أُلقيت على عاتقه مهمّة استمراريّة العائلة وتواصلها، فهو يحمل اسمها ويخوض به غمار الدنيا وصعابها، لتبقى ذكرى العائلة حيّة لا تفنى؛ فعلاقة كل من الأب والابن والحفيد علاقة ممتدة بين أطراف الزمان الماضي والحاضر والمستقبل، وبما أنّ الأبناء الذكور هم امتداد الآباء في الأرض وخلودهم لم تستطع الأسرة أن تهنأ بالاستقرار إلاّ بعد إنجاب طفل ذكر[1]، فالشخصيّات الروائيّة والواقعيّة أمثال حتوم الممرض في "وقت" وعلي التاجر في "الغربان" لم تر في المرأة إلاّ امرأة قادرة على إنجاب الذكور أو غير قادرة، وكأن وظيفة المرأة هي إنجاب الذكور فقط، فالذكر في زواج حتوم الممرض يقف عائقاً أمام سعادة المرأة ويحوّل حياتها إلى شقاء مستمر ورجاء متواصل بأن يكون المولود القادم ذكراً يرضي غرور والده ويثنيه عن طلاق زوجته لإنجابها الإناث فقط، وكأن الرجل لا علاقة له بإنجاب الإناث، فهو يرفضهن حتى وإن كانت الأنثى المولودة الأولى[2]؛ فحتوم الذي قطع الله سبحانه شجرته إذ رزقه بخمس بنات، ولم يشف غليله بولد واحد يحفظ اسمه واسم عائلته «تمنّى بطريقة ذكيّة أن يرزقه الله بولد واحد فحين أسمى أولى بناته كفاية... قال للناس... بأنه يريد بهذه لتسمية أن يقول كفاية لا أريد بنات بعد

---

(1) انظر: زهير عبيدات، رواية الأجيال في الأدب العربي، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، 1994، ص ص159- 167.

(2) انظر: سهير التل، مقدمات حول قضية المرأة، ص27.

هذه»[3]، وحتّوم الذي لا يحتكم إلى علمه ودينه ووظيفته في التمريض ويقتنع بما رسخ في عقله من أفكار رجعيّة تعود إلى أصول تربيته الخاطئة، التي أفهمته أنّ المرأة ليست صالحة إن لم تنجب له ذكراً ويجب الخلاص منها والبحث عن امرأة غيرها قادرة على إنجاب الذكور، «إذ جاءته البنت الرابعة أسماها نهاية وقال لزوجته بغيظ هذه نهاية الصبر اعملي حسابك، في المرّة القادمة يكون المولود ولد... ولد! ولازم تفهمي أنّ طلاقك كوم والولد كوم ثم نظر إلى السماء قائلاً "هذه آخر رسالة أبعثها"...»[1]، وإذ ولدت زوجته للمرّة الخامسة ورأى الطفلة في حجرها قال: "أنت طالق، طالق، وسأسمي هذه البنت، سأسميها طالقة"[2].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

لقد عني الكاتب الأردني بتصوير آمال هذه الأسر بمولود ذكر ليكشف عن عمق الظلم الاجتماعي الذي تعانيه الأنثى زوجة وابنة، إذا ما قورن وجودها بوجود الذكر، فالزوجة تعاني الطلاق أو الزواج الثاني وما يترتب عليهما، والبنات يعانين حياة أُسرية مفككة إذ تحرم الفتاة من حقوقها في والدها الذي يتلهى عن فتياته في البحث عن امرأة أخرى تنجب له ذكراً يحمل اسمه، «ومنذ أن طلّق حتوم زوجته، وهو يبحث عن امرأة أخرى تأتيه بمولود ذكر»[3]. وكذا علي التاجر الذي يحوّل حياة زوجته وبناتها السعيدة إلى جحيم مستعر، لأنها لم تنجب له مولوداً ذكراً يحمل اسمه ويحميه من سخرية التجار منه، فالرجل لا يكون في هذه الطبقة رجلاً إلاّ بإنجاب الذكور فقط، فها هو علي يقول لمريم: «خمس سنوات وأنت تخدرينني بالوعود حتى أصبحت سخرية السوق، وستبقى

---

[3] جمال ناجي، وقت، ص28.

[1] جمال ناجي، وقت، ص28.

[2] المصدر نفسه، ص29.

[3] المصدر نفسه، ص29.

رجولتي ناقصة دون ولد ذكر وسأتحملك عاماً واحداً فقط، حتى يرتاح ضميري وبعدها إن لم يأت الولد سأتزوج نعم لن أصبر عندها يوماً واحداً»[4]. المرأة وتمزقها الداخلي ورغبتها الشديدة في الحصول على مولود ذكر يؤمن لها ولبناتها الاستقرار العائلي دفعها إلى استبدال مولودتها الأنثى/ فاطمة بمولود ذكر، حقق لها الاستقرار وأعاد إلى حياتها السعادة والطمأنينة، تقول مريم: «عندما حظيت بنعيم بعد معاناة لم يعانها إنسان قبلي، زالت عن أكتافي هموم كالجبال...»[1].

لقد لقي الذكر لدى المرأة والرجل في الرواية قبولاً واضحاً، فالأسرة تبتهج بقدومه وتفرح فرحاً مميزاً لحصولها على حافظ اسم العائلة ومعيلها في المستقبل، «فالمولود يأتي لأبيه إذا كان ذكراً ويقول جئتك يا أبي كي أعينك»[2].

والكاتب لم يكتف بتصويره مشاعر الرجل والمرأة ورغبتهما الشديدة في الحصول على مولودهم الذكر، بل انبرى لتصوير الأساليب التربويّة التي اتّبعها الوالد في تأديب ولده، والتي تنعكس على تصرفاته مع الآخرين في المستقبل.

أولاً: الأسلوب القائم على السلطة ويمثل لهذا الاتجاه حامد أبو بركة الذي يعتقد أنّ تربية الأبناء الذكور من اختصاصه هو، فحتّى زوجته لا تملك الحقّ في توجيه أولاده، فمهمتها إنجابهم وإغراقهم بحنانها وعطفها دون أن يؤثر ذلك في تكوين شخصيّاتهم المستقبليّة، «فأم سلمان لم تعط لأبنائها سوى حنانها ومحبتها، وما دون ذلك لم يكن لها فيه أثر يذكر، على الأقل في حياة ولديها سلمان

---

[4] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص151.

[1] هزاع البراري، الغربان،، ص156.

[2] قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص31.

وجبر: كان هذا مبعث ارتياح "أبو سلمان" الذي أراد لأبنائه تربية الرجال لا تربية النساء، وكان مصراً على أن لا تخرج أم سلمان عن حدودها كامرأة في بيته!»[3].

وقد انعكست صرامة حامد على شخصيّة ولده سلمان طفلاً ورجلاً، فجاء صورة طبق الأصل عنه في صرامته وقسوته وتسلّطه وعشقه للمال والنفوذ[1]، وفي معاملته للآخرين حتى زوجته سارة التي «أصبحت منذ أن زفت إليه، مجرّد منفذة لتعليماته الصارمة...» وحتى حينما رزقت بطفلها الأوّل عثمان استبق سلمان الزمان، وقال لها بعد شهر من ولادته: «اسمعي يا سارة، عندما يكبر عثمان لا تتدخلي في تربيته! مفهوم؛ مفهوم يا سلمان»[2]، وكان والده حامد يغتبط كلما رأى آثار تربيته في علاقة ابنه بزوجته ويقول: «سلمان رجل! ؛ كان يقول ذلك أمام ولده الثاني جبر باستمرار من أجل تحضيره لذلك اليوم الذي سيصبح فيه زوجاً كشقيقه»[3].

يلاحظ القارىء أنّ العلاقة بين حامد ووالده تقوم على التبعيّة، فحامد صاحب السلطة والكلمة المسموعة إذا قال وجب على ولده سلمان الطاعة؛ فحامد يأمر وسلمان ينفّذ دون مراجعة أوامر والده، فالمهم عنده أن «لا يرفض لوالده طلباً»[4]، لذا نجد أبا سلمان راضياً تمام الرضى عن سلمان الذي لا يخالف أوامره، في الوقت نفسه يعلن عن عدم رضاه عن ولده جبر الذي يحيد عن الخط

---

[3] جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص69.

[1] أحمد عوض، قراءة في رواية مخلفات الزوابع الأخيرة، الرأي، عمان، ع7704، 1991/9/6، ص12.

[2] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص69.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص70.

[4] المصدر نفسه، ص61.

الذي رسمه له والده عندما يصمم على أن يكمل تعليمه الدراسي، فهو إنسان لا يعجبه العجب، ولا حتى الصيام في رجب حسبما يقول والده[5]، والذي يعاقبه بصورة غير مباشرة عندما يتنازل عن كل ما يملك لولده سلمان بحجّة واهية مفادها «أن سلمان يشبهه، وأنه امتداد له، لذا لا ضير من أن يضطلع بمركز والده، لأنّ هذا سيعني بقاء أبي سلمان حتى بعد انقطاعه عن المشاركة في كل ما يجري في هذه الدنيا»[1].

وبينما اكتفى حامد بحرمان ولده من المال عقاباً له على تمرده، رأى عيسى أنّ الضرب والحبس وسيلة أفضل للسيطرة على ولده الخارج عن طاعته والرافض لأوامره، فعيسى يجلد ولده داخل أسوار البيت ويحبسه ويمنع عنه الطعام، لكنّ الأم الحنون التي لا تستطيع أن تتحمل قسوّة الوالد على ولده تزحف تحت جنح الظلام فتطعمه وتواسيه، فإذا ما أمسكها عيسى انهال عليها بالضرب متحججاً بأنها هي السبب في ضياع الولد، لأنها لم تهتم به اهتمامها بابنتها ست الحسن، إلاّ أنها تنفي ذلك وتؤكد بأنّ اهتمامها به كان أكبر[2]. من هنا كانت العلاقة بين الأب المتسلط وابنه المتمرّد هشّة مبنية على النفور وعدم الرضا، إذ سرعان ما ينتهز الابن الفرصة الأولى التي تسمح له بالفكاك من قيود والده، كمـا فعل ابن عيسى الذي غضب غضباً شديداً لخروج ابنه عن المسار الذي حدده له، فكـان بذلك أول الخارجين على جبروت والده، وأول الهاربين لراحة نفسه، وأول من فضّل الحياة بعيداً عن والده في طبريا، وأول من قام بالانفصال عن العائلة للحصول على قراراته الخاصّة دون تأثير من والده[3].

---

[5] انظر: المصدر نفسه ص ص6، 151.

[1] جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص153.

[2] انظر: هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص ص96، 97.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص89.

ثانياً: الأسلوب القائم على التفاهم ويمثّل هذا الاتجاه والد منير، الذي يؤمن بصدق المثل الذي يقول «إذا كبر ابنك خاويه»[4]، فهو لا يسمح لنفسه أن يعاقب ابنه منير كما كان طفلاً بالضرب والطرد لبلوغه مرحلة يحتاج فيها الشباب إلى الكلام والتفاهم والنقاش، وإنما يقوم بمساندته في قراراته ويترك له باب النقاش مفتوحاً حتى في أحاديثهما السياسيّة مع والد فتحية فهو لا يفرض على ولده رأياً بعينه، بل يناقش مع صديقه معلومات ابنه منير وآرائه عن الحرب والسياسة[1].

ثالثاً: الأسلوب القائم على اللامبالاة بمشاعر الأبناء، وهنا يكون الأب منغمساً في طموحاته الخاصّة غير مهتم بأبنائه الذين يلقيهم عالات على المجتمع، دون أن يقدّم لهم النصح والإرشاد، فأبو حسن، على سبيل المثال، يهمل ولده حسن ويركن به إلى والديه لشعوره العميق بأنّ ولده مسؤول عن وفاة والدته التي ماتت وهي تلده مما جعله حجر عثرة تقف أمام مخططاته، حتى إنّه إذا نظر إليه كان يشيح ببصره عنه كمن يرى خطيئة ارتكبها[2].

ومشاعر الكره والنفور التي يكبتها أبو حسن لولده أثّرت في تكوين شخصيّة ابنه؛ فجاء انطوائيّاً بعيداً عن الناس، يشعر بظلم يثقل كاهله، كما أنه بادل والده المشاعر السلبية نفسها، والتي لا تحمل في طيّاتها أي إحساس بالأبوة، فهو يصف علاقته الجامدة مع والده بقوله «أبي لا يعني لي شيئاً، وهو رجل كباقي الرجال، ليست له أية ميزة لدي، وكأنّ تأثيره مقتصر على اسمي في المدرسة»[3].

---

[4] جمال ناجي، وقت، ص112.

[1] انظر: جمال ناجي، وقت، ص ص40، 141.

[2] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص66؛ ومحمد سلام جميعان، الرفض والقلق والإدانة، ص108.

[3] المصدر نفسه، ص67.

وفي مقابل الصورة التي طرحها الكاتب للأب نعثر على صورة الأم، التي امتازت بالإيجابيّة والعطاء والحنان والعواطف الدقّاقة والعمل المتواصل من أجل أبنائها غاضة الطرف عن أوامر الرجل في أنّ تربية الأبناء الذكور من اختصاصه فقط، فهي تعي أنها غير قادرة على أن تقف مكتوفة الأيدي أمام معاناة أبنائها في صراعاتهم مع الحياة؛ لذا نجدها تصرّ على دعمهم معنوياً ومادياً، أمّا الدعم المعنوي فيتجسد في أمنياتها لهم وعواطفها نحوهم وحبها لهم ودموعها التي تذرفها في أحزانهم وأفراحهم، فهي قادرة على الإحساس بهم وإن كانوا في أقاصي الأرض[1]، وأمّا دعمها الماديّ لأبنائها فيتجسد في دفاعها عنهم وتعرضها للأذى لحمايتهم وإصرارها على تذليل الصعاب من أجلهم، فوالدة عماد تصرّ على العمل لتربية أبنائها وتوفير المال لتأمين حاجاتهم[2] شأنها في ذلك شأن والدة ياسر وفاطمة[3]، فكل منهما نموذج للمرأة التي تفقد زوجها، وتصرّ على البقاء دون زواج، لتعمل وتوفّر المال لتربية أولادها تربية كريمة تقيهم حاجة الناس وعوزهم.

---

[1] انظر: هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ص ص125، 133.

[2] انظر: جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص30.

[3] انظر: هزاع براري، الغربان، ص124.

الرجل والتعليم:

لم تكن السبيل إلى التعليم أمام الرجل ممهدّة وسهلة المنال في الرّواية الأردنية، فقد كان مجبراً على تجاوز العقبات التي كانت تفرض عليه في مختلف المراحل الدراسيّة، ومن أبرزها: أولا: الأوضاع الاقتصاديّة المتدنيّة التي أجبرت الطلبة أمثال خليل وصبحي على التخلّف عن مقاعد الدراسة في سن مبكرة، لسوء أحوالهم الماديّة وحاجة الأسرة الماسّة إلى معيل يعيلها ويحسّن من أوضاعها الاقتصاديّة باحترافه مهنة لا تحتاج إلى مؤهلات وشهادات علميّة، وتدرّ قدراً من المال يسد رمق الأسرة وحاجاتها اليوميّة، فخليل ينتمي إلى أسرة قروية بسيطة يعمل فيها الوالد في الزراعة، لكنّ الأقدار تشاء أن تخطف والده المعيل الوحيد للأسرة، فيضطر هو للتنازل عن حقّه في التعليم ليعمل بالزراعة، وليؤمّن حاجات بيته بدلاً من الأبّ المتوفى الذي لم يترك مالاً يعوّض به الأسرة عن فقدانه، فالسارد يقول في وصف حياة خليل الاجتماعية: «خليل الرجل الذكّي الصّلب إنه نبع الحنان كله، لقد أجبرته الظروف على التّضحية بمستقبله ودراسته حتّى يستطيع أن يتدبّر لقمة العيش له ولأمه العجوز، لقد تحمّل المسؤولية منذ الصغر»[1].

أمّا صبحي، فقد حرمته أوضاعه الماديّة المتدنية من تحقيق حلم المراهقة في لسفر إلى أمريكا والدراسة فيها لافتقاره للمال الكثير، فوالده موظف لا يملك غير راتبه؛ لذا نجد الوالد يقول: «المال من سينفق عليك ونحن كما تعرف لا نملك شيئـاً»[2]، ممّا دفع صبحي للقبـول بالدراسة فـي الجامعة الأردنية الّتي لا تحتاج للمال الكثير الذي يلزم لإتمام الدراسة في دولة أخرى[3]، لكنّ الظروف

---

[1] هزاع البراري، الجبل الخالد، ص12.

[2] هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ص38.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص20.

الاجتماعيّة الصعبة تصرّ على أن تسلبه حقّه في التعليم عندمـا يتوفـى والده وهو في السنة الثالثة من الدراسة الجامعيّة، فيضطر لترك الجامعة والعمل في وظيفة متواضعـة في شركة تجاريّة، ليحافظ على بيت والده مفتوحاً دون الحاجة للنـاس أو لعمل والدته في خدمة البيوت لتأمين مصاريف دراسته[1]. فيرسخ في أعماقه أنّ وفاة والده كانت انسحاباً منه وتنازلاً عن دوره في تعليمه ومساعدته في تحقيق طموحاته، فكان كلما تذكّر حظه العاثر وناجى نفسه، لام والده على تنصله من مسؤوليته نحو مستقبل ولده، من هنا ندرك أنّه لم يتنازل عن حلمه، بـل اضطرته الظّروف إلى أن يكبت رغبته الشديدة في التّعليم الجامعي رغماً عنه، فهو يناجـي نفسه قائلاً: «لقد حطمني موته الفجائي، اضطررتُ لترك الدراسة التي كانت كل شيء بالنسبة لي، ابتلعت لهيب النار بصمت، ورضيت، وجه أمي المريض حبس دموعي قتلت في داخلي أية كلمة احتجاج فألقيت بالكتب وعدوت وراء سراب الحياة الجديدة...»[2].

وقلّة المال والحال الاقتصاديـة السيئة كانت ستقف عائقاً أمام عزّت الّذي ساعده الحظّ كثيراً عندما قررت الدولـة أن تمنـح أوائـل الثانويّة العامّة بعثات دراسيّة على نفقتها، فعزت يقول في وصف ضيق المادّة في يـد والـده وخوفه من انقطاعه عن دراسته «ذلك الرجل الطويل الرفيع، الأسمر البشرة، أبي، لن يقدر على تدريسي بعد أن أكمل الثانويّة... عرفت هذا، فتكاليف الجامعات أكبر من أن يتحملها»[3].

ثانياً: الأسرة متمثلة في الوالد الّذي يقف موقفاً سلبيّاً من التعليم، فلا يرى فيه ضرورة للتحرّر الفكري والاستقلال الشّخصي من قيود التبعية للآخرين؛

---

[1] انظر: هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص92.

[3] جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص79.

فالمهنة عنده أنفع لأنّها تدرّ المال على صاحبها في سنّ مبكّرة، فوالد حسن يشتمه ويسبّه لتعلّق روحه بالدراسة ولرفضه أن يعمل في المخبز من أجل المال دون أن ينال حقّه في التعليم، فنجده يقول له: «مدارس آخر زمن، وشباب مثل البنات، لو كنت رجلاً لتركت هذه المسخرة، واشتغلت بالمخبز»[1]، فالعمل في المخبز أنفع في رأي والد حسن من التعليم، على العكس من ابنه الّذي يجاهد الظروف القاسية وجبروت والده فيصرّ على التعليم، ممّا اضطره إلى العمل والدراسة معاً في سنّ مبكرة، حتّى يتخلّص من إلحاحات والده عليه بترك المدرسة من أجل العمل وكسب المال[2].

جميع الحقوق محفوظة

ويبدو أنّ تكرار هذا النموذج من الآباء في الرواية انعكاس لتكراره في الواقع، فأبو سلمان لا يختلف في معتقداته عن والد حسن، إذ يرى أنَّ أمواله الكثيرة تغني ولده جبر عن التعليم، فالمال عنده وسيلة للارتقاء والنفوذ والسيطرة واستمرار الحياة واسترضاء قلوب الناس، لذا نجده يتمنّى أن يعيش حتّى يحصل جبر على شهادته الجامعيّة فقط ليرى بعينيه كيف سيتدبّر جبر أموره في هذه الحياة[3]، وفي الوقت الّذي يقف فيه الأب موقفاً معادياً لولده لإصراره على التّعليم تعي أم سلمان ضرورة وقوفها الإيجابي مع ولدها جبر، فتحثّه على الدراسة وتشدّ من أزره وتدافع عنه أمام والده حامد وشقيقه سلمان، وتثأر له من أخيه الّذي لطالما سخر منه لعشقه القراءة والتعليم بقولها له: «أنت تغير منه، لأنه ناجح في دروسه، ولأنك تركت المدرسة وما أفلحت فيها»[4].

---

[1] هزاع البراري، الغربان، ص22.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص22.

[3] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص67.

[4] المصدر نفسه، ص67.

ويرسم الكاتب للأم صورة مليئة بالحنان والدفء عندما يصورها وهي تمسح على رأس ولدها وهو يدرس، من ثم تنام في فراشه حتى يصبح دافئاً، فمنير يصوّر ذلك بقوله: «يد أمي خشنة، لكن وجهها يخفي تلالاً من الحنان، فحين تراني منهكماً بالقراءة في ليالي الشتاء، تنام في فراشي، ولا تغادره إلاّ عندما أنتهي من القراءة، لكي يكون دافئاً حين أنام»[1].

وفي مقابل الأسر التي تقف عائقاً أمام طموحات أبنائها الدراسية نعثر على أسر تدعم أبناءها، وتقوّي فيهم الرغبة في التعليم، وتحثّهم على ما يؤمنه لهم العلم من معرفة واسعة وحياة منيرة حجب عنها الجهل، واكتفاء ذاتي ووظيفة مضمونة، فعزّت ابن السابق عبد الله زهدي ينتمي لأسرة بسيطة، بالكاد يستطيع راعيها أن يسد حاجاتها اليوميّة، إلاّ أنّه يرى في التعليم وسيلة مهمّة لارتقاء ولده ودفعه إلى مستقبل مشرق؛ لذا نجده يفرح فرحاً شديداً لدرجة أنّ ابنه عزّت لا يذكر أنّه رآه يبكي ويرقص إلاّ ثلاث مرّات كلها تتعلق بمسيرة ولده عزت الدراسيّة، فالأولى حينما ورد اسم ابنه على لسان المذيع أثناء تعداده البطيء لأسماء العشرة الأوائل في الثانويّة العامّة، والثانية حينما أبلغهم مدير التربية والتعليم عن البعثة الدراسيّة التي منحته إياها الدولة، والثالثة يوم تخرّج من الجامعة محامياً[2]، ممّا يؤكد تعلّق أصحاب أمثال هذه الأسر الفقيرة والبسيطة بالتعليم[3].

ثالثاً: الطلبة أنفسهم، فمعدّل الثانوية العامّة الذي فرضته الدولة هو الذي يحدّد المصير الدراسي للطالب أو الطالبة في الزمن الحاضر، إذ لم يعد هناك ما يميّز الذكر عن الأنثى في التعلم سوى الاجتهاد؛ ففاطمة تدرس في الجامعة بينما

---

[1] جمال ناجي، وقت، ص86.

[2] انظر: جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص79.

[3] انظر: إبراهيم السعافين، الرّواية في الأردن، ص105.

يدرس حسن في كلية مجتمع متوسطة، لأنّ معدل علاماته المتدني منعه من دخول الجامعة[4].

بينما كان في الماضي من المحظـور على الفتـاة الخروج إلـى المدرسة، كما لاحظنا في رواية هاشم غرايبة "بيت الأسرار" الّتـي اتخذت من الزمـن الماضي مسرحاً لأحداثها؛ فست الحسن يحظر عليها الخروج من البيت للتعليم، ولا يسمع لها بالقراءة إلاّ داخل أسوار القلعة، بينما يسمح لأخيها بمغـادرة القرية للدراسة في الشام[1].

رابعاً: التمييز الطّبقي بين الطلاّب، ويكون على مستويين: غير مباشر، وأثره أقلّ ويتجسّد في غنى بعض الطلبة وتميّزهم في ملابسهم وأدواتهم الدراسيّة وكيفية الذهاب إلى مكان الدراسة ومشترياتهم ومصروفاتهم، ممّا يترك أثراً سلبيّاً في نفوس الطلاّب الأقلّ حظّاً، فطلعت الأسمر ينتمي للطبقة المعدمة ماديّاً لدرجة أنّه يضطر للذهاب إلى الجامعـة بملابس رثّة وحذاء ممزّق، فيرى الطلبة وملابسهم الجميلة وسياراتهم الفاخرة، فيصرّ في قرارة نفسه على الغنى بأيّـة وسيلة حتّى لو اضطر أن يقتل النّاس الأثرياء من أجل أولاده ونفسه المريضة، المهـم ألاّ يجوع أبناؤه كما جاع هو[2].

أمّا المستوى الثاني، فتأثيره في نفس الطلبة يكون بصورة مباشرة، وأكثر عمقاً في تكوين البعد النفسي للشخصيّة، ويتجسّد في محاباة المعلمين ونفاقهم وتمييزهم بين الطلبة كأبناء أصحاب المال والسلطة، فشهاب ومنير طالبان

---

[4] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص21.

[1] انظر: ص96.

[2] انظر: قاسم توفيق، ورقة التوت، ص76- 79.

تعرّضا لمثل هذه المحاباة عندما اعترضا على السماح لنبيل الجسر ابن أحد رجالات المال والسّلطة بما لا يحقّ لغيره، فغضب مدير المدرسة لحبه لنبيل وصداقته لوالده، فعاقبهما عقاباً شديداً بالشتم والضرب، حتّى إنّه شتم شهاباً بلهجة تفحّ لؤماً واغتيالاً لما تبقّى من تلك الاعتبارات المدرسية الّتي تحكم علاقة المدير بطالبه على حدّ قول منير الّذي وصف الحادثة[1]، ممّا دفع شهاباً إلى اتخاذ القرار بضرورة ترك الدراسة بسبب هذه التجربة القاسية، إلاّ أنّ إلحاح والدته وأحبائه من أهل المخيّم أقنعه بالعدول عن هذا القرار، فعاد للمدرسة رغماً عنه[2]، لذلك نجده يصرّ على الانتقام لنفسه من نبيل الجسر وبالفعل يتحقّق له ذلك، عندما يواجهه في مواجهة متوازنة أحدهما ضدّ الآخر دون أن يتدخل بينهما أحد[3]، فيستطيع بذلك أن يتخطّى تجربته الذاتيّة القاسيّة مع مديره وطالبه المدلّل، على العكس من صديقه منير المحبط المتردد غير القادر على المواجهة والّذي كبت هذه التجربة المؤلمة ولم يستطع تجاوزها، لأنه لم يستطع الانتقام لنفسه كما فعل صديقه شهاب، فظلّ يحلم دائماً بالتفوق على نبيل والانتقام منه، وكان يكتفي بأن يفرغ رغبته في التخلّص من هزيمته النفسيّة وانكساره أمام نبيل الجسر في أحلامه وأمنياته[4].

وفي مقابل الصــورة السلبيّة التي يرسمها الكاتب لمدير المدرسة وأستاذ الرياضة اللذين يميّزان بين الطلبة ولا يعدلان، يقدّم صورة إيجابيّــة مشرقــة لأستــاذ الجغرافيــا شوقي[5] الّذي يعي دوره في توجيه الشباب المراهق وتفتيح

---

[1] انظر: جمال ناجي، وقت، ص60.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص61.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص60.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص39؛ ونبيل حداد، الرّواية في الأردن، ص ص79- 80.

[5] انظر: إبراهيم السعافين، الرّواية في الأردن، ص106.

عقولهم وإرشادهم إلى طريق الحريّة والاستقلال عن طريق الثقافة والتفكير، يقول منير في استذكاره لأيّام الدراسة: «الأستاذ شوقي مدرس الجغرافيا، هو الّذي سجّل أسماءنا في المركز، أنا وشهاب وعدد كبير من طلاّب صفنا[6]، وفي ذلك المركز الثقافي مارس الشّباب انطلاقاتهم المبكّرة مع الرياضة والسياسة والقراءة والتفكير الّذي يثقب الرأس أو يوسعه، وغيرها من النشاطات الثقافيّة الّتي تسهم في بناء شخصيّات ناضجة واعية لما يدور حولها من صراعات الحياة»[1].

لكنّ الكاتب الأردني لم يتوقّف عند العقبات الّتي أوشكت أن تضعف الهمم عن الدراسة، بل تجاوزها إلى مخططات المتعلمين نحو أوطانهم، فعمار بعد أن استيقظ من الغرق في عالم المادّة والخمر والجنس في أمريكا بعودته إلى وطنه يصرّ على كتابة كتاب يستفيد منه الّذين يحلمون بالسفر إلى تلك الدول الأوروبيّة، كما أنّه يعلن لزملائه أنّ سبب عودته من أمريكا هي رغبته في توظيف علمه في وطنه، على النحو التالي: «قال أحدهم بسخرية: هل جننت تترك أمريكا أم الدنيا والمال وتعود؟؟ لا يوجد عاقل في الوجود يفعل ذلك... (فأجاب): عدت لأخدم وطني» [2].

وفي مقابل هذه الصورة الإيجابيّة للمتعلم يرسم جمال ناجي صورة مؤطرة بالسواد للمتعلّم السلبي الوصولي المتسلّق على حساب مصلحة وطنه وناسه متمثلة في شخصيّة نوفل الأناني الّذي يشعر بضخامة ذاته[3] عندما يقول:

---

[6] جمال ناجي، وقت، ص128.

[1] انظر: جمال ناجي، وقت، ص128، ص126.

[2] هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ص138.

[3] انظر: عبد الله رضوان، أدباء أردنيون، ص264.

«سأجد نفسي هنا! سأغزوها بما تيسّر لي من علم ومعرفة يفوقان بالتأكيد، الخيال المتواضع لمتعلميها وتجّارها ومثقفيها: عمّان أصغر من أن أطلق عليها صفة المدينة، عمّان ليست سوى دودة عمياء بعد!»[4]، فهو يرغب بامتصاص خيرات عمّان ليحقّق حلمه في النفوذ والسلطة كغيره من حيتان المال التي تسعى للاستحواذ على مقدرات السوق المالي والسياسي أيضاً، عن طريق التلاعب بالأموال وامتصاصها بأيّة وسيلة وتهريبها إلى الخارج[1].

ولمّا كانت الشّخصيّة تُنهي المراحل الدراسيّة المختلفة، كانت تسعى لتحقيق طموحاتها التي تتجسّد في عمل يرفع من شأنها، ويمكنّها من الاستقرار والزواج وتأسيس أسرتها الخاصّة. يقول ياسر «أنهيت دراستي الجامعيّة، فلأنطلق نحو الحياة، إلى العمل، حتّى أرتب أموري من أجل أسماء»[2]، شأنه في ذلك شأن الكثير من الشباب الذين ينهون دراستهم الجامعيّة باحثين عن عمل يناسبهم على المستويين الفنّي والواقعي.

---

[4] جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص21.

[1] انظر: سليمان الأزرعي، بانوراما تحولات المجتمع الأردني، أفكار، ع126، عمان، 1996، ص84.

[2] هزاع البراري، الغربان، ص126.

الرجل والعمل:

تكاد الرواية الأردنية تخلو من الشّخصيّات الذكوريّة غير العاملة، حيث آمن رجالها بمسؤولياتهم تجاه أنفسهم وتجاه نسائهم، فكان لزاماً على الرجل أن يؤمّن حاجات أسرته اليوميّة من مأكل وملبس ومسكن، بأن يمتلك «ثمن طعامه، وشرابه، وملابسه، وسجائره، ومواصلاته، وتكاليف علاقاته الاجتماعيّة! وأن يمتلك أيضاً... ثمن طعام زوجته وشرابها وملابسها وسجائرها، وأحذيتها، ومواد زينتها، وتكاليف تصفيف شعرها، ومصاريف زياراتها وعلاقاتها المتعددة...»[1].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولمّا كان المال الوسيط الضروري لتأمين مستلزمات الحياة، أصرّ الرجل في الرواية على الخروج إلى الشوارع، والبحث المتواصل عن عمل مناسب يقيه العوز والحاجة، ويرفع من مستواه المعيشي، ويؤمّن مستلزمات الحياة الضروريّة والكمالية، ويمكنه من الزواج ممن يحب حتّى لو اضطر إلى مغادرة مسقط رأسه وأحبائه وحياته الأولى، كما فعل عماد أحد معلمي رواية "الطريق إلى بلحارث"، حين قرر السفر إلى بلحارث – قرية نائية جنوب السعودية – للعمل والحصول على المال الّذي يدفعه للاستمرار في تحمّل مشّاق الحياة[2]، فهو يقول: «كنت أحسّ بأنّ أمنياتي بالزواج من نادية وإسعادها لن تتحقق إلاّ بالسفر إلى الصحراء، حيث الريالات تتكدس كأكوام الكتب الّتي كنت أقرأها»[3]، غير أنّ السّفر الذي وظف للإفصاح عن حاجة الإنسان الضرورية لموطنه

---

[1] انظر: جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص74.

[2] انظر: جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص ص21، 49؛ وانظر عيسى العبادي، الرّواية الأردنية، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، عمان، 1994، ص5.

[3] جمال ناجي، الطريق إلى بلحارث، ص13.

الأصلي بغض النظر عن الإمكانات التي يمنحها لأبنائه لم يكن العقبة الوحيدة في عمل الرجل[1]، فقد نجح رجل الرواية الأردنية في الصبر على الكثير من الصعوبات الّتي واجهته في عمله، والّتي سنشير لأكثرها حضوراً أثناء استعراضنا للفئات الوظيفيّة الّتي انتمى الرجل إليها وفقاً لعمله في الرّواية الأردنية.

أولاً: طبقة العمّال وينتمي إليها عمّال البناء والمحاجر والمخابز والمزارع والمصانع والمطاعم وسائقو السيارات الكبيرة والصغيرة وأصحاب المهن الحرفيّة الّتي لا تحتاج إلى مؤهلات علميّة، وتتطلب جهداً كبيراً وجسماً قوياً ووقتاً طويلاً للقيام بأعمالهم الّتي لا تدرّ عليهم مالاً وفيراً؛ فالأجر زهيد لا يسدّ رمق أسرهم ولا يبعد عنها الحاجة، خاصّة أنّ معظم الوظائف الّتي يشغلها أولئك العمّال تحتكم إلى صعوبات متنوعة أشار إليها الكاتب الأردني في مواضع مختلفة، حيث يصوّر الكاتب فقر هذه الطبقة وتخبّطها وخوفها من المستقبل وانصياعها أمام ظروف الحياة القاسية، فكثيراً ما يضطر العامل للخضوع أمام أرباب العمل، وتحمّل قسوتهم، وامتصاص شتائمهم لتحصيل قوته اليومي الّذي قد يحرم منه العامل إن تأخّر عن عمله أو تغيّب عنه، إذ لا يقبل رب العمل عذراً من موظفيه، فعلى سبيل المثال يخصم المعلم مشهور من أحمد نصف أجره اليومي لتغيّبه عن العمل خمس دقائق، على النحو التالي: «يا معلم مشهور، إنها خمس دقائق الّتي تأخرتها، لقد كان ابني مريضاً، فأخذته إلى الطبيب في الصباح الباكر وحضرت مسرعاً...

---

[1] انظر: سليمان الأزرعي، الرّواية الأردنية بين الوطن الرّوائي والوطن التعبوي، عمان، ع36، عمان، 1998، ص47.

- لقد سمعت مثل هذا كثيراً، اليوم خمس دقائق وغداً عشر دقائق أنت مخصوم منك نصف يوم»[2].

كما أنّ الكاتب الأردني لم يغفل عن تصوير خوف أولئك العمّال وعائلاتهم من المستقبل، فإن اطمأنّ العامل على قوت يومه لم يكن مطمئناً على مستقبله؛ إذ لا امتيازات للمهن الّتي يزاولها، فإذا ما تضرّر العامل أو مات أو كبر في العمر تصبح الأسرة أسيرة الحاجة والعوز، على النحو التالي: «ما أقسى أن تنتظر رجلاً يرجع طوال عشرين سنة كل يوم عند المغيب، تميّز ملابسه الملأى بالتّراب ومشيته المتعبة، المكدودة وضحكته الطيّبة، ثم في يوم بعد العشرين سنة لا يعود، كم هو أمر مفزع، لا ضمان ولا دخل للبيت ولا شيء وفر بانتظار أمر يشبه هذا ومن أين يأتي بما يوفره إن كان قد حسب ذلك»[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كما أنّ الكاتب أشار إلى وقوع العمّال في شباك الطبيعة الّتي حاربت العامل أثناء بحثه عن قوته اليومي، خاصة في فصل الشتاء، ممّا أثار الخلافات بين أفراد الأسرة الواحدة، فمنير يصف ذلك بقوله: «في أيّام المطر، لا يذهب أبي إلى العمل، وتنشب الخناقات الكلاميّة بينه وبين أمي، خناقات حامية تتخللها تهديدات بالطلاق والتّشريد والحرد»[2]، فوالده يعمل في البناء، ويصف عمله عادةً بقوله: «مثل الصيد يوم تصيب وعشرة بتخيب»[3].

ومن الصعوبات الّتي واجهتها هذه الطبقة استخدام العمالة الأجنبية الّتي استغلها أرباب العمل لدوافعهم الشخصيّة، فالعامل الأجنبي يكلّف صاحب العمل أجراً أقلّ، ممّا يدفع العامل الأردني إلى التنازل والخضوع لمطالب ربّ العمل،

---

[2] هزاع البراري، الجبل الخالد، ص68.

[1] قاسم توفيق، أرض أكثر جمالاً، ص45.

[2] جمال ناجي، وقت، ص77.

[3] انظر: جمال ناجي، وقت، ص17.

فيعمل بأجر أقلّ قد لا يكفيه مؤونة يومه على المستويين الواقعي والروائي[4]، فحسن يتنازل لصاحب المخبز، ويعمل بأجر قليل يستحق أكثر منه لحاجته الماسّة إلى العمل، فهو يقول: «دخلت إلى مخبز صغير، نظر إليّ صاحبه بعد أن عرف حاجتي، وقال: أنت أردني، وتريد أن تعمل خبّازاً؟؟!

- وماذا في ذلك؟؟؟
- لا شيء... فمثل هذه الأعمال نفضّل فيها الوافدين...
- قلت وقد ملأ اليأس والقنوط قلبي اعتبرني وافداً...
- اسمع إذا قبلت بأجر الوافد... وعملت عمله... شغلتك عندي...
- قلت وقد بدأ الفرح يطغى على نبرات صوتي: موافق... وسترى منّي ما يعجبك»[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً: طبقة الموظفين من أصحاب الدخل المحدود: وتضمّ هذه الطّبقة موظفي الدولة من معلمين ومحاسبين ، ومن يعملون في الشّركات العامّة والخاصّة، ويتلقون رواتب محدّدة في نهاية كل شهر، لذا فهم أكثر استقراراً وأقلّ خوفاً على قوتهم اليومي من أصحاب الطبقة السّابقة إلاّ أنّ ذلك لا يعني سهولة أعمالهم فقد اضطروا لتحمل مشّاق عملهم والخضوع لرؤسائهم الّذين لم يفسحوا لهم حريّة التّعبير والعمل في كثير من الأحيان، إذ لجموا تصرفاتهم وأخضعوهم لأهوائهـم، فتحولوا إلى ممتلكات في يدي ربّ العمل الّذي يكون مستعداً لإنزال العقاب بالمذنبين والرافضين لتعليماتـه، مما يشعـره بالزهو لنجاحه في السيطرة على موظفيـه، فعزّت عندما تسلّم إدارة الشركة الخاصّة بنوفل يثبت جدارة استثنائية في عالم الأعمال وفي التسلق الوظيفي، فتتضخم ذاته ويحسّ بأنه شاب استطاع القبض على أسرار الرجولة والسطوة؛ لأنه تمكّن خلال بضعة أشهر من

---

[4] انظر: سهير التل، مقدمات حول قضية المرأة، ص49.

[1] هزاع البراري، الغربان، ص87.

تسلمه لمنصبه الجديد من تحويل موظفي المؤسسة ومسوؤليها إلى منفذين مخلصين لتعليماته المكتوبة وغير المكتوبة، والّتي يطلقها دون أن يرّف له جفن[2].

ومن الصعوبـات الّتي يقابلهـا أصحاب هذه الطبقة الغيرة والحسد والوشايات الّتي تنتشر بين الموظفين في المكـان الواحد، إذ يبدأ أحدهم بالغيرة من الآخر إذا ما وفق زميله في عمله، حتى وإن أدرك في داخله أنّ زميله يستحق الترقية لجده وعمله المتواصل المعطاء، فجبر المثقف الّذي يرغب دائمـاً في مساعدة الآخرين، «كثيراً ما قرأ في عيون زملائه نظرات الحسد وربما الحقد، لكن هذا لم يثنه عن التقرّب إليهم، وإبداء رغبته في مساعدتهم ونقل وجهات نظرهم إلى مديره الّذي كان يستمع إليه»[1].

ومن البديهي أنّ مثل هذه المشاعر تثير في نفس الموظف الحقد والإحساس بضرورة البحث عن أخطاء لزميله الّذي تفوّق عليه، ممّا يدفعه إلى أن يشي بزملاء عمله «مبرراً وشاياته ضدهم بأنّ واقع الحال يقول: انج سعد فقد هلك سعيد!!»[2].

ويجدر بنا أن ننوّه إلى أنّ أصحاب هذه الفئة يجب أن يكونوا على قدر من التّعليم والمعرفة، فأوّل ما يسأل عنه المرء عند تقدّمه لمثل هذه الوظائف مؤهلاته العلميّة والعمليّة وقدرته على إتقان القراءة والكتابة، على العكس من أصحاب الطبقة الأولى الّتي لا يركّز فيها أرباب العمل على القراءة والتعليم، وإنما إتقان الحرفة والطاقة البدنية الّتي يجب أن يمتلكها الشخص ليقوم بعمله

---

[2] انظر: جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص53؛ وغسان إسماعيل عبد الخالق، الغاية والأسلوب، ص46.

[1] جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص201.

[2] جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص53.

على أكمل صورة، فصبحي لم يجد عملاً يناسبه لأنه لا يمتلك مؤهلات تؤهله للعمل في الشركات الّتي طرق أبوابها، حيث كان يُسأل دائماً عن شهاداته الّتي لم يستطع الحصول عليها بسبب وفاة والده الّذي حرمه بموته من إكمال دراسته في الجامعة[3].

ثالثاً: رؤساء العمل وأربابه: وتشمل هذه الفئة كبار الموظفين من مدراء ورجال أعمال ووزراء ومسؤولين، والذين يتولون مراقبة أعمال موظفي الفئتين السّابقتين ويتابعون مؤهلاتهم وقدراتهم والتزامهم بوظائفهم، ويصدرون لهم التعليمات والخطط الّتي يجب أن يحتكموا إليها في أعمالهم المختلفة.

وقد لاحظ قارىء الرواية الأردنية أنّ الكاتب الأردني يركّز على خلق الشّخصيّات الّتي تشغل هذه الطبقة للكشف عن صفاتها في الواقع، إذ يمتاز معظم أرباب العمل بالسلبيّة والغلظة والقسوة، بالإضافة إلى اليقظة الشديدة والنظرة المخيفة الّتي تدفع العمّال إلى متابعة أعمالهم دون توقّف خوفاً من ربّ العمل الّذي يرمقهم بوحشية تشعرهم بالخوف على أرزاقهم، فمشهور يكتفي بأن يشعر عمّاله بالذنب بالنظر إليهم، فعيناه «كالشبح تظهر بين الفينة والفينة بصورة مفاجئة ممّا يجعل العمّال في يقظة تامّة، وفي نشاط لا ينتهي ولا يذبل، فكلهم لهم عائلات وصغار بحاجة إلى لقمة العيش، فوضعهم لا يتحمّل أيّ زلّة لسان مع المعلّم مشهور، وإلاّ وجد نفسه بلا طعام وربما بلا مأوى»[1].

كما أنّ أرباب العمل في الرواية يتّسمون بشيء من الأنانية وحبّ النفس، فهم غير قادرين على تجاوز مصالحهم الخاصّة من أجل مصالح العامّة، بل على العكس من ذلك فهم يسعون دائماً للمال وامتصاص حقوق الناس لتحقيق مآربهم

---

[3] انظر: هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ص ص93، 95.

[1] انظر: هزاع البراري، الجبل الخالد، ص69.

فـي هذه الحياة، من هنا كانوا متيقظين لانتهاز أيّة فرصة تزيد أرصدتهـم وأموالهم في البنوك، وفي روايات جمال ناجي نماذج متعددة للشّخصيّات الانتهازيّة المستغلّة، أمثال مدير المدرسة في رواية "الطّريق إلى بلحارث" الّذي يستغلّ موظفيه ويهددهم ويسعى وراءهم بالحيل لتدميرهم، حتّى إنّه يسرق زوجة أحد موظفيه ويجبره على طلاقها ليتزوج منها[1]. ومثله والد نبيل الجسر الانتهازي في "وقت" الّذي يسمح لنفسه بمساعدة أعداء المخيّم والعمل معهم في أعمال غير مشروعة لكسب الأموال بحجّة واهيـة يعلنها أمام الناس دون خشية منهم: «اسمعوا يا جماعـة أنـا عنـدي مبدأ في الحياة لا أحيد عنه؛ فالذي يتزوّج أمي يصير عمي»[2]، ومثلهما عثمـان أبو بركة وولده حامـد وحفيده سلمان، إذ يقوم كل منهم بكلّ ما من شأنه زيادة سطوته على الناس حتّـى عمّالهم، فسلمان ووالده حامد يدعيان امتلاكهما لأراضي الوادي ظلماً وبهتاناً من أجل زيادة أموالهما[3]، فكانا يقبضـان ثمـن أراضـي الوادي وهما متيقنان مـن ظهور المالك الحقيقي خلال الأيّام التاليـة، وبالفعـل يظهر المالك الحقيقـي معروف المعروف، بعد سنـوات طويلة ليتفق معه حفيد عثمـان "سلمان" ضدّ السكّان بمن فيهم من عمّاله، وكأنّ الأنانيّـة والانتهازيّة تـورث مع ما يورثه الأبّ لأبنائـه، فالضبع ابن الضبع على حد قول أهالي الوادي[4]، فسلمان يحيك المؤامـرات، ويقـف من أهالـي الوادي موقفاً سلبيّاً يدعم فيه معروف

---

[1] انظر: ص80.

[2] انظر: ص171؛ وإبراهيم السعافين، الرّواية في الأردن، ص107.

[3] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص34.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص172.

المعروف، مقابل أموال يعطيه إياها معروف المعـروف إذا نجح في إقناع أهالـي الـوادي بالاستسلام لمطالب المالك الجديد[5].

كما عرف عن أرباب العمل الازدواجيّة، فهم يظهرون عكس ما يبطنون، ويدّعون مـا لا يؤمنـون بـه[6]، فنوفل الشّخصيّـة الرئيسـة فـي "الحيـاة علـى ذمـة الموت" يدّعي - فـي حفلاتـه وأعمالـه الخيريّـة وتبرعاتـه إلـى الجمعيّـات الخيريّـة والأندية ومراكز الطفولـة والأمومـة والبـازارات ودور الأيتـام والمسـاجد والأسر المحتاجة- حبّ الوطن والرغبة في المساهمة في بنائه، مـع أنّـه يضـمر فـي داخلـه الرغبة فـي السيطرة عليـه وامتصـاص أموالـه[1]، عن طريق قيامـه بأعمـال غير مشـروعة وبصـورة خفيـة لا يـدركها إلاّ موظفـوه الـذين ينـتجهم معملـه الخـاص ويحولهم إلى أدوات يجني بها أموالاً كثيرة تزيد أرصدته في بنوك الدول الأجنبيّة التـي يهـرّب إليهـا أمـوال وطنـه، والتـي تمكّنـه مـن فـرض نفـوذه المـالي علـى مؤسسات وطنه المختلفة، إذ لم يكتف نوفل قط بوجود عـادي[2]، ونوفل شخصية التقطها جمال ناجي من الحياة، وعمل على إعادة صياغتها، مستفيداً من خبراتـه العملية الطويلة في البنوك، ومعرفتـه بالمؤسسـات والشركات ومحـلات الصـيرفة والأسواق المالية التي تفرض عليه التعامل مع أمثال نوفل بصورة متكررة[3].

وازدواجيّـة شخصـيّة ربّ العمـل فـي الرّوايـة الأردنيّـة تسـهم فـي خلـق مـوظفين ينافقونـه، إذ يـدّعون احتـرام رؤسائهـم وحـبّهم مـع أنّهـم يبغضونهـم،

---

[5] انظر: المصدر نفسه، ص ص217، 245.

[6] انظر: أحمد الربابعة، الشخصية الأردنية، ص39.

[1] انظر: جمال ناجي، ص ص106- 107.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص ص20، 91، 124؛ نبيل حداد، الرّواية في الأردن ونماذج مجتمع الأعمال، مؤتة للأبحاث، م11، ع6، جامعة مؤتة، 1996، ص24.

[3] انظر: نزيه أبو نضال، علامات على طريق الرّواية في الأردن، ص146.

ويضطـــرون لإظهـار مشـاعر الاحـــترام خوفاً مـن العقوبـات الّتـي يمكـن لـرب العمـل أن يوقعهـا علـيهم كالشـتائم والاستهـــزاء بـالموظف والتّقليـــل مـن شـأنه بـالإعراض عنـه إذا لـم يحسن التصـرّف والعمل[4]، إضـافةً إلـى أنّ ربّ العمـــل قـادر علـى حسـم رواتـب موظفيـه وقطـع أرزاقهـم بتهديـدهم بـالطرد مـن العمـل والرمـــي بهـــم إلى الشوارع واستبدالهم بموظفين آخرين، وهذه العقوبـات مكنـت نوفل وأمثاله مـــن السيطـرة على موظفيهم[5].

وعلى العكس من الشّخصيّات الانتهازيّة الّتي لا تعمل إلاّ من أجل المـال، نقابل فـي "بيت الأسـرار" شخصيّة إيجابيّـة تعمل متطوعـة دون مقابل مـادي، إذ جلّ ما يهمها خدمة الناس ومساعدتهم والحصول على حبّهم واحترامهم والانتمـاء إليهم؛ فدحّام يعمـل ويعمـل دون مقابـل، فهـو يريـد فقـط الانتمـاء إلـى أهل القريـة والالتصـاق بهـم، لكـن أنّـى لـه ذلك فـي مجتمـع قـروي لـم تـرَ فيـه إلاّ أسـهماً يجـب تقاسمها فيما بينهم، فدحّام سيبقى في نظر المتعصـبين مـن أهل القريـة غريبـاً، لا ينتمي إلـى ترابهـا طالمـا لـم يكـن ولـداً لرجل مـن أهلهـا، متناسين مـا قدّمـه للقريـة وأهاليها والّذي يفوق ما قدّمه أولادها، أمثال البيك عيسى الّذي نأى بنفسه وأسرته عـن أهـل القريـة وترفّـع عـنهم، بـل سـرقها وامـتصّ أموالهـا لتحقيـق طموحاتـه الخاصّة[1].

وبالرغم من أنّ معظم الشّخصيّات الذكوريّة في الرواية عاملة، إلاّ أننا نعثر على نماذج غير عاملة لمعوقات جسديّة أو نفسيّة، أمّا الجسديّة فمثالها كبار السنّ والرجال الّذين أصيبوا بإعاقات جسديّة تنأى بهم عن العالم الخارجي، فعوّاد

---

[4] انظر: جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص16.

[5] انظر: المصدر نفسه، ص43.

[1] انظر: هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص ص87، 111، 114؛ نبيل حداد، الرّواية في الأردن، دراسة في البيئة، ص ص75- 77.

المناضل بعد أن يفقد ساقيه في الحرب يجلس أسيراً في كرسي متحرّك عند نموذج نادر سلبي من النساء، إذ تهمله زوجته لتخليه عن العمل، ممّا يعذبه ويسلبه شعوره بإنسانيته ويدفعه إلى القول: «أنا مهان نصف إنسان لا فائدة منه... قمامة تستوجب الحرق، المرأة لا تطيعني، ولا تلقي لي بالاً»[2].

أمّا المعوّقات النفسيّة، فقد كانت ظلاً يحتمي بها الرجال الضعفاء غير القادرين على البحث عن بديل يعوّضهم خساراتهم، فوالد أمل يلقي على عاتقها مسؤوليّة البيت والإنفاق عليه بعد هرب والدتها منه منسحباً إلى عالم آخر، عالم الضياع والنسيان عالم الخمر[1]، شأنه في ذلك شأن سبلو الغجري والد هاجار الّذي يهمل ابنته وينسحب من العالم الخارجي إلى عالمه الداخلي، منطوياً على ذاته المتألمة لفراق زوجته الّتي قتلت أمام عينيه، فتضطر ابنته للعمل في بيع الأواني في الأسواق، متحمّلة مسؤوليّة البيت ونفقاته دون أن يكترث والدها لما تصادفه من صعاب، بسبب طبيعة عملها الّتي تضطرها إلى محادثة الرجال والاحتكاك بهم طوال النهار، فسبلو لا يهمه إلاّ الخمر والهروب من الواقع الأليم الّذي يحياه[2]، فالسارد يصوّر ذلك بقوله: «صارت هاجار تنقد والدها دخلاً يوميّاً يكفيه لشراء زجاجة من العرق، هو ذا مطلب سبلو الوحيد، ونظام بقائه اليومي الصارم الّذي لو تضعضع، لاسودت الدنيا في عينيه أو لعاد الزمان إلى الوراء»[3]، أي الزمن الماضي الذي يذكّره بمأساة قتل زوجته واغتصابها من قبل اللصوص أمام عينيه.

---

[2] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص186.

[1] انظر: قاسم توفيق، عمان ورد أخير، ص ص109- 110.

[2] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص77؛ سمية خصاونة، الاغتراب في الرّواية، ص46.

[3] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص77.

والعمل يغيّر الشّخصيّات ويؤثّر فيها على مستويين: الأول الشّكل الخارجي للشخصيّة، فعرقي بعد أن يعمل في الفندق يشترط عليه المدير أن يغيّر مظهره تغييراً جذريّاً، فوظيفته في الغناء تعتمد على مظهره الخارجي، يقول السارد في وصفه: «لكن عرقي زوج هاجار بعد أن باشر عمله في الفندق، تغيّر بشكل لم يتوقعه أيّ من سكّان الوادي، ذلك أنّ تخفيف الوزن والتأنّق الدائم شرطان أساسيان من شروط استمراره في عمله! لذا تخلّص من بعض شحوم جسمه وتعلّم استخدام مجفف الشّعر، وارتداء الملابس النظيفة المكويّة وسبحان الّذي يغيّر ولا يتغيّر»[4]، إذن تغيّر الشكل الخارجي لعرقي تغيّراً إجباريّاً فرضته طبيعة العمل الجديد، والثاني المستوى الداخلي- الفكري والنفسي - فالشخصيّات غالباً ما تتأثر بعملها إيجاباً على نحو ما رأينا من أبناء عثمان الّذين قرروا الانفصال عن الأب والانخراط في العمل للاستقلال عن والدهم المتسلّط الّذي يبرر قسوته بقوله: «أريدكم رجالاً أشدّاء أقوياء أذكياء»[1].

يقول السارد في وصفه لتأثير العمل في قرارات أبناء عثمان وأفكارهم: «لكنّ الأخوة الثلاثة توصلوا إلى ضرورة البحث عن حيواتهم المستقلّة الّتي ستهبهم فرص امتلاك أنفسهم وأسرهم الصغيرة، كما توصلوا إلى أنّ الانخراط في الجنديّة خير وسيلة لتجنّب انفجاراتهم الأسريّة المحتملة، وأقاموا وزوجاتهم وأطفالهم في المناطق الّتي عينوا فيها، وبذا نزعوا كل فتائل البارود من حيواتهم، وحيوات والدهم ووالدتهم وشقيقهم الأصغر حامد!»[2].

---

[4] المصدر نفسه، ص130.

[1] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص35.

[2] المصدر نفسه، ص35.

الرجل والعمل السياسي:

لم يكن العمل السياسي في الرواية الأردنية قصراً على طبقة معيّنة أو جنس بعينه أو مرحلة عمريّة بعينها، بل كان همّاً عامّاً جماعيّاً يتعامل معه من يرغب في إصلاح وطنه وتغييره وتخليصه من الفساد والظلم المتمثل في بعض الرموز القياديّة الفاسدة الّتي تعيث فيه خراباً وفساداً، وقد أشار إلى شموليّة العمل السياسي قاسم توفيق في "عمّان ورد أخير"، على لسان راويه راوي ضمير الغائب الّذي يقول في وصف المشاركين في إحدى المسيرات والمظاهرات: «جاءت المواكب من المدن والقرى، تجمع موظفو الشركات والبنوك، جاء طلاّب المدارس، وطلبة الجامعة، جاء وفد من عمّال مصنع الإسمنت، ووفد من عمّال سكّة الحديد، جاءت النقابات، وجاء معلمو المدارس وسكّان المخيّمات، وفتيات الاتحاد النسائي، جاء أحمد عبد الله الفوزان يرافقه مروان (وهما شخصيتان رئيستان في العمل السياسي في الرواية)، وجاء حمدان الحوت (شخصيّة ثانويّة موالية للسلطة) وسلّم على النّاس واشتكى من الحرّ وطول الطريق... جاء الصحفيون ومصورو التلفزيون... جاء كتّاب وشعراء، وجاء صبية يوزّعون بياناً على الناس»[1].

وممّا يؤكد شموليّة العمل السياسي لمختلف الفئات والطبقات والأجناس، التحذير الّذي أطلقه سالم الزغل الموالي للسلطة لعينه حمدان الحوت وهو يوجهه إلى الانتباه إلى المشاركين في المظاهرة: «نريدك أن تعمل يا حمدان – كلهم سواء – لا تقل هذا يفهم وهذا لا يفهم»[2].

---

[1] انظر: ص37.

[2] المصدر نفسه، ص20.

ويبدو أنّ الكاتب الأردني رأى في الرواية خير وسيلة لإماطة اللثام عن تردي الوضع السياسي العربي وضرورة تنقيته من هيمنة الرّموز القياديّة الظالمة الّتي تسوم شعوبها سوء العذاب، كما أنه رأى فيها خير سبيل لمخاطبة الجماهير، وإنارة الطريق أمامها، فالكاتب يبثّ فيها فلسفته المتعلّقة بالقضايا السياسيّة المختلفة، والّتي من أبرزها معارضة السلطة أو محاباتها[1]. فالقارىء يلاحظ أنّ الكاتب يوزّع شخصياته وبخاصّة المثقفة منها وفقاً لارتباطاتها السياسيّة في مجموعات هي:

المجموعة الأولى: وتضمّ الشّخصيّات المثقفة المعارضة للسلطة الفاسدة الّتي تأخذ على عاتقها مهمّة توعية عامّة الناس، وإرشادهم إلى الحريّة بتغيير الواقع المتردّي ومقاومة النظم السياسيّة الموغلة في التخلّف والتعسف والاضطهاد والدكتاتوريّة التابعة للدول الاستعماريّة على نحو مباشر أو غير مباشر، والموظّفة أساساً – بوعي أو دون وعي – في خدمة المخططات الهادفة إلى محاربة طموحات الجماهير العربية في الحريّة والوحدة والديمقراطيّة[2].

فهاني الجابر المثقف الثوري المتحمس في "ورقة التوت" يكرّس حياته العلميّة والعمليّة في سبيل إيقاظ شعبه من غيبوبته الّتي أوقعته في حصار الرموز القياديّة السلبيّة الفاسدة الّتي تبحث عن مطامعها الخاصّة، فهو يرفق في مقالاته عدداً من الوثائق الّتي تشير بأصابع الاتهام لشخصيّات معروفة بأنها وراء قضايا الفساد والرشوة وارتفاع أسعار السِّلع بشكل جنوني، وكذلك صور حوالات تدلّ على تهريب أموال إلى الخارج[3]، شأنه في ذلك شأن كل من راسم وأحمد في

---

[1] انظر: عوني الفاعوري، أثر السياسة في الرّواية الأردنية، ص143.

[2] أسعد عبد الرحمن، حول الثقافة العربية الجديدة والجيل الصاعد، الآداب، ع1، بيروت، 1983، ص32.

[3] قاسم توفيق، ورقة التوت، ص49.

"ماري روز"، وإبراهيم وعمر في "أرض أكثر جمالاً"، وأحمد الفوزان والخال ومروان وعمر وحنّا في "عمّان وردّ أخير"، وزيد في "رؤيا"، وشهاب وأبو عباد في "وقت"، وجبر في "مخلّفات الزوابع الأخيرة"، إلاّ أنّ الأخير سرعان ما يُصاب بالإحباط عندما يقرّر الانسحاب من مساندة الناس في موقفهم ضدّ السّلطة المتمثلة في التبليغ الّذي يؤكد ضرورة إخلاء الوادي أو دفع الأموال لمعروف المعروف، ففي البداية يثير جبر الناس ويحثّهم على الثورة على صاحب الأرض، ويعدهم بأن يحدّث كبار المسؤولين والسياسيين لمساندتهم، إلاّ أنّ محاولاته تبوء بالفشل عندما يجني منهم الوعود الكاذبة، ويعلن إحباطه واستسلامه وعدم قدرته على المتابعة لما رآه من تخاذل المسؤولين الكبار[1].

أمّا بقيّة الشّخصيّات فمعظمها انتمى إلى تنظيمات سياسيّة تبنت في مظاهراتها واجتماعاتها شعارات تنادي بالوحدة العربيّة، وحريّة العالم وتغييره، وتثقيف الشعوب اجتماعيّاً وسياسيّاً، وقيادة عقولها إلى التفكير، واستقلال فلسطين وتحرّرها من أيدي اليهود الغاصبين، والقول لا يسبق الفعل، وغيرها من الشعارات الّتي تحمل معاني التمرّد والخلاص من الظلم والجهل اللذين قادا الأمة إلى الهزائم المتكرّرة في السنوات الماضية[2]. كما أنّ هذه الشّخصيّات مأزومة معقدة من حيث البناء لتشظيها بين الواقع والحلم المثالي بحرية العالم والفرد، وبما أنها كانت تعلن عداءها للسلطة فقد كان من الطبيعي أن تكون مضطهدة مكروهة مراقبة من قِبَل أعين السلطة وأعوانها، فالسلطة تنقب عنها من خلال

---

[1] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص ص240- 242، 287؛
وغسان إسماعيل عبد الخالق، الزمان والمكان والنص، دار الينابيع، عمان، 1993، ص71.

[2] انظر: قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص48؛ عمان ورد أخير، ص31؛ ورقة التوت، ص ص53- 54؛ جمال ناجي، وقت، ص ص 156، 184.

التقارير اليومية التي كان يقدمها طلعت وأمثاله عندما كان طالباً في الجامعة بحق حركات الطلاب ونشاطاتهم السياسية[3].

وقد أثّرت هذه الشّخصيّات في عقلية الجماهير التي كانت ترى في تأمين لقمة الخبز غاياتها، فتم اعتقالها وتعذيبها بالضرب والحرمان سنوات طويلة ومحاصرتها والتضييق عليها قدر الإمكان بفصلها عن العالم الخارجي فصلاً تامّاً لإضعاف البنية الفكريّة للشّخصيّة وتجهيلها بما يحصل وراء أسوار المعتقل، فلا يحقّ للمعتقل أن يستعمل أي شيء يمكّنه من الاتصال بعالمه الحقيقي الّذي ينتظره وراء الأسوار، فالمذياع على سبيل المثال من الممنوعات في المعتقل، يصور هاشم غرايبة الرغبة الملحّة في سماعه، على لسان سارده كالآتي: «يتجحفل المعتصمون حول المذياع استعداداً لبيان قد يتلو الأغنية... ولكن صافرة الشّرطي تقطع الإنصات الجماعي ويتدخل ضابط السجن: سمعنا صوت راديو...»[1] بردّ فعل مباشر يحاول بعض الشباب إخفاء الراديو حتّى لا يراه الضابط، وكذا الصحف والمجلات فهي من الممنوعات في المعتقل[2].

وإضافةً إلى الاعتقال والضرب والحرمان والتعذيب، تعرض رجل المقاومة للتهديد بالطرد من العمل، فمروان المثقّف الثوري ينذر بالفصل من عمله في التّدريس، لأنه كان يرى في عالم الصغار عالماً نقيّاً يمكن أن يبثه فلسفاته عن التّغيير والمقاومة، يقول المدير للمعلمين قاصداً مروان بالذات: «المسألة طالت لقمة الخبز»[3]، ويضيف مبرراً موقفه السلبي من قرار إنذار مروان بالفصل من العمل: «بعض الطلاّب ينقلون ما يسمعونه لآبائهم، الآباء لا

---

[3] انظر: قاسم توفيق، ورقة التوت، ص69.

[1] هاشم غرايبة، رؤيا، ص39.

[2] انظر: قاسم توفيق، عمان ورد أخير، ص28.

[3] المصدر نفسه، ص47.

يحبّون كل ما نعلمه هنا، للزمن الأهميّة القصوى، لا بأس من إشارة لأمر ما يطرأ، لكن بلا سياسة، أنت توافقني بالتأكيد عالم بلا سياسة، هم يتعلمون، ثم يحدّد كل واحد منهم ما يريد»[4].

وبينما هُدد مروان بقطع رزقه أصدرت السلطات قرارها بتصفية الخال وقتله، فالاعتقال والتعذيب لم يجديا معه، فقد ظلّ مصرّاً على توريث عشقه لمقاومة الظلم والاستبداد والرغبة في تغيير العالم تغييراً جذريّاً لتلاميذه ومحبيه[5].

والكاتب الأردني يشير إلى تفاوت هذه الشّخصيّات في تحمّل الاعتقال والتعذيب والاضطهاد، ففي حين يصرّ راسم على الاستمرار رغم اعتقاله في المعسكرات اليهوديّة، يعلن محمد استسلامه بالسفر إلى السعودية ليجمع ثروة عوضاً عن الاستمرار في العمل السياسي وما يتبعه من أزمات نفسيّة وجسديّة[1]، دفعت أحمد الفوزان إلى الانتحار، فبعد اعتقاله وفقدان صديقه المريض بالحمّى في المعتقل، ينطوي على نفسه وينسحب بذاته عن الآخرين، ممّا يؤدي إلى اغترابه وشعوره بضآلة موقعه الاجتماعي، وبتفاهة وجوده وقلّة فاعليته في المجتمع، وإحساسه بالعجز عن التّفكير والرؤية والعمل على اتخاذ مواقف جديدة في حياته القادمة، فيقرر التضحية بنفسه والتّوحّد مع تراب وطنه الدافيء عندما يضغط بأصبعه على زناد مسدسه[2].

المجموعة الثانية: الشّخصيّات الموالية للسلطة وتضمّ موظفي السلطة، كبارها وصغارها والمتواطئين معها من التجّار والأغنياء وحتّى الفقراء، ورجالاتهم المنتشرة في الشوارع والمندسّة بين الناس، إضافةً إلى كل شخصيّة

---

[4] المصدر نفسه، ص49.

[5] انظر: المصدر نفسه، ص ص28، 30، 88.

[1] انظر: قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص94.

[2] انظر: قاسم توفيق، عمان ورد أخير، ص ص123- 125؛

وحسين عليان، الاغتراب في الرّواية في الأردن، أبحاث اليرموك، م17، ع1، جامعة اليرموك، ص57.

ترتبط بمنصب أو موقع أو وظيفة رسمية معترف بها في المجتمع، تخوّل صاحبها حقّ إصدار القرارات الّتي لها صفة الإلزام بالنسبة إلى الآخرين[3].

وتقف شخصيّات السلطة في الجهة المقابلة للشخصيّات المعارضة، إذ تعمل عادةً على هدم ما تحاول المجموعة الأولى تأسيسه لتحقيق أهداف ومطامع خاصّة مختفية خلف حجاب المصلحة العامّة والخوف على الوطن[4]، فطلعت الأسمر في "ورقة التوت" يقابل هاني الجابر، وسالم الزغل ورجله حمدان الحوت يقابلان أحمد الفوزان والخال في "عمّان ورد أخير"، وسلمان أبو بركة ونزار الزقي يقابلان شقيق سلمان جبر في "مخلّفات الزوابع الأخيرة"، وأبو نبيل الجسر والشاروط يقابلان منير الكسار ووالده وصديقه المناضل شهاب في "وقت"... .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تمتاز الشّخصيّات الموالية للسلطة بالازدواجيّة والمسايرة والمراوغة والادعاء والأنانيّة والتسلّق على حساب عامّة الناس[1]، فهي توالي السلطة وتدعمها في فكرها وفلسفتها وحتّى طغيانها، لتضليل الشعب وامتصاص خيراته، فطلعت الأسمر ونوفل من الشّخصيّات الّتي حسمت صراعها مع الذات والآخر نفسياً واجتماعياً[2]، فكلّ منها كان يعي مصلحته الخاصّة ورغبته الشديدة في السيطرة على وطنه بأسلوبه الخاص، ففي الوقت الّذي حاك فيه طلعت المؤامرات ضدّ المناضل الثوري هاني الجابر ليوقعه في الأسر عن طريق تشويه سمعته وتحويله من مناضل إلى خائن[3]، قام نوفل العاشق بفرض نفوذه على كل شيء بتقديم الرشاوي والأموال للسياسيين والإعلاميين المتعاونين مع

---

[3] انظر: صلاح فضل، المثقف والسلطة السياسية والاجتماعية، الآداب، ع1، بيروت، 1999، ص34.

[4] انظر: قاسم توفيق، ورقة التوت، ص ص82- 85.

[1] انظر: أحمد الربابعة، الشخصية الأردنية، ص63.

[2] انظر: غسان عبد الخالق، الغاية والأسلوب، ص45.

[3] انظر: قاسم توفيق، ورقة التوت، ص81.

السلطة مدّعياً حبه للوطن ودعمه له، وهو في حقيقة الأمر لا يكنّ له إلاّ الحقد والكره والنظرة الدونيّة، فهو يؤمن بأنّ السياسيين يدّعون حبّ الوطن والجماهير[4]، فها هو يقول: «مصالح الجماعة، العمل الجماعي... كلهم يرددون هذا الزيف، وكلهم يعلمون أنّ النفوذ هو الغاية... «أنا أستخدم نقودي من أجل تحقيق غايتي، أمّا هم فيسخّرون أولئك الّذين يسمّونهم الجماهير...»[5].

المجموعة الثالثة: عامّة الناس الّذين يتهامسون في السياسة في أعمالهم وبيوتهم وبقّالاتهم ومحلاتهم التجاريّة ومقاهيهم، دون أن يخططوا أو يشاركوا في المسيرات والمظاهرات الّتي تجهّز لها الشّخصيّات المعارضة، إلاّ أنهم لا يتركون أيّة فرصة تتاح لهم لامتداح المخالفين للسلطة الظالمة والافتخار بهم واستقبالهم واحتضانهم، على نحو ما جاء في "رؤيا" من امتداح وفخر بزيد من قبل أهل قريته ووالديه اللذين طالما شجعاه على اللحاق بركب الحقّ، فوالدته تشجّعه بقولها: «اللي قطع البحر مش عجزان عن البحيرة، وما يقطع الراس غير اللي ركبها»... لا تتكلم كثيراً لكنها تشدّ عزمي بطريقة لذيذة لا تجيدها إلاّ الأمهات... فلانة خلّفت ولداً وأسمته زيداً... تلتمع عيناها بفرح طفولي وهي تضيف... «صاروا سبعة بالقرية على اسمك...»[1] أملاً في المستقبل الّذي ينتظر أبناء القرية.

ويضيف الأبّ معتزّاً بابنه «من يومها ما فاخرت فيك، الكلّ يحترم سيرتك، بالأوّل مداراة لي، كنت أحسّ وراء مجاملاتهم استغراباً وأسئلة واستهجاناً... لكنّها صارت تتحوّل لتسليم وبعدين احترام... إكبار ومشاركة

---

[4] انظر: جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص61.

[5] انظر: المصدر نفسه، ص61.

[1] هاشم غرايبة، رؤيا، ص23.

لي...»[2]، ولعلنا نستطيع القول بأنّ هاشم غرايبة نجح في تصويره لمواقف زيد ووالديه لكونه عاش تجربة مشابهة، فقد قضى مدة عشر سنوات في المعتقل دفاعاً عن حرية الإنسان وحقه في تغيير العالم من حوله[3].

والناس أنفسهم الّذين يمتدحون الشّخصيّات المعارضة نجدهم في مواقف أخرى يخشون الطّبقة المتعاملة مع السّلطة ويرون ضرورة الابتعاد عنها، والحذر منها خشية الوقوع في شباكها الّتي قد توصلهم إلى المعتقلات[4]، فعلى سبيل المثال يخشى الناس الجسر وشاروطه ويرون ضرورة الاستسلام له ولمطالبه، لأنّ الكفّ لا تلاطم المخرز على حدّ قول أبي خالد[5]، كما أنّهم كانوا يتحاشونه فحين «يمر أبو نبيل الجسر من أمام دكّان أبي خالد، يمسك الرجال الجالسون هناك عن أحاديثهم الحامية في السياسة! تسود الهمهمات والحركات الخفيّة والمكشوفة الّتي لا تشير إلاّ لمفهوم واحد: سكوت، هذا أبو نبيل الجسر»[1]، بينما كان آخرون أمثال مدير المدرسة وبعض المعلمين ورئيس المخفر يتملقونه ويدّعون صداقته وحبه، ويعمدون إلى زياراته المتكررة في بيته[2].

---

[2] هاشم غرايبة، رؤيا، ص25.

[3] انظر: سليمان الأزرعي، الحرية والديمقراطية، ص40.

[4] انظر: هزاع البراري، حواء مرة أخرى، ص102؛ وقاسم توفيق، ورقة التوت، ص44.

[5] انظر: جمال ناجي، وقت، ص186.

[1] انظر: جمال ناجي، وقت، ص70.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص149؛ وإبراهيم السعافين، الرّواية في الأردن، ص107.

صورة الرجل عند الكاتبة

الرجل والمجتمع:

ظلّت قضيّة إنجاب الذكور قضيّة تؤرق مضجع الرجل في المجتمع وبخاصة الريفي، فهو يعلن رغبته في الإنجاب بصور متكررة تحمل معاني التهديد المباشر للمرأة إن قصّرت في إنجاب الذكر، وكأنها صاحبة القرار في تحديد جنس جنينها، ففهد الرّشيد على سبيل المثال، يسعى إلى إنجاب الكثير من الذكور، إذ كان هاجسه «ينحصر في الكيفيّة التي يشكّل فيها ويحافظ على سلالة تحمل اسمه الشّخصيّ "شجرة الفهود"»[1]، لذلك نجده لا يتورّع عن تهديد زوجته بالعودة إلى بيت والدها في أيّام زواجهما الأولى، إن لم تنجب له مولوداً ذكراً، فها هو يصرخ في وجه زوجته غزالة قائلاً:«اسمعي يا بنت الناس... بدي ولد... ولد وإلا روحي على أهلك.

ضحكت غزالة: ولد... طبعاً ولد... هذا الظهر لا يزرع في الحقل إلاّ أشجاراً...

الخبيثة حملّته المسؤوليّة، فهو المعني وأغاظه ذكاؤها إلاّ أنه أصرّ على موقفه: ولد... أنا قلت لك وأنت حرّة»[2]، لكنّ ذكاء غزالة جاء في النّص غير مقنع ومبرر، إذ كانت فتاة صغيرة غير متعلّمة بسيطة فقيرة حبيسة البيت، تمّ تزويجها من فهد الرّشيد دون أن يهتمّ والدها برأيها، في الفترة الزمنيّة التي سبقت تأسيس إمارة شرق الأردن، فكيف لها أن تعرف أنّ الرجل هو المسؤول عن تحديد جنس الجنين الذي تحمله، إضافةً إلى أنّ شخصيتها مسطحة وتفكيرها ساذج، فجلّ ما يهمها أنّها أنثى يجب أن تُرضي زوجها وتُشبع غرائزه، لذا نجدها

---

[1] عبد الله إبراهيم، بناء السرد في الرّواية الأردنية المعاصرة، أفكار، عمّان، ع135، 1999م، ص48.

[2] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص20.

تستعين بالعرّافين والخرافات بعد ولادتها بابنها الرّابع عدنان لتنجب لفهد الرّشيد المزيد من الذكور، الذين سيملؤون الهضبة ويعمّرونها بأبنائهم وأحفادهم الذين يحملون اسم فهد الرّشيد، ويشكّلون استمراراً ناجحاً لاسمه، وعزوة وسنداً له في هذه الحياة[1].

وتستمر رغبة الرجل والمرأة في الإصرار على إنجاب الذكر، للحفاظ على أموال الأسرة وممتلكاتها من الغرباء، فالأنثى تنقل ممتلكات الأسرة إلى الغرباء بزواجها من خارج دائرة الأقارب، على العكس من الذكر الذي سيحمي أموال الأسرة وينميها، حيث لا تنتقل الأموال بزواجه إلى الغرباء، على نحو ما رأينا في حوار فريدة وفهد الرّشيد عن أموال شقيقها الذي لم ينجب إلاّ فتاة واحدة/ ذهب، فها هي تقول متحسّرة على شقيقها: «أخ... يا خوية يا أسعد... لا ولد شال اسمك ولا صحة دامت لك... لا والدور والباقي على أخوالك الله يجازيهم ويخيب رجاهم...

- ما لهم أخوالي
- بدهم ياكلوه، حيّ يا حسرتي، ياكلو ماله عينك عينك... والمسكينة ذهب تنحرم مال أبوها
- ومين قال إنهم بدهم يحرموها... وبعدين ذهب بنت يمه... البنت تتزوج وبيجي الغريب يلقَ البيضة والتقشيرة يعني منو أولى الغريب والا اخوالي؟؟
- هذا بيت القصيد... ليش الغريب يلوف على مال خالك... أبوها يخاف يموت ويجي الغريب يرثه... بس خالك كريم مستعد هو قال لي بنفسه،

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص ص36، 131، 137، 181، 257.

مستعد لو قريب من لحمه يتزوج بنته يعطيه المال والأرض بيع وشرا وهو عايش»[2].

إنّ الخوف الذي سكن الشّخصيّات حول ميراث الفتاة ومصير أموال العائلة، يدفع الأسرة حتى الأم/ المرأة إلى أن تتمنى أن يكون مولودها ذكراً يكون سنداً وظهراً لأسرته، ومحافظاً على أموالها وإرثها الذي تحرم منه الأنثى وبخاصّة إذا تزوّجت، ففريدة تفسّر نفور والدتها من أنوثتها يوم الولادة بقولها: «أرادت سنداً لشقيقي "فهيد" وسط غابة الفهود، فخيبت ظنّها، واختصرت بحمقي من حجم الأملاك التي ستنتقل بالإرث إلى أبنائها! هذا السبب أثلج باقي الصّدور، تنفسوا الصعداء واستراحوا... قليلاً»[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

وتشير الكاتبة إلى موضوع ميراث المرأة وطمع الرجل فيه بصورة متكررة في الرواية الأردنية، حيث يصرخ أسعد مجهضاً فرحة سلمى بإرثها: «البنات ما إلهن، هذا شرط الجدّة، وأنا مني وعليّ أختي سلمى بعيوني، وأرضها أمانة عندي بس يوم اللي تتزوج بيه تتنازل عن كل شبر»[2].

وحرمان الفتاة من الميراث قضيّة استلهمتها الكاتبة من واقع المرأة الأردنيّة في بعض الأسر المتعصبة التي تحرم الفتاة حقّها في أموال والديها وبخاصّة في الرّيف الأردني[3]، فالكاتبة الأردنيّة ترى أن «المرأة في الرّيف هي الأقلّ حظاً وهي الخاضعة بغير شكل من أشكال الظّلم الاجتماعي، وهي إذ هي مستلبة تمارس أدواراً تقليديّة مفصّلة على قدها تفصيلاً»[4]، دون أن يدرك المجتمع

---

[2] انظر: المصدر نفسه، ص ص50، 51.

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص9.

[2] المصدر نفسه، ص125.

[3] انظر: سهير سلطي التل، حول قضية المرأة في الأردن، ص27.

[4] انظر: رفقة دودين، مجدور العربان، مؤسسة رم، الكرك، 1993، ص132.

حجم المعاناة التي تضطر إلى كبتها في حياتها واستمرارها اليومي، في أسر لا ترى حرجاً في إعلانها حبّ الذكر وتفضيله على الأنثى التي استطاعت في شخصيّة سلمى الأكحل أن تعوّض عن إحساسها بالتمييز بتفريغها لمشاعر البؤس والوحدة في كتاباتها[5]، على العكس من شخصيّة منى التي كبتت هذا التمييز، وجعلت منه مكوّناً لا يتجزأ من شخصيّتها التي طالما سخّرتها لإرضاء الأسرة وبخاصّة الأم التي كانت تتلّهى عن فتياتها بالذكر الوحيد عيسى، فمنى تقول في سياق تذكّرها لطفولتها: «أردتها أن تكون لي وحدي، ففعلت كل ما يرضيها، منذ ولادة أخي عيسى... حين انشغلتْ به عن كلّ ما هو حولها... لأنه ذكر وحيد، وقمتُ بكل ما يروقها حتى ولو كرهته لأفوز بنظرة حانية منها»[1]، فقد كان عيسى الذكر الوحيد لها والمدلّل والمفضّل دائماً على الجميع[2].

لقد منحت الأم ولدها الذكر كل ما تملك من عواطف ومشاعر وأفكار، وأثبت حبها له بتضحياتها الكثيرة من أجله، فوالدة فهد الرّشيد تتنازل له عن أغلى ما تملك من قوة ومادة، فهي تضحي بأنوثتها وشبابها في سبيل تربيته وإيصاله إلى طريق الرّجال، وتبيع له ما تملك عندما تفكّ "زنّارها" الذهبي من الليرات التي وهبها إياها إخوتها حين تنازلت طواعية عن إرثها لهم، وتهبه له مقابل أن يصبح رجلاً يُعتمد عليه[3].

وبينما كانت المودّة والمحبّة تحكم العلاقة بين الأم وولدها على الأغلب، فإنها تبدلت بين الأب وابنه، عندما كان يختار الأبّ أن يؤدّب ابنه بالطريقة التقليديّة التي تقوم على القسوة والقمع والتسلّط، وإلغاء شخصيّة الابن في مقابل

---

[5] انظر: ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص81.

[1] ليلى الأطرش، ليلتان وظلّ امرأة، ص27.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص140.

[3] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص10.

شخصيّة أبيه، ليصنع من الطفل رجلاً، فالأب غالباً ما يبرّر قسوته بقوله: «كيف بدهم يصيروا رجال!!»[4]، إلاّ أنّ هذه القسوة كثيراً ما كانت تتحول إلى لين وتفاهم وصداقة بعد بلوغ الطفل، وانتقاله إلى مرحلة الشباب، ففهد الذي كان لا يعاقب أولاده إلاّ بالشتم والضرب المبرح، صار يرى فيهم رجالاً يضمهم إلى مصاف أصدقائه، لأنهم يفوقونه علماً في الحياة، وبخاصّة ولده ليث الذي كان أكثر أبنائه شبهاً به[5].

وقد يختار الأب طريقة مختلفة في التربية، أساسها الحوار والتفاهم، ومنح الابن حقه في الاختيار، لتكون له شخصيّته المتميزة القادرة على مواجهة الحياة، فعادل وآمال يمنحان جمال حقّ الاختيار والتفكير، ويقبلان ما يريد، ولا يقحمانه في همومهما الزوجية لوعيهما بتأثيرها السلبي على تكوينه النفسي، فتشظي شخصيّته وتمزقها بين الأبوين، يحرمانه الثقة بهما ويرغمانه على الانطواء بعيداً عن الآخرين[1].

لقد منحت الأسرة الذكر في الرّواية الأردنيّة اهتماماً كبيراً ومكانة متميّزة منذ اللحظة الأولى لولادته، وفي الوقت نفسه سلبته طفولته عندما رأت فيه رجلاً ألقت على كاهله مسؤوليات لا تقلّ عن مكانته، فهو الطفل الرّجل المسؤول عن اسم الأسرة واستمرارها، وهو المعيل الثاني بعد الأب، وهو سند وظهر لها، وهو المحافظ على أموالها وممتلكاتها من الغرباء، وهو المسؤول عن حماية أفرادها وبخاصّة الإناث يتيمات الأب، فنوّار الأرملة تصرخ في طفلها فهيد الأصغر خوفاً على فتياتها رباب وفريدة من الحرب قائلة: «وأنت إن دشرت خواتك يروحن لحالهن والله لأموتك، فتحاكي فريدة نفسها قائلة: لماذا تظنّ أمي أنّ فهيداً

---

[4] المصدر نفسه، ص82.

[5] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص ص102، 179.

[1] انظر: ليلى الأطرش، ليلتان وظلّ امرأة، ص158.

راعينا وحامينا، هل يملك الولد درعاً يحمي من الرصاص إذا انهمر؟ ولماذا تهدده على هذه الصورة ما دامت تخاف عليه من الموت أصلاً؟ ما أغرب أفعال الأمهات»[2].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[2] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص71.

الرجل والتعليم:

حرص الرجل على التعليم في الرّواية الأردنيّة عند الكاتبة، لأنه أدرك بفطرته أهميّة التعليم في تشكيل الشّخصيّات وتوعيتها بالعالم الذي تحيا فيه، على نحو ما رأينا من فهد الذي يمثل الجيل الأوّل من ذكور المجتمع الأردني، فهو على العكس من معظم الآباء الذين أرادوا من الأبناء الانخراط في العمل ليكونوا عوناً لهم[1]، فهو يكوّن لنفسه فلسفة خاصّة عن العلم في تلك الفترة الزمنية، «فالعلم ليس أن تقرأ أو تكتب فحسب، ولكن أن تعلم، إنه العلم بخفايا الأشياء التي تكتنف الحياة أو تحيط بها»[2]، لقد أخذ يتمنّى فهد أن يكون لأولاده شأن متميّز لا يتحقق إلاّ بالعلم والمعرفة، لذا فإنه يعمل على توظيف «زعامته وسيطرته وهيمنته الأبوية»[3] على أولاده ليجبرهم على الدراسة، فعندما علم أنّ ابنه محمد نصر لا يريد مواصلة الدراسة في المدرسة، ويرغب في الخروج منها والانخراط في صفوف العاملين غضب غضباً شديداً، وتناسى قدرات الفتى ورغباته وميوله وحقّه في الاشتراك في التخطيط لمصيره، وانهال عليه يضربه بقسوة دون أن يتمكن أحد من التدخّل لتخليص الصبي[4]، حتّى إنّ فهد يعطي الأستاذ عندما يشتكي من تأخّر محمد نصر في الدراسة الإذن بمعاقبته كما يشاء، شريطة أن يدرس محمد نصر ويتعلم، فهو يقول للأستاذ شكري «ولا يهمك اضرب، اللحم لك والعظم النا... مَوْته ورده لبيته زلمة متعلّم»[5]، إلاّ أن تردّي

---

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص81.

[2] المصدر نفسه، ص43.

[3] نازك الأعرجي، شجرة الفهود، رواية الأسرة الأبوية، المجلة الثقافية، ع40، الجامعة الأردنية،1997م، ص196.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص81.

[5] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص81.

مستوى محمد نصر الدراسي المتكرر دفع فهد مرغماً حزيناً إلى التنازل بإخراجه من المدرسة[6].

والتعليم يمنح أبناء فهد الثلاثة الذين نجحوا في المدارس والجامعات ثقة واستقلالاً، دفعا الأبّ المسيطر إلى احترامهم وتمييزهم عن إخوتهم الآخرين، وبخاصّة محمد نصر فبينما لا يتورّع فهد عن أن يعاقب محمد نصر ويشتمه إذا أخطأ، فإنه يتورّع أن يشتم أحداً من أبنائه المتعلمين، حتى أنه يرى فيهم رجولة تمنعه من مخاطبتهم بلفظة "ولد"[1].

ولمّا نشأ الأبناء في كنف رجل محبّ للتعليم يؤكد ضرورته في كل لحظة، ورأوا أثره في شخصيّاتهم التي أصبحت واثقة مستقلّة عالمة متيقظة، بما يدور حولها في داخل مجتمع الفهود وخارجه توارثوا الإيمان بضرورة التعليم، وعملوا على تعليم أولادهم من أبناء الجيل الثالث[2]، فالكاتبة تشير بذلك إلى وعي الأهل بما يتناسب وروح العصر، فقد أصبح من البديهي في هذه الفترة تعليم معظم الذكور والإناث، حتّى إننا نجد ليث الابن الثاني لفهد الرّشيد متحرراً يسمح لابنته بالسفر إلى لندن وحدها دون قيد، كما أنه يعمل على بيع أرضه إرضاءً لولده عمر الذي أراد السفر إلى لندن للدراسة أيضاً، حتى إننا نلاحظ أيضاً أنّ محمد نصر يغيّر رأيه في التعليم، ويصرّ على تعليم أبنائه في المدارس والجامعات[3].

ومثلما رسمت الكاتبة الأردنيّة نماذج للشّخصيّات الواعية المتعلقة بالتعليم إيجابيّاً وهي الأكثر حضوراً، رسمت شخصيّات سلبيّة في نظرتها إلى التعليم، فإحسان الناطور لا يرى في التعليم ما يراه فهد الرّشيد وأولاده، والتعليم لم يمثل

---

[6] المصدر نفسه، ص81.

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص184.

[2] المصدر نفسه، ص178.

[3] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص ص70، 156، 194، 224، 241.

عنده وسيلة للارتقاء والوعي والنجاح، فمبدأ الغاية تبرر الوسيلة شعاره العملي في الحياة، إذ كان يعتقد أنّ النجاح لا يتأتى إلاّ بكسب المال دون الاهتمام بالوسيلة التي سيأتي بها، ويؤمن بالمظاهر والكماليات التي يؤمنها المال له[1]، لدرجة أنه يهزأ من المثقفين ويدّعي بأنّ انكبابهم على العلم والثقافة غايته التباهي والشهرة والاستعراض، فها هو يقول مخاطباً زوجته: «جلال وشلته كانوا يتسابقون في استعراض ما قرأوا، أقسم لك بالله... الواحد منهم كان يقرأ من أجل الآخرين والتفوّق عليهم، والاستعراض أمامهم، هل تصدقين... كانوا يقرأون وأنا أشترك في صفقات صغيرة، في ذلك الوقت لم تكن صغيرة لطالب مثلي... كنت أحقق ربحاً يوازي دخل دكتور في الجامعة، وأكثر ممن درسوني، لهذا تركت الجامعة ولحقت بفارس»[2]، وإحسان يرى أنّ الثقافة الحقيقيّة والعلم الوفير يستلهمان من الحياة حيث كان يقول دائماً: «الحياة هي المدرسة»[3].

والكاتبة تشير في ثنايا رواياتها إشارات سريعة مقتضبة إلى العقبات التي وقفت عائقاً أمام تعليم الرجل، ومن أبرزها: الحالة الاقتصاديّة للأسرة الفقيرة، فإخوة هدى يحرمون حق التعليم بسبب المال، فجميعهم يضطرون لترك المدرسة لمعاونة والدهم في المقهى الذي يملكه، ولا يكفي لسدّ احتياجاتهم[4].

ومنها وعي الطالب القاصر عن فهم أهميّة التعليم وضرورته في صقل الشّخصيّة وتقويمها وتنميتها، فأسعد يتلهى عن قيمة التعليم باللهو والسينما والأصدقاء[5]، وعدنان يتلهى عن التعليم بهوايته في النحت، حتى إنه يصمم على

---

[1] انظر: إبراهيم خليل، الرواية في الأردن، ص ص100، 102.

[2] انظر: ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، المؤسسة العربية، بيروت، 1990، ص53.

[3] المصدر نفسه، ص212.

[4] انظر: ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص117.

[5] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، ص212.

ترك المدرسة والعمل في النجارة التي تمكنه من الاتصال بأدوات هوايته كل يوم، دون أن يعي أهميّة التعليم في تنمية هوايته وتطويرها ودون أن تجدي معه نصائح العائلة والمدرسة[6].

ومنها الالتحاق المبكر بالعمل السياسي والحزبي دون وعي، فباسل ينتمي إلى حزب جامعي، يكشف زيفه في قوله: «أنا لم أعد قادراً على العمل في السياسة، بدأتُ أدرك أنّ ما نقوم به ليس كفاحاً أبداً، كفاح ضد من... أهو كفاح ضدّ الفساد والتردّي إلى الخلف... حسناً هل نجا المكافحون أنفسهم من الفساد والرجعيّة، وكل ألوان الأشياء التي يعملون ضدّها، إنهم يكافحون من أجل مراكز ومصالح لا طائل تحتها»[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

غير أنّ قرار باسل بالانفصال عن الحزب لم يكن في صالحه، فقد تمّ حرمانه من الشهادة الجامعيّة مقابل انفصاله عن الحزب، الأمر الذي أجبره على العودة إلى الحزب مرة أخرى رغماً عنه، ليكمل دراسته وينال شهادته، التي تمكنه من دخول الحياة في رأيه[2].

وبين علم يفيد[3]، وتثقيف ذاتي يبرز استقلال الذات، ورغبة في إصلاح الوطن وخدمته[4]، ومكانة اجتماعيّة مرموقة متميّزة[5]، توزعت الطموحات العلميّة للشّخصيّات الذكوريّة في الرّواية الأردنيّة التي أبدعتها الكاتبة مصورة التأثير الإيجابي الذي خلّفه العلم في الشّخصيّات الذكوريّة وبخاصّة الثوريّة التي

---

[6] انظر: المصدر نفسه، ص263.

[1] سميحة خريس، رحليّ، ص38.

[2] المصدر نفسه، ص52.

[3] انظر: ليلى الأطرش، صهيل المسافات، ص86.

[4] انظر: رفقة دودين، مجدور العربان، ص32، 36.

[5] انظر: سميحة خريس، رحليّ، ص10.

كرست علمها وحياتها لتحرير أوطانها من الفساد والتردّي حقّاً، كما سنلاحظ ذلك عند حديثنا عن الرجل والعمل السياسي.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الرجل والعمل:

اختلفت دوافع العمل من رجل إلى آخر، وتعدّدت أهدافه التي تدور حول الرغبة في تأمين حياة كريمة للرجل وأسرته ومجتمعه، فبينما رأى إحسان في العمل وسيلة لارتقائه الذاتي وجمع المال، والصعود إلى القمّة، واختبار الحياة[1]، رأى فيه عدنان وسيلة للاستقرار والزواج ممن يحب[2]، ورأى فيه منجد وسيلة لتأمين لقمة العيش، وتربية الأبناء، وسدّ حاجاتهم اليومية من مأكل وملبس ومسكن[3]، ورأى فيه زياد وسيلة للارتقاء الجماعي لا الذاتي، فالعمل عنده يجب أن يسخّر لخدمة المجتمع والناس، فزياد لم يكن يتورّع عن التنازل عن حقوقه في العمل كطبيب من أجل خدمة الآخرين ومساعدتهم[4].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وينتمي الرجل وفقاً لعمله عند الكاتبة إلى إحدى الطبقات التالية التي تُسهم في تكوين اقتصاد مجتمع الرّواية الذي يقترن إلى حدٍّ كبير باقتصاد المجتمع الأردني الواقعي[5]، الأولى: طبقة العمال وهي الأقلّ حظاً في ميادين الحياة المختلفة، السياسيّة والاجتماعيّة والثقافية، فأبناء هذه الطبقة يعملون في الزّراعة والبناء والمقاهي والحرف المختلفة ساعات طويلة مقابل أجور زهيدة تكلفهم جهداً كبيراً وكرامة خاضعة لأرباب العمل، وبما أنّ هذه الأجور لا تكفي لسد حاجاتهم، فإنهم يضطرون إلى حرمان أبنائهم من الكثير من الحقوق وبخاصّة التعليم، ليساعدوا الأب في إعالة أسرهم البسيطة الفقيرة، ويمثّل هذه الطبقة عايش وإخوته وأولاده الذين يعملون في أراضي فهد الرّشيد مقابل قوتهم اليومي،

---

[1] انظر: ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص61.

[2] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص269.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص158.

[4] انظر: رفقة دودين، مجدور العربان، ص21.

[5] انظر: سهير سلطي التل، مقدمات حول قضيّة المرأة، ص48.

دون أن يُسمح لهم بالاعتراض أو التمرد[1]، لذا نجده يطرد ابن عايش منجد الذي يرفض أن ينصاع طويلاً لحياة الذلّ، ساخراً بقوله: «انقلع ما بدي أشوف وجهك في أرضي، وبدي أشوف كيف بدك تموت من الجوع...»[2]، لقد كان الطرد أكثر الوسائل القمعيّة، التي كانت تُرهب العمال وتسكتهم عن مطالبة أرباب العمل بحقوقهم فيه.

والثانية: طبقة الموظفين وتشمل الموظفين الذين عينتهم الدولة في قطاعاتها المختلفة وموظفي القطاعات الخاصّة، ممن حصلوا على مؤهلات وشهادات علمية، تؤهلهم للعمل في المدارس والمكاتب المدنية والعسكرية والمصانع والشركات الحكومية والخاصة، برواتب محدودة شهرية قد لا تسدّ حاجات الأسرة كاملة، إلاّ أنها أفضل حالاً من أجور أصحاب الطبقة الأولى، فهي ثابتة قابلة للزيادة لا النقصان، إضافةً إلى أنّ أصحاب هذه الطبقة يخضعون لنظام التقاعد الذي يحمي الرجل في مرحلة عمرية متقدمة، كوالد سلمى الذي يكتفي بالراتب الذي تقدمه له الدولة بعد تقاعده[3]، على العكس من أصحاب الطبقة الأولى التي يُحرم فيها الرجل من حقوقه الماليّة، إذا أصبح في عمر متقدمة لا تسمح له بمواصلة العمل، ويمكننا أن نمثل لطبقة الموظفين بمنذور الذي يعمل في إحدى القطاعات العسكرية، براتب محدود مقارنة بمتطلبات الحياة المختلفة، فهو يتجاوز الثلاثين من عمره دون أن يفكر في الاستقرار والزواج، لأنه لا يستطيع تأمين مسلتزماته براتبه المالي المحدود، على نحو ما كشف عنه الحوار التالي بين فهد الرّشيد ومنذور:

« - ليش يا منذور بعدك ما تجوزت؟

---

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص157.

[2] المصدر نفسه، ص158.

[3] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص112.

ضحك الشاب: والله يا عمي العين بصيرة واليد قصيرة والشيب طلع براسي خلص راحت علينا

- صحيح ليش أخوك منجد تجوز قبلك، ما لك ناقصك إشي؟
- هذا منجد أخذ واحدة مسكينــة اشترى لـها ثــوب وقال لها تعالي عيشي وسط عشيرة رضيت، أنا خلص ما عاد أفكر بالحكي... الزواج بده جيبة تخشخش»[1].

والثالثة: طبقة أرباب العمل وهم المتحكمون بمصائر المنتمين إلى الطبقتين السابقتين، وتشمل هذه الطبقة كبار موظفي القطاعات الحكومية والخاصة، وأصحاب الأموال التي يتم توظيفها في الأعمال التجارية المختلفة، وينقسم أصحابها في أهدافهم إلى تيارين: الأول: شخصيّات تحبّ وطنها وتعمل من أجله، ويمثل لهذا الاتجاه عدنان السلطي الذي يحوّل مكتبه وحتى بيته إلى مكان لاستقبال الناس وخدمتهم ومساعدتهم تبعاً للفرص المتاحة أمامه، وقد أورث حبه للوطن وتضحيته من أجله إلى ولده نوّاف وأتباعه من العمّال والناس الذين انكبوا على تقليده[2].

والثاني: تمتاز شخصيّاته بالنفاق والادعاء بحب الوطن وخدمته ومساعدة ناسه، وهم في الحقيقة يلهثون وراء المال والمناصب الاجتماعية العالية والمظاهر الزائفة التي تحقّق لهم الظهور والشهرة، ويمثل لهذا الاتجاه إحسان الناطور الذي يدّعي الثقافة والصدق والإخلاص والمحبّة للآخرين والعمل من أجلهم، وهو في حقيقته يكره الثقافة ويدّعيها ليتمكن من الوصول إلى محبّيها، حيث تعدّ مطلباً رئيساً للوصول إلى مكانته العملية المتميزة في التجارة، فها هو يقول في سياق تداعياته عن شقيقه جلال المنكب على قراءة الكتب والتهامها:

---

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص120.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص ص195، 197.

«جلال يحفظ الصفحات، يناقش وينظر، «وأنت يا إحسان... وحدك كنت ذكياً... تقرأ ما يكتب على الغلاف الأخير، ونتفاً من هنا وهناك، والنتيجة أنه يعرف، وأنت أيضاً تعرف ممّا تسمعه منه ومن الأسطر القليلة التي تقرأ...»[1].

كما أنّ شخصيّة إحسان تمتاز بالأنانيّة وحبّ النفس منذ طفولته وحتى شبابه، فقد كان قادراً على النيل من شقيقه جلال والفوز عليه في كل شيء حتى الزواج بنادية الفقيه محبوبته بدعم من الأسرة الشرقيّة التي تميّز الإخوة الصغار وتحثّ الأشقّاء الكبار على التنازل دوماً للآخرين[2]، فإحسان يناجي نفسه في سياق أفكاره المتداعية عن حبّ جلال لنادية: «هل ما زال يفكّر فيها؟... لا... مستحيل، ليس جلال، مهما كان تعلقه بها... ظلّ يقاوم قليلاً حين كان صبياً، وأنت تنازعه على شيء ما، مهما يكن، ولكنه يعود ليعطيك ما تطلب... كان يكتفي بالمديح ورضا الوالدين، وتفوز أنت بما تريد... حتى حين تيأس أمك من تعثرك، وتقسم أنك لن تفلح... كان يدافع عنك ويطمئنها، ويلعب دور الأخ الأكبر في عائلة شرقيّة... الأخ الأكبر المطالب بالتضحية والإيثار، يستعبده الأخوة الصغار»[3]، لكنّ أنانيّة إحسان ونرجسيته تكمن أيضاً في سعيه وراء المال والسلطة وتملّك الآخرين بمن فيهم زوجته، إضافة إلى وصوليته وتسلّقه على حساب الناس البسطاء[4]، دون أن يشعر بالانتماء لأي كان، فهو شخصيّة لا تنتمي إلى موطنها الأصلي، ولا إلى موطن عملها، فجلّ ما يهتم به من الأماكن: شركاته وبيوته وأراضيه وأمواله في البنوك، فشعاره في الانتماء إلى المكان مقدار المال الذي له فيه، فهو لا يؤمن إلاّ بالمال وبحبه له مدعيّاً أنّ المال وسيلة

---

[1] ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص42.

[2] انظر: عبد الله رضوان، أدباء أردنيون، وزارة الثقافة، 1996، ص272.

[3] انظر: ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص40.

[4] انظر: عبد الله رضوان، أدباء أردنيون، ص282.

للوصول إلى القمّة، التي طالما سعى إليها في أفعاله وحواراته الخارجيّة والداخليّة، فهو يصبّر نفسه دائماً بقوله: «أنت لن تقبل إلاّ بالقمّة، وفوق القمّة ستكون حروبك وانتصاراتك»[1]، ولعلنا نستطيع القول بأنّ طبيعة عمل ليلى الأطرش في الصحافة والإعلام[2]، مكنتها من مقابلة أمثال إحسان الناطور في الواقع، فعملت على إعادة تشكيل شخصياتهم في أعمالها الأدبية، لتلفت انتباه القارىء إلى مثل هذه الشخصيات التي تهدف إلى امتصاص أموال الآخرين واستغلال حاجاتهم المختلفة.

إنّ إحساس الرجل بالمسؤولية نحو أسرته، وتسديد احتياجاتها دفعه دوماً إلى الانغماس في العمل، ممّا تسبّب أحياناً في انسلاخه عنها وابتعاده عن همومها، معتمداً بذلك على المرأة التي كان يكتفي بسؤالها عند العودة من العمل عن أحوال أسرته، على نحو ما رأينا من والد منى وآمال الذي كان يكتفي بسؤال والدتهما عن أخبارهما: «كان والدي منذ صغرنا يحتفظ بتلك المسافة ما بيننا... يجتهد من أجلنا... يحدب علينا... ولكن عالمه ملك خاص له، تدخل إليه أمي في نقاشات حولنا وحول دراستنا... يعمل ويجالس أصحابه على المقهى ويسامر أمي... واعتدنا ذلك»[3].

وبالرغم من صعوبات العمل ومشّاقه، فإنّ الرجل في الرّواية الأردنيّة يستمر في تحمّل مشاق العمل من أجل أسرة يحبها، ويسعى دوماً إلى تأمين استقرارها، وحمايتها من الضياع والانحدار، وبالتالي حماية المجتمع كله من التفسّخ والانهيار.

---

[1] ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص36.

[2] انظر: محمد المشايخ، الأدب والأدباء، ص230.

[3] ليلى الأطرش، ليلتان وظلّ امرأة، ص143.

الرجل والعمل السياسي:

حفر حبّ الوطن حروفه في قلب الرجل في الرّواية الأردنية، فالرجل المتماسك القويّ الصارم تنهار عواطفه وتنهمر دموعه دون حرج أو استحياء من الناس المحيطين به، لأنه يضطر للرحيل عن بلاده قسراً، على نحو ما رأينا في رواية زهرة عمر التي تحكي عن ملحمة الشتات الشركسي وأثرها في بناء مدينة عمان[1]، إذ تقول مسرة خان مخاطبة والدها عن دموعه التي فاضت عند خروجه من موطنه الأصلي رغماً عنه: «وللمرة الأخيرة التفت مفجوعاً لتلقي نظرة الوداع على أرض الوطن... انحبست الدموع تملأ عينيك، وانحدرت متلاحقة تنسكب كينبوعين متواصلين ثم تختفي بين شعر لحيتك الطويلة الممسدة الشهباء التي تبللت كلها بالدموع... وتلك كانت المرّة الثانية التي أراك فيها تبكي في هذا اليوم النحس... والوحيدة التي رأيتك فيها تبكي دون أن تأبه [لوجود] الناس من حولك...»[2].

من هنا يمكننا أن نعد حبّ الوطن وعشقه والقلق على إصلاحه، وانتشاله من الظلم والفساد، المحرك الأول الذي دفع الرجل إلى العمل السياسي، فزياد في "مجدور العربان" وصالح في "أعواد ثقاب" وبسام ومروان في "وتشرق غرباً"، وعبد الرازق في "رحلتي"، ومحمد الرشيد وليث وخير الله وماجد في "شجرة الفهود"، كلهم رجال اهتموا بالوطن وعملوا دائماً من أجله.

فالوطن جعل من الدكتور زياد نموذجاً للرجل المثقف المتحمس لإصلاح وطنه عامة وقريته في الجنوب خاصّة، فقد كان يؤمن بمقولات الماوردي عن الإصلاح، فهو يقول: «مرة أخرى أحس أنّ ما يقوله الماوردي هو ما أريده

---

[1] انظر: نزيه أبو نضال، عمان مكان نموذجي لرواية المدن، ع8، عمان، 1991م، ص62.

[2] زهرة عمر، الخروج من سوسروقة، ص56.

بالذات، صلاح الإنسان مرهون بصلاح دنياه»[1]، لذا نجده يؤمن بضرورة توعية الناس، وإيقاظهم بالكلمة والفعل، وطرح فرص العمل أمامهم حتى لا يضطروا إلى عقد الموازنات بين حرياتهم ولقمة الخبز[2]، إضافة إلى أنّ زياد آمن بضرورة محاربة الفساد الإداري في المؤسسات الحكومية والخاصّة وحتى الحزبية، فقد كاد أن يقع صريعاً لاضطراباته الداخلية، نتيجة للانشقاقات والتجاوزات غير المرضية في الحزب الذي ينتمي إليه[3]، فبينما يحثه وعيه للتمسك بمبادئه، والعمل من أجل الناس وتحقيق العدالة وتحرير العالم من الجهل، يدفعه لاوعيه إلى أن ينام ليله الطويل، وينعم بما في يديه من نعم الحياة، دون أن يفطن إلى الناس وهمومهم، فمصلحته فوق كل شيء[4]، لكن زياد بوعيه وثقافته وحبه للناس، يتصالح مع ذاته، ويقرر عدم الاستسلام والانصياع لهواتفه الداخلية التي تريد منه أن يترك حلم المستقبل بانتشار الحرية والعقلانية بين الناس، فيبدأ بالعمل على إصلاح ما يستطيع إصلاحه من حوله، فهو يقول: «وعيت تماماً موقفي، ومن نفسي زخت سحب الشعور بالانعتاق، وامتلأت بالمنجزات... عضو مؤسس للنادي الاجتماعي الثقافي في البلدة، عضو مؤسس لجمعية مربي الأغنام، مساهم في إيجاد صف لبطيئي التعلم، متزعم حملة جمع تبرعات لإعمار المسجد...»[5]، ويكمـل تعداد أعماله الإصلاحية، حتى يعود إلى الحديث عن رضاه الداخلي مرة أخرى: «أصبح ممتلئاً [حماسة] ومنجزات مقصياً ما كان من أمر قلبي وشعوره بالمهانة مكرماً نفسي غير آبه بما رماني به زماني الفظّ هذا،

---

[1] رفقة دودين، مجدور العربان، ص35.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص35.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص42.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص78.

[5] المصدر نفسه، ص146.

مستبدلاً [بخيمة] المجدور [دلالة على شعوره بالنبذ في ظلّ مجتمع قرويّ يجهل حقوقه] خيمة ناسك [دلالة على نمو شخصية زياد وانسجامها مع المجتمع الذي بدأ ينمو ويتطور ويعي ما حوله][1].

وعلى النقيض من شخصية زياد الواعية للفجوة بين الحلم والواقع، نقابل شخصيّة صالح في "أعواد ثقاب"، فصالح يعد نموذجاً للرجل المثقف المحبط المأزوم بهموم الأمة، المنهار أمام النظرية والتطبيق، فصالح بثقافته أدرك حبه لوطنه، ورغبته الشديدة في تحسينه، ورأى ضرورة انتمائه إلى واحد من الأحزاب الإصلاحيّة، التي لا تسعى «لإرضاء واسترضاء الأفراد مهما كانوا، ومن كانوا، ومهما هي قدراتهم»[2]، وبانضمامه إلى الحزب بدأ حفظه للنظريات السياسيّة الإصلاحيّة التي تنادي بحرية العالم وتغييره، وتثقيف الشباب وتوعيتهم وتنظيمهم في لجان العمل الشعبيّة، وتحرير النساء العربيات وإنقاذهن من الاضطهاد المؤسسي والمجتمعي والجنسوي، إضافةً إلى العمل من أجل تحقيق حلم الوحدة العربية[3]، لكن خلافه مع حزبه الذي أراد أن يلحق بركب الأحزاب المعلنة من خلال الالتزام بقوانين السلطة والتنازل لها، والارتباط مع غيرها بصلات خارجية، الهدف منها دعم الحزب وإعلانه[4]، دفعه إلى الاكتئاب والانطواء على الذات، والانكباب على لومها، حتى غدا صريعاً للاضطرابات النفسية، التي أودعته مصحة عقليّة بالدوار السابع:

«اختلافه مع حزبه، هزّ فيه الوجدان والضمير، وحفنة النبض، وشوية التشبث بالحياة، وبعضاً من الروح، اختلف مع أبيه وناس قريته، ولم يرف له

---

[1] رفقة دودين، مجدور العربان،، ص147.

[2] رفقة دودين، أعواد ثقاب، ص79.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص ص82، 87، 88.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص ص115، 201.

جفن، ها هو يختلف مع حزبه، فيحل به الخراب والدمار، لا يدري لأي بشر، لأي حجر يكون سؤاله لماذا؟ [لماذا التنازل عن المبادىء والنظريات الحزبية التي يعلمها الحزب لأعضائه]، والخيارات أمامه محدودة، ها هو مكتئب صامت... نزيل مصحة نفسيّة يقضي فيها حكماً بالاكتئاب»[1].

والكاتبة الأردنية في غمرة حديثها عن عمل الرجل السياسي ونظرياته الإيجابيّة في سبيل الوطن، لا تغفل الصعوبات التي يتعرض لها المناضل من قبل رؤوس السلطة والمعارضين للأعمال السياسيّة، خوفاً من السلطة أو محاباة لها، فعماد الشاب الثوري المتحمس لوطنه، ينتمي إلى إحدى الجماعات السريّة التي تخطط للعمليات الفدائيّة التي تهدف إلى تحرير فلسطين، يضطر للخضوع لأوامر والده بالنفي الاختياري إلى أمريكا خوفاً من السياسة والوقوع في خطر الاعتقال، يقول الرّاوي في السبب الذي دفع عماد إلى السفر: «عماد لم يذهب ليذاكر مع صديقه، دُعي إلى اجتماع في تلك الليلة بين كروم الزيتون، وعندما وصل كانت قد تمت مداهمة المكان وقبض على الذين وصلوا...»، منذ تلك الليلة كثر حديث شكري النجار عن ضرورة سفر عماد إلى أمريكا ليتعلم ويعيش مع ابن عمه، «ابن عمنا بيدبره والله بيقدرنا على المصاريف أحسن من دخول السجن وخراب البيوت»[2].

وبينما استطاع شكري النجار حماية عماد من الوقوع في براثن الاعتقال الصهيوني لم يستطع حماية بسام الثوري الذي يتم اعتقاله وتعريضه لأشكال مختلفة من التعذيب النفسي والجسدي، فهو يتعرّض للشتم والحبس الانفرادي والضرب المبرّح الذي سلبه رجولته وقدرته على المشي، كما في حواره التالي

---

[1] انظر: رفقة دودين، أعواد ثقاب، ص201.

[2] انظر: ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص55.

مع شقيقته هند: «قاوم دموعه... وفي وجهه سر آخر يلـوح... أرجوك... اكتبي لريما أني أعتبرها غير ملزمة بالوعد... .

- بالعكس راح أ كتب لها بأنك تنتظر على أحرّ من الجمر خروجك... علشانها وبس...
- ليش ما تفهمي يا هند... مش ممكن تربط حياتها بشخص صار عاجز مثلي... عاجز...» [1].

ومن الصّعوبات التي اعترضت الرجل السياسي الشائعات والاتهامات الباطلة التي تنسج حول مصداقية عمله السياسي وولائه للوطن، فصالح أيوب يتهم في ولائه للمدينة التي يعيش فيها من قبل الوزير حسن بن زايد، لأنه يرفض أن يتنازل له ويعترف بشاعريته، بل راح يؤكد على ركاكة كلماته ومقالاته، ممّا دفع الوزير إلى حياكة المؤامرات ضده، حتى إنه تجرأ على القول في حضرة الرئيس بأنّ صالح أيوب هو سبب التوتر الحالي بين غابرة وبيت جنان، وأنه هو السبب في تصعيد مشكلة الحدود بين الدولتين، حيث يرى أنّ الحدود خطوط وهمية، وأنّ الدولتين بلد واحدة، وأنّ على الدولتين التعقّل في مسألة الحدود، ممّا أثار الوزير ودفعه إلى القول بأنّ انتماء صالح أيوب ليس خالصاً لنا ولن يكون[2].

وأمّا أكثر الصعوبات خطورة؛ فهو النفي الإجباري الذي تعرّض له الرجل السياسي في الرّواية الأردنيّة من قِبَل السلطة، إذ كانت تهدف إلى إبعاد المناضل عن أرضه وموطنه وتعذيبه نفسياً، حيث لا يمكن لمناضل أحبّ وطنه مغادرته إلاّ رغماً عنه، فليث الثوري المتحمس لقضايا وطنه المنادي بإصلاحه وتغييره

---

[1] انظر: ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص218.

[2] انظر: ليلى الأطرش، صهيل المسافات، ص ص54- 56.

ومحاربة الفساد فيه، يتم نفيه إلى الكويت[3] بعد اعتقاله وتعذيبه جسديّاً، يقول الرّاوي في وصف ليث بعد خروجه من المعتقل: «عانقوه وقبلوا رأسه وكتفيه وارتعشوا بين ذراعيه، ودون أن يدركوا للحظات أنّ جسده منهك، ودون أن يروا عينيه الغارقتين في محجريهما، والكدمات التي تغطي وجهه وجسده وأنامله التي تهتز بصورة غير طبيعيّة... اندفع هو إلى جسد خير الله يحتمي به، همس في أذنيه: خذني بعيداً عن الجميع...»[1].

وقد ترك النفي والتعذيب النفسي بالإبعاد أثره في شخصيّة ليث السياسيّة، حيث نأى عن المشاركة في المظاهرات ورفع الشعارات وهجر الخطب الحماسيّة التي تنادي بيقظة الشخص وضرورة تدخله لإصلاح البلاد، واكتفى بالمناقشات السياسيّة التي لا تحمله المسؤولية أمام السلطات بعد عودته من المنفى/ الكويت، على العكس من محمد الرشيد الذي يصرّ حتى بعد عودته من المنفى/ لبنان على العمل من أجل وطنه، فهو يستمر في العمل السياسي سنوات وسنوات حتى يصاب بنوبات قلبية يعزوها من حوله إلى مناكفاته السياسية، وإصراره على التغيير لكل ما من شأنه تخريب البلاد: «محمد الرشيد ستقتله السياسة... هذا ما حصده من الجري وراء المناكفة والاعتراض... هذا ما جناه من الاختلاف... هكذا كانوا يحللون مرضه...»[2].

والكاتبة الأردنيّة تشير إلى اختلاف ميول الرجل وتقبّله للعمل السياسي، فالرجل إمّا معارض، أو مؤيد، أو محايد لا يعنيه شيء سوى مصلحته الخاصّة، كما في الحوار التالي الذي يقدّم شخصيّة محمد الرشيد المنكبّة على العمل

---

[3] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص40.

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص338.

[2] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص256.

السياسي، وتأييد ليث وربيع له، ومعارضة منذور الذي يرى الأمور بمنظار ضيّق سوداوي، شأنه في ذلك شأن سعيد:

«خير الله: وين محمد الرشيد... يعني ما بنشوفه...؟

ويرد أحمد الرشيد: مشغول

يسخر منذور: دايماً مشغول

ويردّ ليث: لولا اللي بسووه كان الدنيا ولعت نار، مش شايفين الغلا ذبحنا.

يستنكر سعيد: انتو بتحكو هالكحي؟ شو نسوي إحنا اللي ع قد حالنا؟

يعود منذور للسخرية: يعني شغل النقابات وبلاويها بده ينفع؟... يا عمي السياسة ما وراها غير وجع الراس.

ويقول ربيع: هالحكي من قلة الحيلة، وإلا ليش ما نحط إيدينا بإيده نساوي شغله تنفع الناس»[1].

وأمّا المحرك الثاني الذي يدفع بالرجل إلى ساحة العمل السياسي والمساهمة فيه، فهو دافع شخصي الغاية منه تحقيق طموح فردي، بغض النظر عن مصلحة الجماعة والوطن، فجلّ ما اهتم به أمثال هؤلاء الرجال المال أو الشهرة أو الوصول إلى مراكز السلطة والمحاباة لأصحابها، فخالد ينضم إلى أحد الأحزاب عند انتقاله للدراسة في دولة عربية، مقابل خمسين ديناراً تدفع له كل شهر، ليقوم بإيصال رسائل مجهولة لا يعرف محتواها إلى أشخاص غير معروفين أيضاً، ودون أن يعرف أو يسأل عن أهداف الحزب وطموحاته، ممّا يدل على تستطع شخصيته وبساطة تفكيرها، فهذه الشّخصيّة لم تتأثر بنصائح باسل بالابتعاد عن العروض المغرية التي ستقدمها الأحزاب له، فالمهم عند خالد

---

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص205.

المبلغ المالي الذي سيناله من الحزب بشكل دائم ومستمر[2]، فخالد يحدد وظيفته في الحزب ومعرفته به بقوله: «رئيس الاتحاد صاحب الصوت الرزين الهادىء سلمني جواز سفري بعد أن ظلّ فترة طويلة يرقد في أدراجه... وكانت هناك رسالة حفظت عنوانها عن ظهر قلب، ومبلغ من النقود أخفيته في حذائي... لقد بدأت العمل... دون أن أقتنع... من أجل إيصال رسالة ومبلغ من النقود أستلم مرتباً شهرياً»[3].

إنّ شخصيّة خالد تمثل النموذج السلبي الأناني الذي تدين الكاتبة من خلاله الأحزاب السياسيّة أي حزب، وتقلل من شأن الفعل السياسي/ أي فعل دون مبررات معقولة، ودون أن تدين تفكير خالد المسطح واللامبالي بمصلحة الجماعة، فهو لا يستفيد أبداً من تجربته الحزبية، التي انتهت باعتقاله وتعذيبه وتعريضه لمخاطر نفسية وجسدية، كان أكثرها تأثيراً نفيه وحرمانه من الشهادة الجامعيّة التي طالما حلم بها، ممّا يدفعه إلى الهروب من واقعه إلى حلمه بالسفر إلى أمريكا دون وعي[1]، على نحو ما رأينا في الحوار الذي دار بين مها وخالد بعد خروجهما من المعتقل:

(خالد): ليس من اللائق أن يعرف الجميع أننا خريجو سجون.

(مها): خجل إذن... أمن العار أن تكون سجيناً. شعرت دائماً أنك تخجل من هذا الوضع، لماذا يا خالد؟

(خالد): لأني لم [أختر] ولم أكن أدرك أبعاد الوضع.

---

[2] سميحة خريس، رحليّ، ص38.

[3] سميحة خريس، رحليّ، ص46.

[1] عبد الله رضوان، في الرّواية الأردنيّة، ملامح واتجاهات عامّة، أفكار، عدد76، عمان، 1985م، ص39.

(مها): سيكون من السخف أن أحاول أقناعك أو جذبك إلى صفوفنا، ولكن ألا ترى معي أنك دفعت الثمن ولم تشتر شيئاً، فحاول أن تعرف ثمن ماذا دفعت؟

(خالد): مثل المتهم بجريمة قتل يسجن بريئاً ويخرج ليقتل لمجرد أنه دفع الثمن مقدماً!

هزت (مها) رأسها أسفاً: لا فائدة منك إذا كنت تشبه النضال السياسي بجرائم القتل»[2].

أمّا السعي وراء الشهرة والمراكز السلطوية في العمل السياسي، فيمثل له حمود الواشلي الذي يرمز إلى النماذج المتسلقة والانتهازية التي تطمح للوصول إلى المراكز السياسيّة العليا على حساب غيرها من النماذج السياسية المناضلة بحق[1]، فحمود الواشلي الذي قدمه صالح أيوب الشخصية الرئيسة من خلال ذكرياته وعودته إلى ماضيه، يدوس من هو أقلّ منه حظّاً، ويستغل مال والده وأجداده، ويغدق على الحركات السياسيّة الكثير منها، ويقود المظاهرات الطلابيّة مدعيّاً الإصلاح، وهو في حقيقة الأمر لا يسعى إلاّ لمنصب سلطوي يصيبه بماله ونسبه، فهو ممثل أفّاق[2]، يقول الرّاوي في وصف تسلّقه الوظيفي عن طريق المال: «كثير ممن عرفت، أو تعاملت معهم، يعتقدون أنّ لكل إنسان ثمناً، ونظريات السياسة تؤكد ذلك... ثلاث سنوات قبل أن ننتقل إلى القاهرة، صار فيها حمود زعيماً للطلاّب، ولم يكن أكبرهم، كان سخيّاً بأموال والده وجده، فأدركت أنّ عائلته تعدّه لدور سياسي»[3], ويضيف عن دور المال والعشيرة

---

[2] انظر: سميحة خريس، رحليّ، ص103.

[1] انظر: إبراهيم خليل، ليلى الأطرش وصهيل المسافات: كتابة روائيّة متحررة من نون النسوة، أفكار، ع146، عمان، 2000م، ص73.

[2] انظر: ليلى الأطرش، صهيل المسافات، ص94؛ وإبراهيم خليل، ليلى الأطرش وصهيل المسافات، ص72.

[3] انظر: ليلى الأطرش، صهيل المسافات، ص ص101، 123.

والطبقية في تقصير الطريق أمام حمود الواشلي مقارنة بطريقه الصعبة الشائكة: «نقلني طلب العلم والسياسة طويلاً وكثيراً... وكانت درب حمود قصيرة وسهلة رغم نشاطه السياسي... تخرّج من القاهرة متفوقاً، وعمل في سفارة غابرة، ثم حصل على الماجستير... فعاد وزيراً وفتحوا له كل الأبواب... يدهشني حمود»[4]، لكنّ حمود الواشلي لم يكتف بمناصبه السياسيّة، بل أصرّ على تصفية حساب قديم مع صالح أيوب، فأرسل إلى رئيس بيت جنان أنه قادر على استضافته في غابرة، بحجّة حمايته من المعارضين له ولآرائه السياسيّة في بيت جنان[5]، على نحو ما يكشف عنه الحوار التالي بين صالح أيوب ورئيس بيت جنان:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

«- لم أعرف أنك حزبي مثله.

- لم أكن... وهذا أساس الخلاف، حاول جري إلى حزبه فرفضت، ثم حاول شرائي وإغوائي بالمال والمنصب، ولكنه لا يعرف أنّ بعض الرجال فوق الثمن وأبعد عن البيع والشراء.
- هو مهتم بك ولا أعتقد أنه يذكر أمراً كهذا بعد أن صار رئيساً للوزراء.
- لن ينسى ما حدث. أنا واثق...

إذن حمود يريدك لتصفية حساب قديم بينكما؟»[1].

---

[4] المصدر نفسه، ص128.

[5] انظر: المصدر نفسه، ص59.

[1] ليلى الأطرش، صهيل المسافات، ص59.

الرجل والمرأة:

يتناول البحث في هذه الجزئيّة، خصوصيّة العلاقة بين الرجل والمرأة في الرّواية الأردنيّة عند الكاتبة، فالرجل والمرأة يرتبطان معاً بشبكة من العلاقات العامّة المتعلقة بالأبوة والأخوة والصداقة وغيرها من علاقات القرابة، والعلاقات الثنائية الخاصّة التي تربط بين الجنسين فقط، ألا وهي الحبّ والزواج اللذان سنخصهما بالحديث في هذا الجزء من البحث.

أمّا الحبّ، فقد عرضته الكاتبة من زوايا عدّة، الأولى: الحرص الشديد على سريّة العواطف المتبادلة بين الذكر والأنثى؛ خوفاً على الأنثى من العادات والتقاليد التي تحرّم اللقاء بينهما، فإذا ما انتشر خبر حبّ الفتاة لشاب، كثرت الأقاويل والإشاعات التي تقلّل من شأن الفتاة، وأسرتها التي لم تستطع الحفاظ عليها من الوقوع في خطيئة الحبّ، فأكثر ما كان يخيف هند النجار من عواطفها المتبادلة مع رجل تختاره أن تعرف قريتها بعواطفها، فتصبح عندها فريسة تلتهمها ألسنة الناس في القرية[1]، على نحو ما حصل معها عندما أخذ عادل يتوهّم حبها له، ويرسل لها الرّسائل التي تعبّر عن عواطفه الملتهبة تجاهها، ممّا دفع مديرتها في المدرسة إلى تحذيرها وتوبيخها وإثارة الخوف في قلبها: «وفي خوفها ووقع المفاجأة بكت، وجمح خيالها إلى بيت أمان، لو أخبرت (المديرة) والدها (هند) فستعرف البلدة كلها... وستنسج النساء قصصاً من حرمانهن وكبتهن عنها وعنه، ولن يصدقوا ما يقال، سيصدقون ما يريدونه هم... والشتاء بارد ولياليه طويلة، وستصبح أحاديث وسمر الناس، فتنتشر قصص لا تدري أين

[1] انظر: أحمد عرفات الضاوي، صورة المرأة في النّص الرّوائي، ص38.

ستصل أحداثها... وبكت بحرقة أكثر وهي تتصوّر نفسها في أفواه نساء بيت أمان!»[2].

وأمّا الثّانية، فتكمن في وصف الطقوس الخاصّة التي يتبادلها المتحابان، كالنظرات ذات الدلالات الواضحة التي ترمز إلى الإعجاب المتبادل بينهما، واللقاءات السريّة خارج إطار أسر المتحابين، والمجاملات الكلاميّة، والرّسائل المليئة بالمشاعر والعواطف الرقيقة التي يقوم بإرسالها الأخوة والأخوات الصغار، واللمسات والقبل المحمومة التي يسرقها الذكر غالباً من الأنثى في غفلة منها، والكلام عن أحلام المستقبل والحاضر لمصير علاقتهما معاً[1]، وبالرغم ممّا تثيره هذه الطقوس من عواطف جامحة ورغبات مكبوتة في المتحابين، فإنّ المرأة عند الكاتبة أكثر وعياً ويقظة في حفاظها على نفسها وسيطرتها على مشاعرها اللاواعية من المرأة عند الكاتب، إذ لا نكاد نعثر في الرّواية النسوية على علاقات جسدية محرّمة ترجم فيها المتحابان مشاعرهما المكبوتة المتبادلة بينهما، باستثناء محاولات ثانوية، يعمد فيها الرجل/ بلال المنحرف أخلاقيّاً إلى استدراج المرأة/ فريدة، واختزالها في جسد يحقّ له التمتع به كيف يشاء، على اعتبار أن لا تظهر المرأة في عالمه إلاّ بوصفها جزءاً مكملاً لعالمه، وليس جزءاً أصيلاً فيه، إنّها الزينة التي تجمّل عالم الرجل[2]، لكن عودة فريدة إلى وعيها ورفضها للاستمرار فيما أراده بلال منها، يدلّ على يقظتها وحفاظها على كرامتها وسمعتها من براثن حبّ متوهّم، مريض يخلو من العاطفة الصادقة والمشاعر النبيلة، حتى وإن عادت المرأة إلى رشدها في اللحظة الأخيرة، ممّا

---

[2] انظر: ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص99.

[1] انظر: سميحة خريس، رحلتي، ص23؛ شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص ص153، 154، 269، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص ص75- 79.

[2] عبد الله إبراهيم، الرواية النسائية والجسد الأنثوي، عمان، عدد48، عمان، 1998، ص44.

يؤكّد هامشية مثل هذه العلاقات المنحرفة واحتكام المرأة رغم تحرّرها إلى عقلها قبل عاطفتها عندما تقدم على مثل هذه المحاولات الخطرة، التي من شأنها تحطيم المرأة اجتماعياً ونفسياً وفكرياً[3].

وأمّا الثّالثة، فتكمن في تصوير الأحاسيس والمشاعر والعواطف الجيّاشة ذات الحساسيّة العالية التي يقع فيها كلا الجنسين، وتصوير أثر هذه العلاقة في التكوين النفسي لكليهما، إذ يغدو كلٌ منهما حالماً لا يستطيع الاستغناء عن الآخر، يرى الحياة بمنظار جميل يلوّن كل ما حوله بألوان زاهية جميلة، على نحو ما جاء في وصف الراوي للقاء التالي بين ميسلون والطبيب وليد المتناقض الذي يظهر حبها تارة، ويكبته تارة أخرى، «كانت ميسلون حفيدة فهد الرشيد خائفة مضطربة، ولكنها شعرت به يقترب أكثر وبدلاً من أن يمسك يدها، فإنّ كفيها أصبحتا في كفيه الدافئتين، وعينيه تخاطبان عينيها... وكلماته تهدىء روعها، لست بحاجة إلى كل هذه الكلمات، ها هو الحب يفرض سطوته، وينتزعها من القلق والخوف، والدنيا تتلون وطقوس الحياة عروس بأجمل ما يكون، والفتى الذي شعر لوهلة أنّ كلماته لا تصل، ولكنّ عينيه تصلان وهمس الكفين أكثر وقعاً، صمت لم يكن صمتاً ثقيلاً، كان بإمكانه احتمال الصمت أبد الدّهر فهناك لغة جديدة تولد...»[1].

وقد وظّفت الكاتبة الأردنية قصص الحبّ وأنواعه، ليكشف عن مشاعر رومانسيّة أحسّت من خلالها المرأة الأردنية ولا سيما في الأجيال البازغة بنفسها وبحقوقها القلبية التي تقودها إلى البحث عن حريتها في اختيار الرجل المناسب

---

[3] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص ص182- 184.

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص322.

لها، فقد باتت المرأة قادرة على أن تحب، وأن تختار من تحب[2]، فالحبّ لم يعد قصراً على الرجال الذين يباح لهم من قبل المجتمع والعادات والتقاليد، أن يمارسوا الحياة كيفما يريدون، حتى وإن كان الحبّ من الأفعال التي يتداولونها، على نحو ما صرّح به محمد نصر في قوله لرباب بعد أن اكتشف سرّ حبها لأحمد «الفهود يبيحون الحبّ لرجالهم، وينكرونه على نسائهم»[1].

ونستشفّ إحساس المرأة بالنقص، والعجز لأنها أنثى، عندما يتم انتقاد سلوكها وفكرها من قِبَل الرجل الذي يدّعي التحرّر، ويسمح لنفسه بما لا يسمح به للمرأة، فهند تأخذ على شقيقها عماد تناقضه، إذ كان يدّعي حقّ المرأة في الحريّة والاختيار تماماً كالرجل، لكن عندما يضطر إلى تطبيق نظرياته بالموافقة على اختيار هند للرجل الذي تحبه، يعارض ذلك بإصرار خوفاً من العادات والتقاليد، التي تحميه[2]، على النحو التالي: «أمّا أنت يا عماد، كيف تغيّرت؟ ولماذا أبحت لنفسك كل شيء، ثم تكتب عن شعور الوالد وتقاليد البلدة... تقاليد استبحت كل ما فيها ثم تحرمها على الآخرين وتحميك تلك التقاليد، بكل ما تملك لأنك الرجل!»[3].

وأمّا الرابعة، فتكمن في الحديث عن النهايات التي كانت تؤول إليها علاقات الحبّ والتودد بين الرجل و المرأة، والتي كانت تنحصر في نهايتين على الأغلب، الأولى الانفصال بين المتحابين بلا رجعة، والثانية الزواج.

---

[2] انظر: نبيل حداد، شجرة الفهود لسميحة خريس، صورة المجتمع الأردني الانتقالي، أبحاث اليرموك، مجلد15، ع2، جامعة اليرموك، 1997، ص119.

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص82.

[2] انظر: ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص69.

[3] المصدر نفسه، ص155.

أمّا الانفصال بين المتحابين، فقد كان يتم في الرواية النسوية بصورة عنيفة تؤثر في المرأة سلباً، إذ كانت عادة ما تتعرّض لعقاب العادات والتقاليد الذي تحرم إقامة العلاقات بين الذكر والأنثى وحدها دون أن ينال الذكر ما تناله هي لخوف الأسرة على شرفها من العار والفضيحة، فرباب تتعرض للضرب المبرّح المؤذي جسدياً ونفسياً من والدتها وشقيقها الأصغر فهيد، فهو صاحب الحقّ في تربية شقيقاته البنات إذا أخطأت إحداهنّ فهو الذكر الوحيد لأمه نوار[1]، التي ينم تصرّفها عن ازدواجيّة في شخصيّتها، فهي ترفض أن تضرب رباب من قِبَل أحمد ابن شقيقتها الذي يكبرها سناً، وتنهال هي وأسعد وفهيد عليها، فيضربونها دون رحمة، كما أنها تُحرّم على رباب الحبّ واختيار الرجل الذي تريد، بينما سمحت لنفسها بترك المدرسة والتمرد على والدتها والزواج من فهد الرّشيد على الرغم من الجميع[2] في سنّ مبكرة، وتتم معاقبة رباب أيضاً بالحبس في البيت والحرمان من المدرسة، والزواج من ولد عمها على الرغم منها، ممّا يجعلها دائماً حزينة مكتئبة تدعو على من أكرهها على الزواج من أحمد الرّشيد، الذي أخذ يتناوب على ضربها وشتمها بعد الزواج منه[3].

ويبدو أنّ الكاتبة لم تبتدع الأسلوب القمعي الذي عوملت به رباب، وإنما استهلمته من الواقع، فالقارىء يجد أنّ العقاب الذي عوقبت به رباب، يماثل إلى حدٍّ بعيد العقاب الذي تعرضت له منى، عندما عرف والدها بأنها على علاقة غراميّة بشاب آخر، فهو يضربها ضرباً قاسياً، تحاول الأم تخليصها منه دون جدوى، ثم يعلن قراراً بمنعها من الذهاب إلى المدرسة والجلوس في البيت، حتى

---

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص ص80- 84.

[2] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص ص218، 214.

[3] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص110.

يتم عقد قرانها على أوّل خاطب لها دون الاهتمام بموافقتها، وبالفعل يتمّ إكراهها على الزواج من يوسف دون رغبة حقيقيّة منها في ذلك الزواج[4]، كما في الحوار التالي الذي تستذكره منى مع والدتها بعد سنوات من الزواج غير المقنع والموفق في سدّ حاجاتها ورغباتها في الحياة: «والدك قَبِلَ يوسف خطيباً لك... ما رأيك؟

توتّر كل ما فيّ فاستجمعت قواي... بل سأكمل دراستي، لا أريد الزواج؟

- النصيب الجيّد لا يردّ... والثانوية كفاية...
- لن أتزوج يوسف

جميع الحقوق محفوظة

انقلبت عينا أمي إلى تحديق نمرة متوثبة حاصرتني: إن ما يقوله والدك صحيح... من أجل ذلك الهشام! الطالب الفقير... أنت يا منى؟ لا أصدق... العاقلة الرزينة

- هشام هذا كذب وافتراء، وخيال من آمال وغيرها من الأخريات! أنا لا أريد سوى إكمال دراستي.

حَسَمَت ما بيننا: النصيب الجيّد لا يُردّ، وظلّت مخذولة بي وبالقرار»[1]، وتشير الكاتبة إلى الأثر المؤلم لهذا الحبّ، فمنى تكبت حبها وتودعه في عالمها الداخلي، حتى تعود إليه كلما شعرت بالنقص العاطفي، وبالمشاعر المليئة بالنفاق من قِبَل المحيطين بها وبخاصّة زوجها يوسف، لقد سكن هشام عالمها الخاص الذي كانت تنطوي عليه، للتخفيف من شعورها الحادّ بالاغتراب عن زوجها يوسف الذي لا يرى فيها سوى أنثى[2]، عليها أن تلبي رغباته، فهي تقول: «أنى

---

[4] انظر: ليلى الأطرش، ليلتان وظلّ امرأة، ص ص23- 37.

[1] ليلى الأطرش، ليلتان وظلّ امرأة، ص27.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص29.

لهم أن يتوصلوا إلى السّاكن فيّ... هشام... وقد أخفيته في أعماقي، أنتشله في حزني وفرحي، أضعه في الكفّة الأخرى، من ميزان الحياة فيرجح، ظلّ البعيد دائماً أجمل والمتخيّل أكثر شفافية وسعادة، فأرقد في حسرتي، كم تمنيت لو أراه، لو ينبع من لا مكان يلمحني فتلمع عيناه، كما كان أمس وأحس رجفته، وهو يطيل النّظر إليّ»[3]، لقد باتت منى تقتات على ذكريات حبها لهشام من بداية النّص وحتى نهايته، فهي أبداً لم تستطع تجاوز تجربتها الأولى مع الرجل الذي أحبته واختارته، وحرمت منه بسبب العادات والتقاليد، ممّا جعل حياتها الزوجيّة حياة غير مستقرة، حتى ولو اقتصر عدم استقرارها على عالمها الداخلي الذي احتفظت به لنفسها دون الآخرين، لقد نجحت الكاتبة في سبر أعماق شخصيّتها وتصوير بعديها الاجتماعي والنفسي المتلازمين في تكوين شخصية منى الروائيّة[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

أمّا الزواج فقد كان النهاية الثانية للعلاقات الغراميّة بين الرجل والمرأة، حتى عدته بعض الشّخصيّات الواعية المتعلمة النهاية الطبيعية للحب، فمروان نصار يعلن ذلك لهند النجار، في حواره التالي معها: «هند تحبينني

- طبعاً
- ما نهاية الحبّ
- لا أعرف
- النهاية الطبيعيــة هي الزواج... وأنا أحبك، وأخــاف عليك أكثر من نفسك، المهم أن تساعديني حتى نقرر النهايــة الطبيعيّــة بإرادتنا،

---

[3] المصدر نفسه، ص24.

[1] انظر: ليلى الأطرش، ليلتان وظلّ امرأة، ص ص25، 29، 31، 127، 159، 171.

وليس بإرادة وتفكير أهلنا، طبعاً هذا يحتاج إلــى قرار شجاع منك ووقفة حازمة»[2].

وقد تنوّعت وتعدّدت العوامل التي جمعت بين الرجل والمرأة عند الكاتبة فالمنفعة الذاتيّة جمعت بين فهد الرّشيد وزوجاته، إذ رأى بعقليته الإقطاعيّة استغلال الزواج من فتاة بسيطة تنتمي إلى أسرة فقيرة كثيرة العدد، تعمل في أراضي غيرها بأجور قليلة، «صفقة عمالة» توفّر عليه الكثير من المال، عندما يتحولون إلى أدوات إنتاج عند صهرهم الإقطاعي[3]، ورأى في زواجه من زوجته الثانية نسباً مرموقاً وسنداً وظهراً يدعم وضعه الاجتماعي إلى أن ينجب الذكور ويكوّن سنده الخاص به، الذي سيحمي ظهره ويعمّر المكان/ الهضبة[1]، ورأى أيضاً من خلال عقليّة أمه العميقة التفكير بأمور الحياة رغم أميّتها أنّ بإمكانه تعزيــز وضعه الاقتصــادي عن طريق الزواج بابنة خاله الوحيدة ذهب، خوفاً من ذهاب أموالهــا بعد وفاة والدها إلى الغرباء، وهم أصحاب الحقّ فيه لقرابتهم بالفتاة[2]، أمّا زواجــه الأخير من الفتــاة الصغيــرة نوّار التي تقارب حفيداته في السّن، فقد كانت الغاية منه نفسيّة؛ إذ أثبت فهد لنفسه ولأسرته - زوجات وأولاد- ولمن حوله أنّه ما زال الرجل القــويّ رغم تقدّمه في السنّ، الذكر القادر على الزواج والإنجاب، لقد أعادت نوّار إلى فهد الرّشيد إحساسه بالرجولة والشباب، بعد أن كبرت زوجاته وكبر أولاده، كما أنها داعبت غروره

---

[2] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص153.

[3] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص15؛ نبيل حــداد، شجرة الفهــود لسميحة خريس، ص94.

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، ص51؛ نبيل حداد، شجرة الفهود لسميحة خريس، ص95.

[2] انظر: شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص51؛ نبيل حداد، شجرة الفهود لسميحة خريس، ص95.

وأيقظت مشاعره الذكورية، حينما حاورته أمام والدتها ومدحت فيه الرجولة والكبرياء، وأوعزت إليه برغبتها بالزواج منه، على النحو التالي: «صفق فهد كفيه: والله أني مستعد أتزوجها.

(أم نوار): الله يقطعك بعد نفسك خضرة؟

ثم نظرت نحو ابنتها، كانت نوّار قد انكسرت، أسبلت عينيها، وتضرج وجهها حمرة... ها يا نوّار شو رأيك بهالعريس؟؟

(نوّار): موافقة فهد الرّشيد ما ينعاب... اللي بدها تتزوج زلمة ما بتلاقي أحسن من فهد الرّشيد...»[3].

ويظهر لنا في موضع آخر من الرواية، أنّ نوّار تزوجت فهد الرّشيد بوازع داخلي مرده شعورها بالحرمان العاطفي وإحساسها بالرغبة في الحصول على الأب في حياتها، فهي يتيمة توفي والدها دون أن تعرفه، بعد أن أوصى بها فهد الرّشيد[1]، ممّا دفعها إلى الوقوع في حبّه والميل إليه، دون أن تحتكم إلى عقلها في القبول بالزواج منه، فها هي تقول لفهد في ليلتها الثانية متناسية أنها زوجته: «بدك إشي يا عمي

: ربت على شعرها بلطف قائلاً: نامي نامي... ولا تنسي لازم تبطلي تقولي عمي...»[2]، إضافة إلى تكرار السارد لألفاظ تدلّ على علاقة الأبوّة بين فهد ونوّار، كقوله: أحاط فهد كتفها بحنان أبوي، وقوله هرع فهد كأب مكلوم يلتقط نوار عن الأرض بعد فقدها للوعي وسقوطها على الأرض[3].

---

[3] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص219.

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص174.

[2] المصدر نفسه، ص229.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص ص223، 225.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وقد كانت الثقافة من العوامل التي جمعت بين الرجل والمرأة في ارتباطهما، فزياد يعلن رغبته في الاستقرار والزواج، بعد أن يلتقي الفتاة المثقفة الواعية بحقوقها متمثلة في النسرينة، فهو لم يفكر بالزاوج إلاّ بعد أن أُعجب بثقافة النسرينة وتعلّمها لا بجمالها وأنوثتها[4]، على العكس من صديقه طارق الذي لا يرى في المرأة إلاّ جمالها وأنوثتها، فهو يضيّع وقته وجهده في البحث عن زوجة تتطابق مع فتاة أحلامه، حيث كان مصراً على أن تكون شقراء وزرقاء العينين وتنتسب إلى أُسرة مرموقة[5].

وقد يكون الزواج تقليدياً، حيث تتم الموافقة على الزواج من قِبَل جميع الأطراف التي يجوز لها التدّخل في الزواج، كزواج نازك وخير الله، ففهد الرّشيد يرشّح نازك المعروفة بجمالها ونسبها إلى عدنان السلطي الذي قدّم روحه فداءً للوطن لخير الله، الذي تروق له فكرة الزواج منها، ممّا يدفعهم إلى مواصلة مراسيم الزواج المستلهمة من المجتمع الأردني الذي يرمز إليه مجتمع الرواية، كالجاهة التي تضمّ كبار القوم والإيجاب والقبول من قِبَل الفتاة وأسرتها والخطبة والمهر والمقابلات السريعة والهدايا المنوّعة وحفلة الزواج/ العرس، وما فيه من غناء وأفراح وعادات تستذكرها الكاتبة كاملة وبالتفصيل، وكأنّ القارىء أمام إحدى حفلات الزواج الأردنيّة[1].

وقد يكون الزواج بصورة غير تقليدية، حيث يتم الزواج بالاتفاق بين المتحابين فقط دون موافقة الأهل الذين يكونون قد سبــق ورفضوا الرجل أو المــرأة لسبــب ما، كالطبقية ومثالها زواج عادل وآمال، فأســرة عادل ترفض

---

[4] رفقة دودين، مجدور العربان، ص133.

[5] المصدر نفسه، ص20.

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص ص280- 284.

زواجه من آمال، لأنها تنتمي إلى أسرة فقيرة[2]، واختلاف الأديان فأسرتا مروان وهند ترفضان زواجهما لأنّ كلاً منهما يعتنق ديناً مختلفاً عن الآخر[3]، والمستـوى التعليمي والعملـي، فوالد سليمة الصخـور يرفض زواجها من عدنان الرّشيد، لأنــه لم يكمل تعليمــه واكتفــى بمهنة النجارة[4]، وأما العمر فقد وقف حائلاً بين فهد الرّشيد ونوّار، اللذين تزوجا رغماً عن والدة نوّار التي عارضت الزواج بشدّة، لأنّ فهد الرّشيد في عمره يقارب عمر والد نوّار[5].

وانطلاقاً من موقف الأسرة المعارض للزواج، كان على المتحابين أن يختارا طريقهما الخاصّة بهما، فإمّا أن يستسلما ويرضخا للأسرة وأوامرها بالانفصال، كما في قصة منى وهشام، حيث حرمتهما الأسرة حقّ الاختيار[1]، وإمّا أن يتمردا ويدافعا عن حقهما في اختيار المناسب لهما، حتى وإن كان الأمر متعلقاً بالزواج، فعدنان وسليمة يتفقان على الزواج رغماً عن أُسرتيهما في مدينة أخرى هربا إليها، لكن ذلك يؤثر سلباً في أسرتيهما وبخاصّة أسرة الفتاة التي تنتمي إلى مجتمع محافظ يرفض تمرّد الفتاة وخروجها عن الأُسرة، فالمجتمع يـرى فـي هذه الحالة ضرورة عقابها بقسوة لأنها خالفت العادات والتقاليد، وعرّضت سمعتها لكلام الناس وأساءت في تصرّفها لمكانة والدها الاجتماعية، على نحو ما جاء في الحوار التالي بين أفراد أسرة عدنان الذين عرفوا بهرب الشابين وزواجهما في الشّام: «محمد نصر ضرب على رأسه، ومنذور صرخ

---

[2] انظر: ليلى الأطرش، ليلتان وظلّ امرأة، ص85.

[3] انظر: ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص 157.

[4] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص271.

[5] انظر: المصدر نفسه، ص222.

[1] انظر: ليلى الأطرش، ليلتان وظلّ امرأة، ص96.

فضيحة، وأسعد لوى فمه مشمئزاً ودمـدم: يابه أمرني ,أنا بأروح وراهم الشّام بأذبحهم...

ليث لكزه بقسوة: تذبح مين يا أهبل... هو عدنان بنت؟؟

أمّا فهد فهزّ رأسه وتأمّل ثم تحدّث: هالحيوان ما بدي أشوف رقعة وجهه إذا رجع.

وعلّق ليث: قرصة عالخفيف ما بتضر... بعدين بتصالحه

:- بصالحه، كسر كلامي، وحط إيدي بايد هالناقص محمد الصخور:

فريدة ظلّت ترقب صامتة حتى هذه اللحظة، تدخلت: هسه مصيبة الصخور أكبر البنت بنتهم.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

:- طيب يمه... روحي قولي لمحمد الصخور، إننا بنستر على بنته وما بنجيب طاري إنها راحت خطيفة»[2].

وزواج الخطيفة تقليد عرف عند الشركس وهو على نوعين، الأول: يتم فيه الاتفاق بين المتحابين وأسرتيهما، لاختصار إجراءات الزواج وتكاليفه، أو بين المتحابين فقط، إذ تكون أسرتاهما معارضة لزواجهما، والثاني: يكون قسراً، حيث تخطف الفتاة لإهانة تلقّاها الشّاب منها أو من أسرتها، ممّا يدفع أسرتها إلى خوض المعارك مع جماعة المختطف لاستعادتها[1]، ومثال النوع الأول ما خططت له "ناشخوه" ـ الشخصية الرئيسة في "الخروج من سوسروقة" التي سجّلت الكاتبة من خلال ذكرياتها وهمومها وأحلامها وعالمها الداخلي عادات المجتمع الشركسي وتقاليده وتاريخه منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر

---

[2] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص275.

[1] انظر: أحمد الربابعة، المجتمع البدوي الأردني، ص210؛ زهرة عمر، الخروج من سوسروقة، ص283.

إلى تأسيس الإمارة الأردنية[2]- مع "ختات" الذي قال لها: «سوف آتي ذات ليلة نتفق عليها وتكون معي فاطمات ابنة عمي... سوف تأتين وأنت تحملين معك صرّة حوائجك الضرورية... وأذهب بك إلى بيت المختار، تبقين هناك في حرز أمين إلى أن يتم عقد القران... ألا ترين معي أنّ زواج الخطيفة أسهل وأسرع[3]، إلاّ أنّ اتفاقهما لا يكتب له النجاح، لأنّ الموت يسلب "ختات" منها[4].

وأمّا مثال النوع الثاني، فهو زواج "ناشخوه" من "نياز" الذي يخطفها رغماً عنها، ويودعها شهراً كاملاً في بيت المختار الذي يستضيفها بحفاوة إلى أن يستردها أهلها أو يعلنوا موافقتهم على زواجها من المختطف، وبالفعل فإنّ والدها الوحيد الذي فقد أسرته أثناء الهجرة، يرفض أن يعرض أصحابه لخطر المعارك في الغربة، ويوافق على زواجها من نياز[5]، ويرسل إليها بأن تعلن موافقتها على الزواج الذي دفعها إلى الشعور بالعجز والنقص، لأنها أنثى يجب عليها التنازل للذكر عند الضرورة، فلا يحقّ لها تعريض المجموعة لخطر الموت من أجل حمايتها واستردادها من نياز وأسرته، فها هي تلعن في سرّها أنوثتها، التي تمنعها من اختيار الرجل المناسب لها: «اضطررت للإذعان كنت أحترق غيظاً بجلدي، ولكن لم يعد في يدي [شيء]... وعندما نقلوني إلى بيته، أحسست أنني لا أختلف عن شاة مسكينة، تدفع إلى مصيرها شاءت أم أبت، فهي لا تملك حقّ نفسها، ولعنت حياة الأنثى...»[1]، وقد أظهرت الكاتبة دقّة في رسمها لشخصية تاشخوه لقربها منها في الواقع، فناشخوه في الحقيقة شخصية

---

[2] المصدر نفسه، ص97؛ نزيه أبو نضال، علامات على طريق الرّواية الأردنيّة، ص192.

[3] زهرة عمر، الخروج من سوسروقة، ص239.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص265.

[5] المصدر نفسه، ص283.

[1] انظر: زهرة عمر، الخروج من سوسروقة، ص284.

أعادت الكاتبة خلقها من خلال تصويرها لذكريات والدتها عن حياة الشركس وهجراتهم وعاداتهم وأحلامهم وأساطيرهم التي عاصرتها والدة الكاتبة زهرة عمر[2].

ومن الزواج غير المألوف زواج المتعة الذي تشير إليه ناشخوه، في تقديمها لشخصيّة "باتر" شقيق زوجها "نياز"، فهو متزوج من عائشة على أساس زواج المتعة الذي تبيحه تعاليم الطائفة الشيعية، حيث يكون الزواج لفترة زمنيّة محددة، لا تفرض على الرجل التزامات الزواج العادي إلاّ إذا أنجبت منه أولاداً، ولعلّ ما دفع الكاتبة إلى الإشارة إلى هذا الزواج أنها توثّق لالتحاق فرسان الشركس بالجيش العثماني بعد هجرتهم إلى الأردن، حيث كان لِزاماً عليهم التنقّل بين بلاد الشّام ولبنان، التي عاش فيها باتر ثلاث سنوات، تزوج فيها عائشة التي ولدت له ولداً ذكراً على أساس زاوج المتعة الذي لا يلزمه بأية واجبات معنوية أو مادية تجاه الزوجة[3].

وينبني الزواج على واجبات وحقوق وعلاقات تربط بين الرجل والمرأة وتسهم في استمرار حياتهما الزوجيّة، وهذه العلاقات تختلف من حياة زوجية إلى أخرى، والأصل فيها التفاهم والحوار اللذان يفرضان المودة والتراحم بين الزوجين، لكن القارىء لا يكاد يعثر على مثل هذه العلاقات إلاّ بشكل ثانوي بين ذكور الجيل الثاني وإناثه، لتعلّم كلا الجنسين وتحرّرهما من الكثير من القيود التي يفرضها عليهما المجتمع إلى حدٍّ ما، وبخاصّة إذا ما قورن بين الجيلين الأوّل والثّاني، فالرجل الذي انتمى إلى الجيل الأوّل لم يكن يعترف برجولة الرّجل إلاّ إذا كان قادراً على فرض سلطته على زوجته وإجبارها على اتباعه

---

[2] المصدر نفسه، ص5.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص ص287، 295.

سواء أكانت راغبة في ذلك أم لا، ففهد الرّشيد يكتفي بأن يشير إلى نسائه بإشارة سريعة، حتى يهرعن لتنفيذ أوامره دون نقاش، فهنّ على علم تام، بأنّ فهد لا يتورّع عن عقابهن إن تباطأت إحداهن في الإذعان له، ففهد كان يؤدّب زوجاته- غزالة وتمام وذهب- بالسبّ والشتم والتهديد والضرب، وغيرها من التصرّفات الاجتماعية العائلية العنيفة التي من شأنها قمع المرأة وإخماد تمردّها وإسكاتها، عندما تعلن غضبها من شيء ما[1]؛ فذهب عندما تتجرّأ على الصراخ بصورة لاواعية، خوفاً على أغنامها التي بحوزة فهد الرّشيد من الموت، في حضوره تعاقب بالضرب، وكأنها عبدة عنده لا زوجة يجب احترامها، على النحو التالي: «كان على فهد أن يتخذ إجراءً سريعاً فالتقط عصاه من الحجرة وعاد للمرأة التي تصرّ على رفع مستوى التحدّي، وراح يضربها كيفما اتفق وهي تفرّ من ضربات العصا التي لا تميّز رأسها من كتفها من قدميها، وقد صرخت مع كل ضربة، ولكنها في النهاية أنهكت وراحت تبتلع صيحاتها، وترتعش إلى أن تكوّمت ذليلة عند طرف البركة...»[2]، والقارىء على علم بأنّ نظرة يوجهها فهد الرّشيد إلى ذهب تكفي لإخماد ثورتها وإسكاتها عن الصراخ، دون الحاجة إلى الضرب المبرح الذي امتهن كرامتها وأذلّها جسدياً ونفسياً أمام أفراد الأسرة جميعهم، لا سيما أن المرأة منهكة من الألم النفسي الذي سببه زواج فهد الرّشيد لها ولزوجاته الأخريـات، على النحو التالي: «ذهب بكت حتى أنهكت فنامت كالذبيح، وجاءت تمام بأطفـال رابعة إلى حضنها، تحتمي بأبدانهم الدافئة الطرية... أمّا غزالة فظلّـت تأكل أعصابها طوال الليل وترهف السمع، ويخيّل

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

[1] انظر: لاهاي عبد الحسين الدعمي، العنف ضدّ المرأة، المجلة الثقافية، ع40، الجامعة الأردنية، 1997، ص108.

[2] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص225.

إليها أنّ أصواتاً تصدر من المجلس، وأن لسرير فهد وعروسه صريراً لا يحتمل...»[1].

وعلى الرغم من غضب زوجات فهد وألمهن وحسرتهن بسبب زواجه الرّابع، فإنهنّ يستسلمن لجبروته، ويكتفين بالمكائد فيما بينهن، ويتراكضن إلى كسب رضاه، فغزالة رغم معاناتها الداخليّة الشّديدة، وإحساسها المكبوت بعجز أنوثتها عن ردع فهد من الزاوج للمرّة الرّابعة، تستيقظ في الصباح الباكر، وتظهر رضاها وفرحها بهذا الزواج المبارك، حيث أعدت للزوجين إفطاراً منوّعاً، وحملته على طبق كبير من القش، ممّا أثار سخط أفراد بقيّة الأسرة فدمدمت ذهب الزوجة الثالثة قائلة: «هذي المذبذبة أخت عايش وشو اللي تساويه»، وقالت تمام الزوجة الثانية ساخرة: «وشوبيها ما هي متعودة ترقص كل ما تجوز زوجها من واحدة»، وقال أسعد أحد أبناء فهد الرّشيد: «غير أذبحها والله غير أذبحها»، لقد أثار زواج فهد الرّشيد حنق الأسرة زوجات وأبناء دون أن يفكّر فهد الرّشيد بانفعالاتهم وآلامهم، فهو يؤمن أنّ له الحقّ بأن يفكّر ويقرّر ويفعل ما أراد، دون أن يتدخل به أحد[2].

وبناءً على ما سبق من إشارات تدلّ على تعقّد شخصيّة فهد الرّشيد وتسلّطه، وفلسفته الخاصّة بالرجال، يدرك القارىء سبب سخريته من ابن عمه سالم الرّشيد الذي يفسح المجال لزوجته في المجالس لتبدي رأيها، وتعمل على توجيهه ونصحه لما فيه الخير لها ولأولادها، فعندما ذكّر فهد الرّشيد سالم أن يفي بوعده بتزويج ابنه سامر لرابعة، رفضت المرأة رضوخ زوجها لمطالب فهد، على النحو التالي:

---

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص223.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص224.

«(أم سامر): اسمع يا أبو نصر... أنت رجال فهمان وبتعرف أن الزواج قسمة ونصيب ورابعة يبعث لها النصيب المنيح.

(فهد): الكلام كان كلام رجال... أنا ما لي حكي مع النسوان

(أم سامر): شوها الحكي... بلا حكي رجال بلا حكي نسوان، بصراحة ابني غير شكل، متعلّم ومش معقولة...، إنت بترضاها إنه يتزوج واحدة ما بتعرف تفك الخط»[1]، لكن فهد الرّشيد الذي تعوّد أن يشير فقط، لتنفيذ أوامره، يغضب غضباً شديداً، ويسخر من ابن عمه سالم الذي لم يعد يراه إلاّ جباناً لا يستحق الانضمام إلى الرجال، كما أنه أخذ يشتم زوجة سالم بقوله: «هذي آخرتها، نسوان هاملات يحكن والرجال قاعد مثل الخيخة لا من ثمه ولا من كمه... الحق عليّ أنا اللي فكرت أعمل سامر زلمة وأناسبه، قلت كيف ما يكون بظلّ لحمي ودمي وبنحط خبزتنا على جبنتنا، لكن انهان وأبو قرون ساكت... آخ...»[2].

ويبدو أنّ الأبناء الذكور وبخاصّة غير المتعلمين، يتوارثون عن آبائهم إضافة إلى المال والأراضي والبيوت، السلوكات والتصرفات الخاصة بمعاملة النساء، فكلّ من محمد نصر وأسعد وعدنان أبناء فهد الرّشيد، يجمع بينهم حبّ المال وترك التعليم والعمل في سنّ مبكرة والعنف مع النساء، فمحمد نصر لا يتورّع عن ضرب الجميع[3] وأسعد يحاول التسلّط على حسناء زوجته التي تتمرّد عليه، فلا تسلمه نفسها، إلى أن يضعف ويطلقها[4]، وعدنان نجده يطرد

---

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص117.

[2] المصدر نفسه، ص118.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص129.

[4] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص166.

زوجته التي أحبها، وكان زواجه منها تمرّداً على أسرتيهما من أجل المال والتمثال الذهبي[1]. وكذا ابن عمهم أحمد الرّشيد، فهو يشاركهم الصفات نفسها، ولا يؤدب زوجته رباب إلاّ بالشتم والتهديد والصراخ والضرب دون أن يتدخّل أحدهم للدفاع عنها[2].

والقمع الجسدي النفسي لم يكن الأسلوب الوحيد الذي عنيت الكاتبة بالإشارة إليه، فالكاتبة تعنى أيضاً بتصوير رغبة الرجل غير المعلنة في السيطرة على المرأة وامتلاكها دون الحاجة إلى قمعها جسدياً بالضرب والإذلال، فإحسان الرجل الطموح إلى السيطرة على كل شيء حتى زوجته، يعمل على تملّكها وتحريكها كأنها دمية خاصة به فهو لا يدللها إلاّ بقوله: قطتي الجميلة[3]، ويقنعها بكلامه المعسول المقنع بضرورة ترك الجامعة، والحفاظ على أنوثتها التي لا تثبت إلاّ بالإنجاب، فنادية الفقيه تقول في سياق تذكرّها لسنوات زواجها العشر من إحسان الناطور: «عشر سنوات تزوجنا وأنا أفعل ما يريد، كان يشككني، ويستحثني تمنيت لو أستطيع غرس جنينه في بطني بيدي، ولم أعد أفكر إلاّ في إثبات قدرتي على الأمومة، وبعد شهور من القلق واللهفة، أكد الطبيب حملي فاستراح كلانا... وعندما أكدت أنوثتي أمامه عدت للكتاب لأعوض السنة الدراسية الضائعة، ولم يتركني حين أنغمس فيه كان إحسان يزداد حناناً وتوداً، ويبدأ في اختلاق ما يشغلني، ثم أصرّ أن أحمل قبل موعد الامتحان بشهور، فضيعت عاماً آخر»[4]، وإحسان صاحب الشّخصيّة المزدوجة الذي يدّعي حبّ نادية الفقيه، وهو في الوقت نفسه يخونها مع امرأة أخرى[5]، لا يكتفي بإقناعها

---

[1] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص226.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص110.

[3] ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص7؛ إبراهيم السعافين، الرّواية في الأردن، ص70.

[4] ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص52.

[5] انظر: المصدر نفسه، ص152.

بترك الدراسة وقراءة الكتب غير المفيدة بل ويعمل على التحكّم بمزاجها وبما تحبّ وتكره، فهو يفرض عليها أنواع العطور التي يجب أن تستخدمها، ويملي عليها الألوان التي يحبها، على النحو التالي: «أنا لا أحبّ اللون الوردي، ولا أريد أن تلبسيه

- ولكنه لوني المفضّل

- وأنا لا أطيقه. أوليس ما تلبسينه من أجلي»[1]، لقد تعمّد إحسان الناطور السيطرة على نادية الفقيه، من خلال إعلانه عن محاربة كلّ ما تحب؛ كالكتب والعلم والقراءة والألوان والملابس حتى تبقى خاضعة له عاملة بنصيحة الأعرابيّة التي أوصت ابنتها بقولها: «ولا تعصي له أمراً»[2]؛ لكن ثقافة نادية، ومعرفتها بأنها ليست أنثى وظيفتها الإثارة والإنجاب فقط، دفعتها إلى أن تدرك ضرورة التمرّد والخروج عن طاعة زوجها إحسان الناطور وغيره من الرّجال حتى جلال الذي كانت تتصوره رجلاً مستقيماً يقدر إنسانها الداخلي، فهي تعلن تمرّدها في تحاورها مع نفسها، على النحو التالي: «لَسْتُ امرأتهم لست امرأة أحد! تخيلت جلال أقدر على لمس إنساني الداخلي، أنه يشفّ حتى قَدْر أن يرى ذلك الرابض في أعماقي بلا جنس فيتواصل معه، فإذا أنا له امرأة أنثى... وهو رجل... أنا نادية الفقيه، لا يستطيع أحد أن يعرفها أو يملكها... بل أنا منذ هذه اللحظة أملك نفسي وسيرون وجهي الذي لا يعرفون»[3].

وتمرد نادية ورفضها، لأن تكون مجرّد دمية لم يكن مفاجئاً، فنمو شخصيتها وتحوّلها الجذري من امرأة مطيعة لا تدرك حقوقها إلى امرأة يقظة

---

[1] ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص ص113، 114.

[2] المصدر نفسه، ص114.

[3] ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص128.

واعية، مهدّت له الكاتبة في تصويرها للبعد الداخلي للشّخصيّة[4]، فالقارىء يلحظ ثورات نادية الفقيه الداخلية على واقعها الدوني الذي يختزلها في امرأة تحقّق رغبات الرجل وأوامره فقط، في مواضع مختلفة من الرواية، فالكاتبة تصرّ على سبر أغوار نادية الفقيه وأعماقها مصوّرة صراعاتها الداخليّة التي تحاول ردعها عن الانصياع المتواصل للرجل[1]، بالإضافة إلى أنّ التطوّر في شخصيّة نادية الفقيه لم يكن دفعة واحدة، وإنما تحقّق لها ذلك النمو بالتدريج، فهي تعلن بدايةً تمردّها على الكلمات التي كان يدللها بها إحسان الناطور زوجها، على نحو ما جاء في الحوار التالي: «صار وراءك ثلاثة أولاد وما زلت تخجلين كعذراء، يجب أن تتغيري، لأنّ حياتنا ستتغيّر أيتها القطة الجميلة.

دفعت بيده من على ذقنها بعصبيّة: إحسان أرجوك، لا تقلّ أبداً قطتي الزفت افعل ما تريد دون أن تدخلني في حساباتك»[2].

ومن مظاهر تمردّها على زوجها وأشكاله الصمت دون التكلم معه بل وتتعمد إهماله[3]، من ثم النقاش الحادّ الذي يوحي بالغضب، وينتهي بالخصام لأيّام عدّة[2]، من ثم نجدها تعود إلى مزاولة كل ما يكره، القراءة والعطور والألوان وبخاصّة لونها المفضّل الوردي[4]، كما أنها تصرّ على السفر والعودة إلى الدراسة في لندن، والعمل على تأسيس شركة تجارية خاصّة بها رغماً

---

[4] انظر: أحد عرفات، صورة المرأة في النص النسوي، ليلى الأطرش نموذجاً، ص141؛ إبراهيم السعافين، الرّواية في الأردن، ص70.

[1] ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص ص42، 43، 111، 126، 128.

[2] المصدر نفسه، ص43.

[3] انظر: ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص42.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص81.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص115.

عنه[5]، عندها أيقن إحسان تمرّد نادية، وقرارها بأن تكون هي لا زوجة إحسان الناطور وأنثاه، فقد اعترف إحسان بنفسه كم تغيّرت نادية الفقيه، وأصبحت ممتلكة لنفسها، قادرة على اتخاذ القرارات الفاصلة في حياتها وحدها، دون تدخّل أحد، وبخاصّة بعد أن اكتشفت خيانته مع امرأة أخرى[6].

لقد باتت الكاتبة الأردنية قادرة على الغوص في هموم الرجل والمرأة وحياتهما الخاصّة والعامة التي يترتب على نجاحها تربية الأجيال القادمة وتوجيهها توجيهاً سويّاً خالياً من النظرة العنصرية الموجهة لأحد الجنسين، فهذه الأجيال هي التي ستكمل مسيرة الحياة، وتعمل على تنمية المجتمعات وبنائها، وفقاً لما توارثته من عادات الأجيال السابقة وتقاليدها.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[5] انظر: المصدر نفسه، ص137.

[6] انظر: المصدر نفسه، ص ص98- 200.

–

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الباب الرابع: الدراسة الفنيّة للشخصيّة:

الرّوائي الأردنيّ لا يختلف عن غيره من الرّوائيين الذين وجدوا في الواقع المادّة الأوليّة الخام الّتي يستلهم منها شخصيّاته، فيمنحها شكلها الخاصّ، وسماتها المميّزة، وحياتها الرّوائية من ملاحظاته المباشرة في الحياة المحيطة به، أو من قراءاته في صحيفة من الصحف أو كتاب من الكتب، من هنا يمكننا القول بأنّ شخصيّات الرّواية الأردنيّة إمّا شخصيّات خياليّة هي في الحقيقة مزيج من واقع الكاتب اليومي وخياله متمثّلة في الشخصيّات الرّئيسة والثّانوية، المؤثّرة في الحدث والمتأثّرة به، وإما شخصيّات واقعية حقيقيّة، يستمد الكاتب وجودها من الواقع كما هي، متمثلة بالشّخصيّات الإعلاميّة مثل أحمد سعيد في "وقت"، وأخرى فنيّة مثل عبد الحليم في "الجبل الخالد" وأم كلثوم في "عمّان ورد أخير"، وفان كوخ في "الخشخاش" وزوربا اليوناني وبتهوفن وموزارت في "ماري روز"، وشخصيّات تاريخيّة عاد الكاتب من خلالها إلى تاريخ عالمه العربيّ السّياسيّ والأدبيّ، مثل أبي عبد الله الصّغير في "الحياة على ذمّة الموت"، والأصمعي في "رؤيا"، وشخصيّات لها مكانتها الدينيّة مثل أبي حنيفة النعمان وأحمد بن حنبل في "رؤيا"، وشخصيّات سياسيّة استمدها الكاتب من الرموز القياديّة الواقعيّة مثل جمال عبد الناصر في "وقت"، ورشيد عالي الكيلاني في "بيت الأسرار"، وجلالة الملك عبد الله ونجله الملك طلال وحفيده الملك حسين في "شجرة الفهود"، وإما شخصيّات أسطوريّة تردّ إلى الأساطير والحكايا الشعبيّة المختلفة مثل (سوسروقة) وستناي وغيرها في "الخروج من سوسروقة" والشاطر حسن والمهلهل وأبي زيد الهلالي والزيـــر سالم في روايتي "وقت" و"رؤيا"، وهذه الشّخصيّات تمثّل ذاكرة تاريخيّة،

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز الإيداع الرسائل الجامعية

تعود الشّخصيّة من خلالها إلى أمجاد الزمن الماضي[1]، فتفخر به أو تجد فيه عزاء عن الواقع المتردّي، الّذي تعيشه نتيجة للصراعات السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة الّتي يحياها العالم بأسره على الصعيدين الفنّي والواقعيّ في الوقت الحاضر.

والكاتب الأردنيّ كان نادراً ما يكشف السّتار عن شخصيّات عمله الرّوائي دفعة واحدة، بل على العكس فقد كان يقدّمها تدريجيّاً وفقاً للوظيفة الّتي تؤديها الشّخصيّة في البناء الرّوائي، فبينما يعلن قسم من الروايات عن بعض شخصيّاته المشاركة في الحدث من العنوان، على نحو "ماري روز تعبر مدينة الشمس" لقاسم توفيق"، و"حواء" لهزاع البراري، و"مجدور العربان" لرفقة دودين، و"امرأة للفصول الخمسة" لليلى الأطرش، تعلن روايات أخرى عن بعض شخصيّاتها من السّطور الأولى للعمل الرّوائي، على نحو ما افتتح به قاسم توفيق روايته "عمّان ورد أخير"؛ إذ قدم على لسان راويه ضمير الغائب شخصيّة أحمد أولى شخصيّاته الرّئيسة «تجاوز أحمد صحن الدار»[2]، وتعلن روايات أخرى عن شخصيّاتها تبعاً للتقسيم الّذي يتبعه الكاتب في عنوانات فصول روايته؛ على نحو ما رأينا في رواية "بيت الأسرار"، فكلّ فصل من فصولها يحمل اسم شخصيّة من شخصيّاتها الرّئيسة باستثناء الفصلين الأول والأخير، فقد جاء ترتيب فصولها على النحو التالي (مفتتح، البيك، ست الحسن، دحام، الطوفان)، وتعلن روايات أخرى عن شخصيّاتها بعد مفتوح يصف مكاناً أو زماناً أو حادثة ما على

---

[1] انظر: ناصر يعقوب، التجربة الرّوائيّة عند جمال ناجي، ص83.

[2] انظر: ص9.

نحو ما رأينا في "ورقة التوت" لقاسم توفيق[3]. ومن هنا فقد كان لكل كاتب وكاتبة أسلوبه الخاصّ في عرض شخصيّاته والتّعريف بها، إلاّ أنهم اشتركوا في أساليب ووسائل متعدّدة للكشف عن شخصيّاتهم وتقديمها؛ لتبدو متسقة متوازنة في ملامحها الدّاخلية والخارجيّة.

الاسم[1]:

يعدُ الاسم الّذي يمنحه الكاتب للشّخصيّة في العمل الأدبي نوعاً من أنواع البعث وخلق الفرد[2]، ويبدو أنّ معظم الكتّاب الأردنيّين آمنوا بهذه القاعدة، فانبروا يمنحون شخصيّاتهم أسماء تدلّ عليها، وتحدّد أولى معالمها وسماتها الخاصّ، باستثناء سميحة خريس في روايتها الخشخاش؛ إذ تترك للقارىء اختيار اسم أو صفة يلصقها بشخصيّاتها لتمييزها الواحدة عن الأخرى، كما فعل هاشم غرايبة في دراسته لهذه الرواية الّتي تريد شخصيّتها الرّئيسة الهلامية (السيّدة، الراوية، بطلة الحكاية) كسر الروتين الّذي تعيشه يوميّاً، إضافة إلى رغبتها الشديدة في البحث عن ذاتها عن طريق كتابتها لرواية تحاول من خلالها التّعبير عن كوامنها النّفسيّة ومشاعرها الدّاخلية، بخلقها شخصيّة (الجنيّة، المرأة السمكة) التي تتوهم أنّها مختلفة عنها مع أنّها في الحقيقة تتطابق معها تماماً خاصّة في بعدها الدّاخلي[3].

ومع أنّ الكتّاب منحوا شخصيّاتهم أسماء إلاّ أنهم نوّعوا في استحضارها فجاء بعضها مفرداً مثل إبراهيم ومحمود ومروان في "أرض أكثر جمالاً"، وجاء

---

[3] انظر: ص ص5- 13.

[1] انظر: حسن بحراوي، ص247 وما بعدها.

[2] رينيه ويليك، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، ط3، المجلس الأعلى للفنون والأدب، 1974م.

[3] انظر: برد الواقع ودفء الفنّ، أفكار، عدد147، عمان، 2000، ص66، 67؛ الرواية ص22.

بعضها مركّباً من مقطعين أو أكثر مثل طلعت الأسمر ورشوان فكري وهاني الجابر في "ورقة التوت" وخالد أمين عبد السلام في "رحلتي"، ولعلّ السبب في ذكرها مركبة يعود إلى طبيعة التجربة الّتي ستخوضها الشّخصيّات؛ إذ كل منها تتعرّض إلى السفر والتعامل مع الدوائر الحكوميّة وأجهزة المخابرات المختلفة، وقد جاء بعض هذه الأسماء مرتبطاً بالمهنة الّتي تعمل فيها الشّخصيّة كحتّوم الممرّض في "وقت"، حتّى إنّ بعض الكتّاب اكتفوا بالإشارة إلى وظيفة الشّخصيّة فقط لتقديمها مثل (البويجي) في "عمّان ورد أخير" وبائع وبائعة الأزهار في "الخشخاش"، والكاتب يكتفي بالمهنة ليشير إلى الشّخصيّة لثانويتها وحضورها السّريع في النّص وللدلالة على مكانتها الاجتماعيّة بين الشّخصيّات الأخرى، ولما تشكّله المهنة من أهميّة في حياة الشّخصيّات وتطوّرها في العمل الرّوائي[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إضافةً إلى أنّ الكاتب اكتفى أحياناً بكنية الشّخصيّة، لتتناسب مع مكان الحدث، وعمر الشّخصيّات فيه، كأبي سليم وأم سليم وأبي نبيل الجسر... وغيرهم من سكّان المخيّم في رواية "وقت"، واكتفى أحياناً أخرى بالربط بين الشّخصيّة وبلدها الأصلي وبخاصّة الأجنبيّة، مثل المدلكة التايلندية وأوروتنيسا الإسبانيّة في "الحياة على ذمة الموت" وحسين المصري في "الغربان"، واكتفى كذلك بالإشارة إلى المكانة الاجتماعيّة المرموقة أو المتدنيّة للشّخصيّة مثل البيك عيسى ودحام القاروط في "بيت الأسرار" وطويل العمر في "امرأة للفصول الخمسة"، مثلما أنّ الكاتب اكتفى أحياناً بالربط بين الشّخصيّة وأصلها (نسبها) الحقيقي مثل سبلو الغجري في "مخلّفات الزوائع الأخيرة".

---

[1] انظر: ناصر يعقوب، التجربة الرّوائية عند جمال ناجي، ص83.

والكاتب كثيراً ما كان يتندّر في اختيار أسماء شخصيّاته، ممّا يدفعه إلى تعليل سبب تسميتها أو تفسيره، فعلى سبيل المثال يذكر راوي ضمير الغائب في "مخلّفات الزوابع الأخيرة" الدافع الّذي جعل شخصيّات الرواية، تطلق على نزار أبي خنجر هذا اللقب، ففي إحدى الليالي، استلقى نزار لينام، فإذا بحمار ينهق بصوت مزعج، فخرج إليه ليطرده بعيداً، لكنّ الحمار رفسه بحافره، فغضب نزار غضباً شديداً، وقام بغرز خنجره في بطن الحمار الّذي اندلقت أمعاؤه قبل أن يرتمي على الأرض ميتاً، فعرف السكّان بالقصّة فأطلقوا عليه هذا اللقب، حتّى إنّه «استقبل بعدها، بشيء من الارتياح لقب (نزار أبو خنجر) الّذي أطلقه السكّان عليه بعد تلك الحادثة»[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

ومن البديهي أنّ الرواية الواحدة لم تكن تركّز على أسلوب واحد في تسمية شخصيّاتها، بل كان الكتّاب والكاتبات ينوّعون في تسمية شخصيّاتهم مع اهتمام منهم بأسلوب أكثر من الآخر وفقاً للحاجة التّي يتطلّبها البناء الرّوائي.

ومن ثم يضع الكاتب للشخصية سمات خاصّة تميزها عن غيرها من شخصيّات العمل الأدبي، من خلال تحديد أبعادها الخارجية والاجتماعية والداخلية، فالكاتب يقدم للشخصيّة أوصافاً تظهر شكلها الخارجي وتمنحها شيئاً من الحياة، كأن يصف جمالها وطولها ولون بشرتها وملامحها...، على نحو ما جاء على لسان ناشخوه التي وصفت والدتها بقولها: «كانت امرأة باهرة الجمال بيضاء كقطعة من الثلج، شعرها كستنائي طويل بجديلتين تتمايلان دوماً على

---

[1] انظر: جمال ناجي، ص100.

صدورها أو تنهدل فوق أردافها، رشيقة نحيلة الخصر، عيناها واسعتان عسليتان... أنفها دقيق بطرف شامخ... شفتاها حمراوان كحبتي كرز ناضج»[2].

وأمّا البعد الاجتماعي، فيحدد الكاتب من خلاله وظيفة الشخصية ومركزها الاجتماعي وبيئتها التي تنتمي إليها وعلاقاتها المتشابكة مع غيرها من الشخصيات، على النحو التالي: «وهدى المغربي أحنت قامتها الطويلة لثقل الحياة وقلّة الحظ فتقوّس ظهرها قليلاً... سمراء حظها من الجمال قليل... ليس فيها ما يلفت النظر، تغطي شعرها بمنديل لم يتعلم أحد من إخوانها الذين تركوا الدراسة جميعهم لمعاونة والدها في مقهى يملكه في باب حطة...»[1].

وأمّا البعد الداخلي، فيشمل أفكار الشخصية وأحلامها وذكرياتها وآمالها وطموحاتها الخاصّة التي تتحكم في سلوك الشخصية وتصرفاتها وتمكنها من التحرّك في عالمها الروائي وفقاً للوظيفة التي ستؤديها في النّص، على نحو ما جاء في المنولوج التالي: «الإنسان في داخلي تململ، أحسسته يستيقظ، وإحسان يدفع بي إلى انحدار، أكره أن أكون غير نفسي، أن أبتسم دون أن أكون سعيدة، وأن أردد كلاماً لا أؤمن به، أن أقتل الوقت في أحاديث صالونات خاوية إلاّ من الزيف والنفاق، انتظرت من إنساني أن يصرخ أن يرفض الذهاب وأن يقف في وجه إحسان، وأحسسته يتراخى وإحسان يختفي وراء الباب»[2].

وعلى الكاتب أن يكون حذراً في تحديد هذه الأبعاد حتى تأتي الشخصية مقنعة في أفكارها ومنسجمة في تصرفاتها مع البيئة التي تنتمي إليها، فخليل الفلاح وعفاف ابنة الإقطاعي يقعان في الحبّ ويلتقيان بشكل مستمر عند شجرة

---

[2] زهرة عمر، الخروج من سوسروقة، ص26.

[1] ليلى، الأطرش، وتشرق غرباً، ص117.

[2] ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص45.

في بيت والدها لسنوات طويلة، كما أنهما يقرران الهرب خارج القرية للزواج دون أن يراهما أحد[3]، ممّا يدلّ على مبالغة الكاتب في محاولة إنجاح العلاقة التي تربط بينهما على حساب شخصياته وعلاقاتها المختلفة مع البيئة المحيطة بها، فالكاتب لا يصوّر تفاعل خليل وعفاف مع العالم المحيط بهما، فهما وحيدان بلا أصدقاء، يصورهما الكاتب وكأنهما خلقا وحيدين، فهما يتحابان ويهربان ويتزوجان دون عوائق تذكر، من هنا يمكننا التساؤل أيعقل أن يقيما دعائم هذا الحبّ لمدة طويلة جداً دون أن يراهما أحد في قرية صغيرة يكشف الناس فيها أسرار غيرهم بيسر وسهولة؟، وهل يعقل أن يقبل الوالد هروب ابنته دون محاولة للبحث عنها حتى ولو كانت يائسة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الشّخصيّات:

تتولى شخصيّة الرواي تقديم الشخصيات وبصورة مباشرة، يتضح فيها إقحام المؤلف نفسه تقديم الشّخصيّات بصورة مباشرة، يتضح فيها أحياناً إقحام المؤلف نفسه في الحكم على شخصيّاته، كما رأينا في "مخلّفات الزوابع الأخيرة"، عندما يقوم الراوي بتقديم شخصيّة جبر المثقّف بملامحها الجسديّة والنفسيّة والاجتماعيّة، دون أن يخشى المؤلف سماع صدى صوته في أثناء تقديم الراوي لهذه الشّخصيّة، حتّى إنّ الرّاوي يشير إلى رغبة الكاتب في ظهور هذه الشّخصيّة الموجودة مسبقاً في ذهنه[1]: «لا يعرف الغجر شيئاً عن تاريخ "نزار

---

[3] انظر: هزاع البراري، الجبل الخالد، ص ص24، 39، 55.

[1] انظر: ناصر يعقوب، التجربة الروائيّة عند جمال ناجي، ص96.

أبو خنجر"، أو "أبو سلمان"، أو ابنه سلمان، أو ابنه الآخر جبر الّذي ملّ انتظار دوره في هذه الرواية»[2].

وقد قدّم الراوي شخصيّاته في أحيان أخرى دون تدّخل من المؤلف بصورة مباشرة، إذ يترك للقارىء حريّة التّفكير والاستنتاج وإطلاق الأحكام، فعلى سبيل المثال يترك قاسم توفيق للقارىء حريّة انتقاد الشّخصيّات واتجاهاتها وتصنيفها دون تدخّل منه، فللقارىء أن يحكم بإيجابيّة هاني الجابر وتفانيه من أجل الوطن، وتمرّد طلعت الأسمر وركضه وراء الجاه والنفوذ والمال دون الالتفات إلى الوسيلة الّتي يتبعها في تحصيل ذلك، وسلبيّة رشوان فكري وخوفه الشديد من رؤوس السلطة، لدرجة أنّه يخشى مقابلتهم والجلوس معهم، ممّا يدفعه إلى النزول عند رغبتهم والخضوع لطلباتهم في تشويه الصورة الإيجابيّة النضاليّة، الّتي كوّنها هاني الجابر لنفسه طوال سيرته السّياسيّة التّطوعيّة الخالية من رائحة الخيانة الّتي ألصقها به طلعت الأسمر في "ورقة التوت"[1].

والراوي على نوعين، الأوّل راوي ضمير المتكلم، وغالباً ما يشارك في الحدث ويسهم في نموّه وتطوّره، إذ يتوحّد بشخصيّة من الشخصيّات، ويتكلم بضمير المتكلّم[2]، على نحو ما رأيناه في "ماري روز تعبر مدينة الشمس" و"الطريق إلى بلحارث"، و"حواء مرة أخرى"، و"مجدور العربان"، فكل من أحمد وعماد وصبحي وزياد شخصيّات رئيسة في الأعمال الرّوائية السّابقة، قامت برواية الأحداث وأسهمت بتقديم الشّخصيّات بنفسها.

---

[2] جمال ناجي، ص134.

[1] انظر: ص14، 53، 82.

[2] انظر: سعيد يقطين، تحليل الخطّاب الرّوائي، المركز الثقافي العربيّ، 1988، بيروت، ص291.

والثّاني هو راوي ضمير الغائب العليم الّذي يعرف عن العالم الرّوائي أكثر من الشّخصيّات المشاركة في الحدث، إذ يكتفي بسرد الأحداث وتقديم الشّخصيّات دون أن يشارك في الحدث أو يتأثر به[3]، كما رأينا في "ورقة التوت" و"تشرق غرباً" و"مخلّفات الزوابع الأخير" و"الجبل الخالد"، و"عمّان ورد أخير" و"رؤيا"، ففي كل من هذه الروايات، يتولّى الراوي تقديم الشّخصيّات وبخاصّة الشّخصيّة الرّئيسة الّتي تُعد وسيلة أساسيّة للوصول إلى الشّخصيّات الأخرى عن طريق علاقاتها المتشابكة بها، فمثلاً يقدّم الراوي بطل رواية "رؤيا" بقوله «زيد فتى متوسط الطّول، فائض الحيويّة، قوي البنيان... زيد يقول ما يفكّر به صراحة ولا يخشى أن يصرّح بأفكاره...»[4] من السطور الأولى للعمل الأدبي، حتّى إنّ النص يكشف عن أسلوب الراوي في تقديم شخصيّة زيد فهو يبدأ بوصف ملامحه العامّة، ثم يبدأ بذكر ملامحه الخاصّة الّتي تميّزه عن غيره من الشّخصيّات، كعشقه للحريّة وإيثاره للأحلام وانطوائه على نفسه وصمته المفاجيء وصبره على ابتلاع جمرات التجربة «الاعتقال السّياسيّ بعناد أصيل»[1].

وليس الراوي الشّخصيّة الوحيدة المسؤولة عن تقديم الشّخصيّات، فالشّخصيّات نفسها الرّئيسة والثّانويّة، يقدّم بعضها بعضها الآخر من خلال السّرد والوصف المباشر، كما رأينا في "مجدور العربان"، إذ يقدّم الدكتور زياد شخصيّة عبد المعين عبد الواحد الثّانويّة قائلاً: «بالأمس رأيت عبد المعين عبد الواحد، بالصدفة التقيته في أحد شوارع هذه العاصمة، وكان أمام دار

---

[3] انظر: المرجع نفسه، ص293.

[4] انظر: هاشم غرايبة، رؤيا، ص110.

[1] هاشم غرايبة، رؤيا، ص ص12، 21.

القضـــاء العـالي يلملم أطـراف ـ جاكيتـه ـ الأنيقـة وباليـد الأخـرى يحمـل حقيبـة دبلوماسيّة، تعنـي الكثيـر لأمثالـه مـن رجـال الحقـوق... أنـا تعرفـت إليـه فـوراً، انحناءة صغيرة، يبدأ بها كل خطوة أولى يخطوها»[2].

وتُقَدّم الشّخصيّات من خلال الحوارات الخارجيّة الّتي كانت تنشأ بين شخصيّة وأخرى سواء أكانت رئيسة أم ثانويّة، على نحو ما جاء في الحوار التّالي الّذي جرى بين ست الحسن ووالدها حول شخصيّة دحّام وعشقه للحريّة:

«ارتجفت ستّ الحسن، أزاحت يده من طريقها وهبطت الدرج مجتازة لحظة التردّد والخوف، لحقها البيك متهالكاً على الدرج أمسك ذراعها.

البيك: ارجعي... لا تفضحينا.

ست الحسن: الفضيحة! ... أي حدث أهون من التعفّن هنا.

- هل تسعين لإنقاذ راع لا يأبه له أحد؟
- بل أسعى إلى إنقاذ نفسي.
- لكنه دحام... قال والدها برجاء بعد أن عرف صلابة تصميمها.
- لن ينقذني من عفن بيتك الكبير إلاّ رجل كانت الشمس هوايته.
- ابنتي، حبيبتي، أقبّل رأسك، إنه الموت هناك.
- الموت هناك أفضل من الحياة هنا»[1].

يكشف الحوار عن تمرّد ستّ الحسن وتحطيمها للعادات والتّقاليد، الّتي كان والدها يجبرها على الانصياع لها، كما يصوّر انهيار الوالد وفشله أمام تصميم الفتاة على الانعتاق والتحرّر، حتّى ولو مع شخصيّة دحام البسيطة في ملامحها

---

[2] رفقة دودين، مجدور العربان، ص8.

[1] انظر: هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص131.

ومكانتها الاجتماعيّة والمعقدة في عشقها للحريّة، وكأن الحوار يكشف عن الصراع بين القديم المتمثل في أفكار الوالد والحديث المتمثل في أفكار الفتاة الشابّة وعشيقها دحّام رمز الحريّة والحياة السعيدة[2].

ومن أدوات الشّخصيّة في تقديم نفسها والشّخصيّات الأخرى، العمليات الذهنيّة المختلفة من ذكريات وتداعيات وأفكار وأحاسيس ومشاعر... تقدّم الشّخصيّة من خلالها ماضيها الّذي يشكّل أساس تكوينها النّفسي، وحاضرها الّذي يتأثّر إيجاباً أو سلباً بذلك الماضي المليء بالتجارب الحياتيّة المكبوتة البسيطة منها والقاسية[3]، الّتي لا بدّ أن تترك آثارها في سلوك الشّخصيّات، على نحو ما رأينا في "الطريق إلى بلحارث"، و"وقت"، و"أرض أكثر جمالاً"، و"عمّان ورد أخير"، و"حوّاء مرّة أخرى"، و"الغربان"، فالكتاب في الروايات السّابقة، كانوا يعمدون إلى ربط ماضي الشّخصيّة بحاضرها عن طريق الذكريات وعمليات التّداعي والمونولوجات الدّاخلية، بهدف الكشف عن الكيان النفسي لشخصيّاتهم الرّئيسة والثّانوية، والعمل على تقديم شخصيّات أخرى جديدة، أثّرت في الشّخصيّة وبنائها الداخلي دون أن يكون حضورها مباشراً ومؤثراً في الحدث، حيث يقتصر تأثيرها على الشّخصيّة صاحبة الذكريات فقط، ففي رواية "الغربان" مثلاً، يكون حضور كل من عوّاد والملازم ورتيبة وحنان وسعاد ووالدة حسن... ماثلاً في ذهن الشّخصيّات الرّئيسة الراوية للحدث فقط[1]، لدرجة أنّ القارىء يلاحظ غلبة الذكريات والتداعيات والحوارات الدّاخلية على الحوار

---

[2] انظر: أروى عبيدات، صورة المرأة في الرواية، ص151.

[3] انظر: روبرت همفري، تيار الوعي، ص20- 24.

[1] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص39 ص، 40، 44، 99.

الخارجي ممّا يؤكّد انقطاع الصِّلة بين عالم الشّخصيات والمحيط الاجتماعيّ الّذي تتحرّك فيه[2].

الأحلام:

يُعدّ الحلم تقنية من التّقنيات الّتي لجأ إليها الكتّاب لتقديم شخصيّاتهم، فالحلم يمثّل وسيلة، يمكننا التعرف من خلالها إلى مكنونات الشّخصيّة، ورغباتها المكبوتة، وديناميتها، وتأثير التربية فيها، وفي نموها سواء أكانت أحلام الشّخصيّة ليليّة أم نهاريّة، فما يهمنا هو تحليل الشّخصيّة والوصول إلى أعماقها ورغباتها المختلفة المكبوتة في اللاوعي[3].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والأحلام في الرواية الأردنيّة من التّقنيات الرّوائية الّتي يلجأ إليها الكتّاب لإبراز ملامح شخصيّاتهم الخارجيّة متمثّلة في أفعال الشّخصيّة وسلوكاتها، والدّاخلية المتمثّلة في الكشف عن أعماق الشّخصيّة وقلقها النفسي وأفكارها المتناقضة، فعلى سبيل المثال يقدّم جمال ناجي شخصيّة نوفل في "الحياة على ذمة الموت"، بطرق مختلفة إحداها الحلم الّذي يُظهر فيه تناقض الشّخصيّة بين اليقظة والحلم، ففي حالة الصحو يدّعي نوفل القوّة والسيطرة وعدم الخوف من الموت، وفي حالة النوم يكشف الكاتب عن انهيار هذه الشّخصيّة وخوفها الشديد المكبوت من انهيار عالمها باختفائها من الحياة، فالتزام نوفل بالرياضة والتدليك وتنظيم ساعات عمله ونومه، كان بدافع داخلي صدر من أعماقه لتخفيف وقع فكرة الموت على نفسه الّتي تدّعي السيطرة على كل شيء حتّى الموت، إلاّ أنّ التزامه

---

[2] انظر: محمّد سلام جميعان، الرفض والقلق والإدانة، ص113.

[3] انظر: عبد المنعم الحنفي، التحليل النفسي للأحلام، مكتبة مدبولي، ميدان طلعت حرب، 1996، ص219؛ وجان نويل، التحليل النفسي والأدب، ترجمة حسن المودن، 1997، ص23.

الصارم بنظام حياته لم يؤمّن له الحماية من الأحلام والكوابيس[1] الّتي كانت تطارده، ففي إحدى الليالي «رأى نفسه سائراً في طريق جليديّة طويلة، خالية من الكائنات والأصوات، طريق بلا شواخص أو معالم أو أي أثر للحياة، وحين تشقّق الجليد تحت قدميه، راعه أن لا وجود للأرض تحت تلك القشرة المتشقّقة! وإذ اتسع الشقّ تحت قدميه، سقط في هوّة عميقة مظلمة، فصاح من أحشائه بصوت أيقظه من كابوس ليلته العصيبة تلك»[2]، يكشف حلم الشّخصيّة عن خوف كبير تكبته الشّخصيّة في داخلها في حالة الوعي، وعند النوم يتكشّف هذا الخوف دون أن يعيقه وعي الشّخصيّة، فما الطريق الخالية من المعالم والحياة إلاّ رمز للطريق الّتي يمشيها نوفل في حالة وعيه، إذ تعدّ طريق النفوذ الّتي يجري وراءها خالية من معالم الحياة الحقيقيّة، لأنها مليئة بالزيف والنفاق والكذب والمحاباة، فبمجرد سقوط اللاهث خلفها، سيقبع وحيداً في هوّة مظلمة بالفعل، لأنّ كل مَنْ يدّعون نصرته سينسحبون من حياته الجديدة بسرعة ودون تفكير.

الرسائل:

تعدّ الرسائل واحدة من الوسائل الأدبيّة الّتي وظّفها الكتّاب في رواياتهم الأردنيّة[3]، لتقديم المزيد من الشّخصيّات أو الكشف عن سمات الشّخصيّة نفسها، ففي رواية "رحلتي" يقوم خالد بعد التحاقه بالجامعة في غير موطنه الأصلي، بإرسال رسالة إلى والدته، يشير فيها إلى أصدقائه الجدد الّذين يشكّلون فيما بعد شخصيّات تؤثّر فيه، وفي تنامي أحداث الرواية، حيث يقول «أسكن في حجرة متسعة تنتشر فيها أربعة أسرّة وأربعة شباب، عمر الّذي تعرفينه، والحقّ يقال إنّه

---

[1] انظر: نزيه أبو نضال، علامات على طريق الرّواية، ص145.

[2] جمال ناجي، الحياة على ذمة الموت، ص24.

[3] منى محيلان، التجريب في الرواية العربيّة الأردنيّة، ص92.

خدمني جدّاً وسهّل عليّ كثيراً من الأمور، ثم خيري وهو شاب يبدو تائهاً معظم الأحيان، ولكنه مهذّب ويدرس بجدّ واجتهاد، وهناك باسل وهذا دينمو الجميع. كثير الحركة، خفيف الظلّ ذكي ومتفائل جدّاً يذكّرني بأسامة في كثير من الأحيان»[1].

كما أنّ الرسائل نجحت في تحديد ملامح بعض الشّخصيّات الرّئيسة وأبعادها الاجتماعيّة والثقافيّة والسّياسيّة ومصائرها، على نحو ما رأينا في "الطّريق إلى بلحارث" و"ماري روز تعبر مدينة الشمس" و"الغربان"، ففي الأولى يقدّم الكاتب البعد الثقافي المتميّز الّذي شكّل جزءاً من شخصيّة عماد من خلال الرسالة الّتي أرسلتها إليه نادية[2]، وفي الثّانية يكشف الكاتب عن اتجاهات راسم السّياسيّة وإصراره على العمل من أجل وطنه حتى لو استمرت السلطات باعتقاله، كما أنّ الكاتب يشير إلى تغيّر انتماءات محمّد السّياسيّة، وبحثه عن مستقبل جديد بعيد عن السياسة[3]، وفي الرواية الثالثة يقدّم لنا الكاتب البُعد الاجتماعيّ من شخصيّة أسماء الّتي تعاني القهر والاستبداد بسبب والدها المتعصّب الّذي يحرمها من أبسط حقوق المرأة كالعمل واختيار الزوج المناسب الّذي ترى فيه شريكاً مناسباً لها[4]، بالإضافة إلى الرسائل الغراميّة التي كشفت عن الحبّ المتبادل بين حسن وفاطمة[5].

---

[1] سميحة خريس، رحلتي، ص32.

[2] انظر: جمال ناجي، ص63.

[3] انظر: قاسم توفيق، ص94.

[4] انظر: هزاع البراري، ص138.

[5] انظر: المصدر نفسه، ص ص28، 78.

وفي الوقت الّذي اتكأت فيه الروايات السّابقة على الرسائل في تقديم الشّخصيّات والكشف عن بعض ملامحها، استعاضت "عمّان ورد أخير" عنها باليوميّات والمقدّمات والاعترافات الّتي قدمّها أحمد الفوزان، واعترف فيها بحبه لفاتن وإعجابه بها، كما أشار فيها إلى انتماءاته إلى أحد الأحزاب المهتمة بشؤون العمّال، وإضافة إلى المقدّمة الّتي كتبها أحمد الفوزان[1] يعثر القارىء على أوراق كتبها مروان حامد الكفرواي، وهو أحد الشّخصيّات الرّئيسة الّتي تبرز في يوميّاتها شخصيّة الخال واتجاهاته السّياسيّة وأعماله النضاليّة واعتقالاته المستمرة الّتي كانت تشدّ من أزره في محاولة تحرير العالم وتغييره إلى الأفضل[2].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الأحداث الرّوائية:

تسهم الأحداث في خلق الشّخصيّات وحضورها وتحديد ملامحها الخارجية والداخلية والكشف عنها، فقد سبق أن أشرنا في بداية الدراسة، إلى أنّ الشخصيّات الرّوائية تصنّف بناءً على تأثّرها بالحدث وتأثيرها فيه، إلى شخصيّات نامية وأخرى مسطحة، وهو تصنيف اعتمده الكتّاب الأردنيّون في رواياتهم، فجاءت شخصيّاتهم إمّا نامية مؤثرة في الحدث ومتأثرة به، وإمّا ثابتة غير متأثرة بالأحداث بصرف النظر عن نموّ الأحداث وتطوّرها، فالشّخصيّة تبقى في تكوينها ثابتة من بداية النّص وحتّى نهايته، فهاجار في "مخلّفات الزوابع الأخيرة" نموذج للشخصيّة النامية، فبعد أن يقدّمها الراوي كطفلة فقيرة يتيمة مهملة تنمو شخصيّتها بالعمل

---

[1] انظر: قاسم توفيق، ص12.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص ص99 - 93.

وتتطوّر بنمو الأحداث المتمثلة في بناء المكان/ الوادي المقفر وتحويله إلى مدينة ضخمة وتتحول إلى امرأة ناضجة واعية، تتخذ موقفاً مستقلاً عن زوجها تجاه أكثر الأحداث أهمية وأكثرها تأزماً في الرواية، وهو التبليغ بضرورة ترك أراضي الوادي، فهي ترفض الخضوع لأوامر المالك الأصلي لأراضي الوادي، وترفض التنازل لرب عملها الّذي يحاول إجبارها على الاستسلام[1]، على العكس من زوجها عرقي الّذي يقدّمه الكاتب من البداية وحتّى النهاية، بليداً أنانيّاً متخاذلاً فارغاً، فبالرغم من التبدّل الّذي لحق مظهره الخارجي لعمله في الفندق، إلاّ أنّ تكوينه الدّاخلي يبقى خالياً من المشاعر والأفكار، فهمّه ذاته التوّاقة إلى مصلحتها، فهو يقف من أهل الوادي الموقف السّلبي الّذي قابل به أسرته، إذ يرفض مقاومة المالك الحقيقي – معروف المعروف – ويفضّل الانسحاب والرحيل عن الوادي ومراقبة الأحداث من بعيد دون التدخّل في تغييرها[2]، ممّا يؤكد ثبات شخصيته وعدم تأثرها أو تأثيرها بالأحداث المتمثّلة في التبليغ الّذي يفرض على السكّان ترك أراضيهم وبيوتهم والرحيل بعيداً عن الوادي، فما كان ينغّص عيش عرقي أنّ هاجار مصرّة على أن تظلّ زوجته، وأنها بهذا ترفض فكرة الخروج من الوادي، فهي دائماً تقول: «ولدت في الوادي وبيتنا، وشغلي، وقبر أمي في الوادي وسبلو أبي، الناس الّذين أعرفهم كلهم في الوادي»[3]. من هنا نجده في مرحلة متقدمة من الحدث يُسرّ كثيراً عندما يُبَلّغ بضرورة الرحيل عن الوادي «عرقي هو الغجري الوحيد الّذي اغتبط حال تسلّمه نسخته من

---

[1] انظر: جمال ناجي، ص ص 200، 231، 232، 285.

[2] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص ص130، 140، 205، 287، ناصر يعقوب، التجربة الرّوائيّة عند جمال ناجي، ص92.

[3] المصدر نفسه، ص140.

التبليغ، ولو لم ينتقل المحضرون إلى البيوت الأخرى، لـمّا فرغوا من الإجابة عن الأسئلة الّتي أمطرهم بها حينما أراد التأكّد من جديّة التبليغ»[4].

يكشف النصّان عن إصرار عرقي على الرحيل من الوادي سواء أكان ذلك باختياره أم رغماً عنه، فالرغبة بالابتعاد عن الوادي والانسلاخ عنه لازمته بصورة متكررة دون أن يتعاطف مع أي من ساكني الوادي حتّى ولو كان والده أو شقيقه[1].

المكان والزمان:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ارتأينا الجمع بين المكان والزمان في دراستنا لتلازمهما وترابطهما معاً برابط وثيق في التّأثير في الشّخصيّات، فالكتّاب عند إشارتهم إلى أثر المكان في الشّخصيّات غالباً ما يتبعون إشاراتهم بأثر الزمان فيها سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، على نحو ما رأينا في "حوّاء مرّة أخرى" و"رؤيا"، ففي الوقت الّذي يشير فيه السارد إلى ضيق المعتقل وقسوته وتأثيره على كيان الشّخصيّة، وبخاصّة تكوينها الدّاخلي، يشير مباشرة إلى إحساس الشّخصيّة الثقيل بالزمن لبطء تحرّكه وطول الانتظار:

«حياة السجن أضيق قليلاً من حياة الناس خارجه، ولكنها مزدحمة أيضاً، هنا نعدّ حبّات الخرز وأحجار النرد، ونحسب الزمن بدبيبه المتتابع فوق جلودنا... ومحدوديّة المكان إحساس سطحي أولي... فالإنسان يظلّ يفقد أشياء كثيرة هنا...»[2].

---

[4] انظر: المصدر نفسه، ص205.

[1] ناصر يعقوب، التجربة الرّوائيّة عند جمال ناجي، ص93.

[2] هاشم غرايبة، رؤيا، ص13.

ومثل هذا الترابط الذي يؤثر في بناء الشخصيات ويسهم في تغيير نمط حياتها الخاص نلحظه في "مخلّفات الزوابع الأخيرة"، فالمكان الفارغ الخالي من الناس المتمثّل بالوادي المهجور ملجأ اللصوص والخارجين عن القانون، يتحوّل بالتدريج بعد سنوات إلى مدينة ضخمة يتجمّع فيها السكّان والغجر الّذين فرضت عليهم الحياة في المدينة أن يغيّروا طريقتهم في الحياة، فأصبحوا يعيشون في بيوت مستقرّة من الحجارة والماء والكهرباء، ويعملون في الصناعة والتجارة والزراعة تاركين الحرف التقليديّة الّتي كان الغجر يتوارثونها أباً عن جد، فالكاتب يعمل على رصد التغيّرات الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والفكريّة الّتي فرضها المكان على الشّخصيّات بعامّة والغجريّة بخاصّة؛ إذ كان يحاول أن يراقب في روايته أثر التّحولات الاجتماعيّة في النمط الاجتماعيّ الواحد على الشّخوص[1]، إضافةً إلى أنّ تطوّر المكان أسهم في إفراز شخصيّات كثيرة بعضها أسهم في تغيير الأحداث مثل نزار الزقّي ومعروف المعروف، وبعضها لم يسهم في تغيير الأحداث، وإنما جاء به الكاتب لإكمال العالم المدني الّذي خلقه الكاتب، مثل رجال الشرطة والباعة وعمّال المقاهي وأبناء العائلات المختلفة مثل قتال الضبع والفسحات، وآل الطش، والهر، وأبو كتف، والفسيخات، وجبيلان... وغيرها من الأسماء الّتي أراد الكاتب من تعدادها الاقتراب من الواقع أكثر، حيث كان يذكر اسم العائلة ثم يفسّر سبب تسميتها، فآل قتال الضبع لقبوا بهذا اللقب، لأنّ واحداً من أجدادهم تمكّن من صرع ضبع في إحدى الطرق الزراعيّة،

---

[1] انظر: سليمان الأزرعي، تجليات المكان في مخلّفات الزوابع الأخيرة، رواية جمال ناجي، الرأي، عمان، ع9741، 9/ 5/ 1997م، ص11.

على غرار ما كان يفعل الناس في السنوات الماضية عندما كانوا يطلقون الألقاب على الجميع صغاراً كانوا أم كباراً[2].

لقد نجح الكتّاب الأردنيّون في موازاتهم بين الزمان والمكان، وتحديد آثارهما في نموّ الشّخصيّة وتطورها «فآلة الزمان تدور والمكان يفور، ولكل زمان مكان وجنود»[3].

اللغـة:

تعدّدت الأشكال اللغويّة التي وظّفها الكتّاب في رواياتهم، من أجل تقديم شخصيّاتهم بصورة أكثر حيويّة وواقعيّة، فقد استخدم الكتّاب الفصحى والعاميّة واللهجات والأمثال والشّعر والحكايا الشّعبيّة والأساطير...، في الكشف عن ملامح شخصيّاتهم وأبعادها الاجتماعيّة والثقافيّة والنفسيّة والسّياسيّة.

فالباحث يجد أنّ الكاتب يستخدم اللغة العربيّة الفصيحة في وصف الشّخصيّات على لسان السارد في معظم الروايات الأردنيّة، بينما وظفت العاميّة واللهجات على ألسنة الشّخصيّات نفسها في الحوار، للتمييز بين مستويات الشّخصيّة الثقافيّة والاجتماعيّة ولهجتها القرويّة أو المدنيّة وأصولها الأردنيّة أو العربيّة أو الأجنبيّة، فمثلاً توظّف اللهجة الخليجية على لسان الفديوي لتميّزه عن غيره من الشخصيّات في رواية "امرأة للفصول الخمسة"، فنجده يقول لإحسان في حديث له عن السيّارات: «أمّا السيّارات! يا أخوك. لو رأيت السيارة الأولى... أول سيارة "فورد أبوكَلَش" أحضروها شيوخ العود عساه في الجنة.

---

[2] انظر: جمال ناجي، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص111.

[3] هاشم غرايبة، رؤيا، ص75.

حمراء مزيونة، تفتح من فوق، ما ظل مخلوق في الديرة إلاّ خرج وعاينها»[1]، ومن الحوارات التي كشفت عن الشّخصيّات وأصولها، الحوار التالي الذي يدور بين عباس الشركسي ورجال عدنان السلطي الذين يصرون على إثارته، إذ كان يتحدث بلغة مفككة مكسرة، فيغيّر الحروف ولا يتمكن أبداً من ضبط قواعد التأنيث والتذكير ويغيّر معاني الكلمات التي يتحدث بها[2] والتي تشير إلى أصله غير العربي، فهو يقول:

«- انتو عرب غاروا منا شركس احنا حضارة، مخ أحسن

- وبنات أحلى، شعر أصفر وعيون زرقة

- شو بنات أحلى؟ عيب إحنا بنات أحسن أخلاق

- علي النعمة بتعطوني شركسيّة لأصير سلطان زماني

- يالا عباس زوجوه واحدة من قرابتك

- فشر... روح دور واحد فلاح مثلك»[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

حتّى إنّ الكتّاب لم يكتفوا بوصف لهجة الشّخصيّة على لسان السّارد في كثير من الأحيان دون أن يضعوها على ألسنة الشخصيّات نفسها على النحو التالي: «فازدادت المرأة ارتباكاً وهي تسأل السائق شيئاً بلهجتها الأمريكية فلا يفهم ما تقول... تذكر وجود هند فرجاها أن تحدّثها بالإنجليزية، قالت السائحة بإصرار:

- تشيرش أوف صِيرَ إن بيت أمان!
- كنيسة الصِيرفي في بيت أمان»[2].

---

[1] ليلى الأطرش، امرأة للفصول الخمسة، ص76.

[2] انظر: سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ص69.

[1] سميحة خريس، شجرة الفهود، ص70.

وقد مال الكتّاب إلى استخدام ألفاظ ذات إيحاءات علميّة أو دينيّة أو سياسيّة للتمييز بين شخصيّة وأخرى، على نحو ما رأينا في "وقت"؛ فالألفاظ الدينيّة والآيات القرآنيّة وظفت على لسان والد فتحيّة المتميّز بدينه عادةً، كما في الحوار العامي التالي الّذي قدّمت فيه شخصيّة والد نبيل الجسر «أبو منير أنا لازم أبط الدمّل وأحلف يمين أنّ "أبو نبيل الجسر" ما تريش إلاّ بعد ما بلّغ عن حماد العتيق. وأيدته أم فتحيّة.

- هذا الحكي صحيح.

أبو فتحيّة: يا جماعة لا تحطو برقبتكم العلم عند الله.

أبو منير: أي وحياة هذا الشنب (أمسك شاربه) ما بلّغ عنه غير "أبو نبيل" أقولها ورزقي على الله، وإلاّ كيف اكتشفوه يا "أبو فتحية"، ها؟

أبو فتحية: اسمع يا "أبو منير" لازم نحط قدّام عيوننا حسن النيّة، لأنّ بعض الظن إثم»[1].

كما أنّ الكتّاب مالوا إلى تقديم شخصياتهم من خلال توظيف الأغاني الشعبيّة[2] والشّعر العمودي والحديث[3]، فهزّاع البراري مثلاً يستهل روايته

---

[2] ليلى الأطرش، وتشرق غرباً، ص134.

[1] انظر: جمال ناجي، وقت، ص54.

[2] انظر: قاسم توفيق، عمّان ورد أخير، ص12؛ قاسم توفيق، أرض أكثر جمالاً، ص50؛ هاشم غرايبة، المقامة الرملية، ص ص21، 146؛ هزاع البراري، الجبل الخالد، ص55؛ رفقة دودين، مجدور العربان، ص52؛ جمال ناجي، وقت، ص25.

[3] انظر: رفقة دودين، مجدور العربان، ص33؛ قاسم توفيق، عمّان ورد أخير، ص75؛ سميحة خريس، الخشخاش، ص5؛ قاسم توفيق، أرض أكثر جمالاً، ص9؛ هزاع البراري، الغربان، ص7؛ هاشم غرايبة، المقامة الرملية، ص ص58، 81، 158، 111، 177، 237.

"الغربان" بأبيات شعريّة اقتبسها من إيليا أبي ماضي، تحكي حال شخصيّات روايته "الغربان" وتصوّر حالهم المتردّية في واقع ضاعت فيه قيم الأشياء ومعانيها، على النحو التالي: جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت؛ ينطبق هذا البيت مع شخصيتي نعيم وفاطمة اللذين لا يعرفان قصّة ولادتهما الحقيقيّة[4].

ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت؛ ينطبق البيت على أم نعيم الّتي تضطر إلى استبدال المولود الذكر بابنتها الأنثى خوفاً من عقوبة المجتمع الّذي يرفض إنجابها للإناث، وعلى كل من عيسى وسعاد اللذين ساعدا أم نعيم على استبدال مولودتها طمعاً في المال الذي يسهل زواجهما[5].

وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيت؛ ينطبق هذا البيت على أمّ ياسر الّتي يتم استبدال مولودها الذكر بأنثى دون أن يكون لها علم بذلك، فتحتضن الأنثى، وتربيها على أنّها ابنة لها[1].

كيف جئت، كيف أبصرت طريقي... لست أدري، ينطبق هذا البيت على كل من حسن ونعيم اللذين يأتيان إلى الحياة بصورة غير مألوفة، فالأوّل يكون ثمرة لزواج الإكراه الّذي وقع بين محمّد وعلية، والثاني يكون ثمرة لأسرة بسيطة يتم سرقته منها لصالح أسرة ميسورة، فيضطر كل من حسن ونعيم أن يسيرا إلى قدر غير معلوم؛ كما هي الحال مع فاطمة[2]، الّتي تشير في أكثر من موضع إلى غرابة وجودها، إذ تقول مثلاً «أنا لست أنا، ووجودي وهم، طيف،

---

[4] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص7؛ محمد سلام جميعان، الرفض والقلق والإدانة، ص107.

[5] المصدر نفسه، ص107.

[1] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص124؛ محمد سلام جميعان، الرفض والقلق والإدانة، ص107.

[2] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص ص40، 45، 157؛ محمد سلام جميعان، الرفض والقلق والإدانة، ص108.

امرأة ليس لها وجود. هل أنا موجودة فعلاً؟؟ وهؤلاء الناس، هل يشعرون بوجودي؟!!»[3].

وإضافة إلى استخدام الأبيات الشعريّة، فإنّ الكتّاب كانوا يستخدمون اللغة الشعريّة الّتي عبّرت عما في داخل الشّخصيّة وأعماقها المتناقضة وذاتها المعذّبة المفتتة نحو «أقفل الباب وراءه بشكل حزين، وبقيت أسمع صدى كلماتي، شظايا مغلقة تمزّق كل شيء، ثم حرّكت السّتارة الساكنة سكون الراهبات، فكانت صورته وهو يركب سيارته الفارهة كحلم غامض، ينسحب من الذاكرة كأواخر الغبار... فوجدت رأسي يصطدم بزجاج النافذة، والدموع الحارّة تنفجّر مثل انسكاب المطر بعد دويّ الرعد، وأظلمت نفسي، حتّى شعرت بأنني أختنق»[4].

ونلمح اللجوء إلى اللغة الشعرية بصورة واضحة في الجزء الثاني من شجرة الفهود، إذ تقدم الرّواية بلغة شعرية عالية، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات الرّواية من العبارات الشعرية، كأنها قصيدة[1]، ففريدة الشخصية الرئيسية التي أورثتها الكاتبة عشقها الشديد للمكان الأردني ومشاعرها المتدفقة نحوه أينما كانت[2]- تقدم حكايتها مع المكان وساكنيه/ الهضبة والفهود من خلال الذكريات والتداعيات وتيارات الماضي الذي ترك آثاره في بناء الشخصية وتكوينها النفسي، فهي تقول: «ليست الحياة التي عشتها ورقة بيضاء مسطحة كما خيل لي زمناً طويلاً، إنها أشدّ حرارة وأكثر عنفواناً ممّا أظن، تنبعث الأشياء الصغيرة التي غابت ردحاً، فتطرح روحي وتشدّ وجدي، وتمسحني بروائح

---

[3] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص ص13، 25، 199.

[4] انظر: هزاع البراري، الغربان، ص12؛ محمّد جميعان، الرفض والقلق والإدانة، ص107.

[1] انظر: طراد الكبيسي، قراءات نصية في روايات أردنية، مطابع الدستور التجارية، عمان، 2000، ص153.

[2] انظر: سميحة خريس، سوسة تدعوني للشهادة، الملتقى الثالث للمبدعات، ص ص145- 146.

الأرض والناس، تطلّ الوجوه والتفاصيل العتيقة، فتزاحمني في كلّ خطوة وتترك بصماتها فوق كياني»[3].

كما أنهم وظّفوا آيات القرآن الكريم وقصصه، فهاشم غرايبة يكثر من توظيف القصص القرآني في روايته "رؤيا"[4]، فنجده مثلاً يقرن حال المعتقل في السجون بحال قوم يأجوج ومأجوج، فكل منهما يتشبث بأمل الخروج من المأزق كالسجن والسدّ المنيع، فالسجناء يتمنون تحقّق فكرة العفو الّتي لا تأتي، وقوم يأجوج ومأجوج مشغولون في لحس السدّ وتذويبه الّذي لا ينتهي أبداً[5]، على النحو التالي: «هنا يترهل الناس وتتبلد أحاسيسهم، لا عمل للناس إلاّ النوم والأكل والأحاديث الفارغة، الّتي عادةً ما تحوم وتدور ثم تعود لتصبّ في طاحونة (العفو)... هذا المخدّر الّذي يجترّه السجناء باستمرار حتّى يصير الأمل في الإفراج بعد أيّام طويلة من المراودة والمطاردة والإلحاح، سراباً لا أحد يجرؤ على الاعتراف بزيفه، كيأجوج ومأجوج الّذين يلحسون سدّهم الفولاذي بألسنتهم ليل نهار، حتّى يصير رقيقاً كورقة، ولحظة يتأهبون للاندفاع خارج السور، تعود للسدّ سماكته ويعاودون لحسه بألسنتهم... لا السدّ منهار ولا الألسنة تكفّ عن العمل»[1].

أمّا أقوال رسول الله وحكم أصحابه، فقد وظفت في الرواية أيضاً لخدمة الشّخصيّة وإظهار ملامحها وصفاتها المميّزة، فعلى سبيل المثال يقدّم الكاتب شخصيّة راسم وأمنياتها على لسان راوي ضمير المتكلّم/ أحمد: «راسم هذا

---

[3] سميحة خريس، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ص10.

[4] انظر: هاشم غرايبة، ص ص14، 44، 46، 49، 50، 64، 71، 77.

[5] أحمد الزعبي، التناص التاريخي والديني، ص184.

[1] انظر: هاشم غرايبة، رؤيا، ص ص13- 14.

يتمنّى: لو أنّ الفقر رجل لقتله، من يعرفه يبصر فيه مخلوقاً يحلم بالسلام بالراحة، بالرجوع آخر النهار إلى بيت فيه أم وأب وأطفال لا يخافون اليوم التالي»[2]، لقد قرن الكاتب حال راسم بعمر ابن الخطّاب في شجاعته وقوته وعدله، وفي الوقت نفسه في عطفه وحنانه وإصراره على إحقاق الحقّ ونشر الأمن في كل مكان.

وأمّا الحكم والأمثال الشعبيّة، فقد شغلت حيّزاً كبيراً من الرواية الأردنيّة، فالباحث يجد لها أصداءً في روايات عديدة[3]، وأكثر هذه الروايات ظرفاً في استخدام الأمثال الشعبيّة من أجل الكشف عن ملامح الشّخصيّة ظاهرها وباطنها رواية "وقت"، إذ يقدّم الراوي ملامح شخصيّة أبي سليم بصورة ساخرة، فبعد تقديم الراوي شخصيّة أم سليم السّلبية في أخلاقها على ألسنة بعض الشّخصيّات يكتفي بقوله عن أبي سليم «طنجرة ولقيت غطاها» فهو يناسب في صفاته زوجته المتسخة دائماً والمنفوشة الشعر والمندفعة لنفسها وللآخرين[1].

وأمّا الحكايات الشعبيّة، فقد وظفت على نطاق واسع في الرواية الأردنيّة، بهدف المقاربة بين شخصيّاتها وشخصيّات الرواية ومواقفها، فابنة الغول في "بيت الأسرار" لا تختلف عن ستّ الحسن، فكلاهما عانت ظلم الأبّ وسطوته، ومن ثم أعلنتا التمرّد على الاستبداد الّذي تعرضتا له من قِبَل الوالد المتسلّط الّذي يحرم ابنته من حريّة الحركة في العالم الفسيح[2]. وبالطريقة نفسها يمكننا الربط

---

[2] قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشّمس، ص56.

[3] انظر: جمال ناجي، وقت، ص ص17، 20؛ هزاع البراري، الغربان، ص69؛ هاشم غرايبة، رؤيا، ص23؛ رفقة دودين، مجدورالعربان، ص ص39، 41؛ هاشم غرايبة، بيت الأسرار، ص87.

[1] انظر: جمال ناجي، وقت، ص20.

[2] انظر: هاشم غرايبة، ص ص82، 84، 94.

بين شخصيّة ماري روز وهيام في الحكاية الشعبيّة الّتي ترويها الأم في رواية "ماري روز تعبر مدينة الشمس"، بصورة تدريجيّة تتقاطع خطوطها مع خط حكاية أحمد- هيام والخطوط الأخرى في الرواية[3]، فكل من ماري روز وهيام تقع ضحية المجتمع والرجل الّذي يقلّل من شأن المرأة، ويحدّ من حرّيتها، ويحرّم عليها الاختيار، فالأولى تقتل نفسها خوفاً من كليب الّذي يريد الزواج منها غصباً، والثانية تكاد تتعرّض للقتل، بسبب إجبارها على إجهاض جنينها غير الشّرعي، لأنّ كل من في المدينة واقف في وجه هذا الصغير ما عداها هي (هيام)[4]، وكذا يقرن الكاتب بين الفارس البدوي كليب، والطالب الجامعي (أحمد)؛ إذ وقع كل منهما في حب فتاة تخالفه في الديانة، بالتالي يصعب اللقاء بينهما عقائدياً واجتماعياً[5].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأمّا الأساطير، فقد وظّفها الكتّاب في رواياتهم، واعتمدوا عليها غير مرّة في الكشف عن أغوار الشّخصيّة وملامحها وأحلامها وطموحاتها المختلفة، فرواية "الخروج من سوسروقة"، كانت من أكثر الروايات توظيفاً للأساطير والحكايات الشعبية[1]، إذ قامت الكاتبة في هذه الرواية بتوثيق تراث شعب كامل وما فيه من عادات وتقاليد وأحداث وأسماء وأماكن وأساطير ومخاوف وملاحم، معتمدة في توثيقها على المروي المحكي والمكتوب من قِبَل المعمرين[2]، فراوية

---

[3] انظر: نبيل حداد، السينمائية في رواية ماري روز تعبر مدينة الشمس، أبحاث اليرموك، م13، ع1، جامعة اليرموك، 1995، ص151.

[4] انظر: قاسم توفيق، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ص88، سلميان الأزرعي، الرواية الجديدة في الأردن، ص180.

[5] انظر: عبد الله رضوان، تقنيات الرّواية الأردنية، أفكار، ع96، عمان، 1990، ص53.

[1] انظر: زهرة عمر، ص ص13، 38، 66، 91، 170، 204، 214، 275.

[2] سليمان الأزرعي، الرّواية في الأردن، ص109.

الأحداث امرأة مسنّة، تجاوزت المئة عام، عاصرت الشتات الّذي تعرّض له الشراكسة منذ الهجرة الأولى من أوطانهم قسراً، فالكاتبة تنقل القارىء إلى تاريخ الشراكسة بصورة مفصلة دقيقة عن طريق العمليات الذهنيّة من تداعيات وذكريات وأحلام وأوهام وأفكار ومشاعر... لشخصيّتها الرّئيسة الّتي تمثّل ذاكرة تاريخيّة ضخمة، يستطيع القارىء من خلالها التعرّف على ملامح الشّعب الشركسي وعاداته وطباعه[3].

والكاتبة قدّمت "ناشخوه" من خلال البعد الماضوي في مواضع مختلفة، فرسمت مظهرها وملابسها، وجمالها، ومخاوفها، ومكانتها الاجتماعيّة، وعنادها على الاستمرار، حتّى إنها قرنت بينها وبين شخصيّة ستناي الأسطوريّة، الّتي تذرف دموعها على ولدها سوسروقة فيعود حيّاً يرزق، إذ كانت ناشخوه المليئة بالمخاوف والمغامرات تتمنّى وتحلم بأن تكون ستناي الجديدة، لتبعث الحياة في بطل شركسي قوي قتله البدو بعد نزال طويل، وهو شوجن[4]: «كم تمنيت لو أنني ولدت بعقدين من الزمن قبل ولادتي، والتقيته هنا... فغسلت له جراحه بالندى، وداويتها بالأزهار الليلكيّة الّتي تموت عندما تمسّ وريقاتها شمس الضحى القويّة. كنت أتخيله يعود للحياة، وأحميه من تلك المأساة والفجيعة، كنت أراه طويلاً عريض المنكبين نبيل الوجه»[1].

وما حلمت به ناشخوه هو نفسه ما قامت به ستناي في بعث ابنها للحياة من جديد، فهي بعد أن تجمع أعضاء جسمه المقطّعة: «تجمع قطرات الندى من

---

[3] انظر: زهرة عمر، الخروج من سوسروقة، ص118؛ ونزيه أبو نضال، عمان مكان نموذجي لرواية المدن، عمان، ع8، 1998، عمان، ص62.

[4] انظر: زهرة عمر، الخروج من سوسروقة، ص166، نزيه أبو نضال، علامات على طريق الرّواية الأردنيّة، ص197.

[1] زهرة عمر، الخروج من سوسروقة، ص169.

الأزهار البريّة، ومن فوق الأوراق الخضراء في كفّها. وهكذا غسلت جسد سوسروقة بالندى، ولم يبق سوى وجهه. ولم تجد ما يكفي من الندى لغسل وجهه، لأنّ أشعة الشّمس قد قويت ولعقت كل الندى... رقدت فوق ولدها، وأخذت تنوح عليه، غاسلة بدموعها وجه سوسروقة، الّذي عاد حيّاً من جديد»[2]، لقد رأت ناشخوه في نفسها ستناي جديدة، وفي شوجن فارساً نارتياً جديداً.

وقد تميّزت شخصيّات هذه الرواية بقربها من الواقع الشّركسي، فقد كانت الكاتبة تجري على ألسنة شخصيّاتها ألفاظاً شركسيّة[3]، مثل شكشبنة، الحلفة، قامة، ياوي حشه... إضافةً إلى أنّ شخصيّات هذه الرواية تمتعت باسمين، فقد كان من عاداتهم أن تنادي العروس أفراد أسرة زوجها بأسماء لطيفة تختارها هي، وتسمّى هي كذلك[4]، فناشخوه هي نفسها مسرة خان، وباباج هو نفسه بمكرزا كوندوقة، والعم زاوار هو نفسه دغه ناف، ومولى خان هي نفسها بيضاء... .

إنّ المكان والزّمان والأحداث والشّخصيّات نفسها الرّئيسة منها والثّانوية واللغة تقنيات متنوعة، استعان الكتّاب الأردنيون بتفاعل بعضها مع بعضها الآخر، في تقديم شخصيّاتهم وإبرازها بصورة متناسقة منسجمة مع بقيّة عناصر العمل الأدبيّ، ولا يمكننا الفصل بينها إلاّ لأغراض الدراسة فقط، وبهذا تقف الشّخصيّات الرّوائية الذكورية والأنثوية في الرواية الأردنيّة «وسيطاً بين الإنسان والواقع، وليس بين الواقع والمتخيّل»[1].

---

[2] المصدر نفسه، ص171.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص ص13، 28، 33، 69.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص143.

[1] ماجد السامرائي، رواية الثمانينات في الأردن، أفكار، ع107، عمان، 1992، ص141.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الخاتمـــــة

بينت الدراسة في محاولتها لاستقصاء الملامح العامّة للشّخصيّة في الرّواية الأردنيّة كيف استطاع كتّابنا الأردنيون تصوير مختلف النماذج البشرية – ذكوراً وإناثاً، سلبيةً وإيجابية، بسيطة ومعقدة، متعلمة وأميّة، متحررة ومتخلفة... التي شكّلت المجتمع، فالمتتبع لهذه الشخصيات على اختلاف أصنافها يجد أنّ كتّابنا الأردنيين أورثوا هذه الشّخصيّات فلسفاتهم وأفكارهم المتنوعة عن العالم المحيط بهم، فجاءت الشّخصيّات الرّوائيّة في أبعادها الاجتماعيّة والثقافيّة والفكريّة والنفسيّة قريبة من شخصيات المجتمع الأردني معبّرة عن إنسانه العادي وطبائعه المتناقضة في أحيان كثيرة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

كما أظهرت الدّراسة اختلاف الكاتب والكاتبة في تصويرهما للشّخصيّات الذكوريّة والأنثويّة من جهة، واتفاقهما في تصويرها من جهة أخرى، فبينما نجدهما اختلفا مثلاً في تصويرهما لعمل المرأة السياسي مقارنةً بالرجل، إذ كان حضور المرأة السياسي عند الكاتبة أكثر إشراقاً منه عند الكاتب الذي اكتفى بتصوير المرأة على الأغلب مراقبة لعمل الرجل السياسي مستمعة له دون أن تبذل جهداً في التأثر برجال السياسة، على العكس منها في الرّواية النسوية إذ جاءت مؤثرة في العمل السياسي متأثرة به، نجدهما اتفقا في تصويرهما للحرية الاجتماعية المتميزة التي يتمتع بها الرجل مقارنةً بالمرأة أيضاً، ممّا يثير بينهما الرغبة في التحدّي والسيطرة والتسلّط بدلاً من التفاهم والمودة والحوار المقنع المتبادل بين الطرفين.

ولعلّ أبرز ما اتفق عليه كاتبنا وكاتبتنا من خلال النّصوص الرّوائيّة التي تناولتها الدّراسة أنّ الشّخصيّة مرتبطة بالعناصر الرّوائيّة الأخرى – الزمان والمكان واللغة... – عنصر هام احتفظ بمكانة متميزة في بنية العمل الرّوائي الأردني،

فالكاتب الأردني لم يعلن موت الشخصية الرّوائيّة بعد، على غرار ما فعل أصحاب الرّواية الجديدة.

تمّ بعون الله

المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم.
- الأطرش، ليلى، وتشرق غرباً، ط1، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، 1988م.
- ـــــــــ ، امرأة للفصول الخمسة، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 1990م.
- ـــــــــ ، ليلتان وظلّ امرأة، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 1998م.
- ـــــــــ ، صهيل المسافات، ط1، دار شرقيات للنّشر، القاهرة، 1999م.
- البراري، هزاع ضامن ، الجبل الخالد، ط1، دار الإبداع للنّشر والتّوزيع، عمان، 1993م، ط1.
- ـــــــــ ، حواء مرة أخرى، دار النسر للنشر والتوزيع، عمان، 1995م.
- ـــــــــ ، الغربان، ط1، دار أزمنة للنشر، عمان، 2000م.
- توفيق، قاسم ، ماري روز تعبر مدينة الشمس، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 1985م.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ـــــــــــ ، أرض أكثر جمالاً، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 1987م.

ـــــــــــ ، عمّان ورد أخير، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنشر، بيروت، 1992م.

ـــــــــــ ، ورقة التوت، مركز المحروسة، القاهرة، 2000م.

- خريس، سميحة، رحلتي، ط1، مؤسسة الهيثم للصحافة والطباعة والنّشر، بيروت، 1982م.

ـــــــــــ ، المدّ، ط1، دار الشّروق، عمان، 1989م.

، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ط1، دار الكرمل، عمان، 1995م.

ـــــــــــ ، شجرة الفهود، تقاسيم العشق، ط1، دار شرقيات، القاهرة، 1998م.

، الخشخاش، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 2000م.

- دودين، رفقة، ، مجدور العربان، ط1، مؤسسة رم للتكنولوجيا والكمبيوتر، الكرك، 1993م.

ـــــــــــ , أعواد ثقاب، ط1، دار الفارس، عمان، 2000م.

- عمر، زهرة، الخروج من سوسروقة، ط1، دار أزمنة، عمان، 1993م.

- غرايبة، هاشم، بيت الأسرار ضمن قصص أولى، دار الأفق الجديد، عمان، 1982م.

ـــــــــــ ، رؤيا، ط1، قدسية للنّشر والتوزيع، إربد، 1991م.

ـــــــــــ ، المقامة الرمليّة، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 1998م.

- ناجي، جمال ، الطريق إلى بلحارث، ط1، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، 1982.

ـــــــــــ ، وقت، ط1، دار ابن رشد، عمان، 1984م.

ـــــــــــ ، مخلّفات الزوابع الأخيرة، دار الفارس للنشر والتوزيع والمؤسسة العربية، عمان، 1988م.

ـــــــــــ ، الحياة على ذمّة الموت، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بروت، 1993م.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

المراجـع:

- إبراهيم، السيد، نظرية الرواية، دار قباء، القاهرة، 1998م.
- إبراهيم، نبيلة، فنّ القصّ في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة.
- الأزرعي، سليمان، الرّواية الجديدة في الأردن، ط1، دار الفارس للنّشر والتوزيع، عمان، 1997م.
- الأسد، ناصر الدين، الحياة الأدبيّة الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة 1950م، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان والمؤسسة العربية الحديثة، عمان، 2000م.
- أسعد، ميخائيل إبراهيم، شخصيتي كيف أعرفها، ط3، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1987م.

- إسماعيل، عزّ الدين، التفسير النفسي للأدب، دار المعارف، القاهرة، 1963م.

ـــــــــــ ، الأدب وفنونه، ط6، دار الفكر العربي ومطبعة السعادة، القاهرة، 1976م.

- البيرس، ر.م، تاريخ الرّواية الحديثة، ترجمة جورج سالم، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1967م.

- ألن، روجر، الرّواية العربية، ترجمة حصة منيف، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 1986م.

- أمين، أحمد، النّقد الأدبي، ط3، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1963م.

- أمين، حسين، المرأة بين الشارع والبيت، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1999م.

- أولتبينريد، لين وليزلي لويس، الوجيز في دراسة القصص، ترجمة عبد الجبار المطلبي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1983م.

- بارت، رولان، مدخل إلى التحليل البنيوي، ترجمة منذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1993م.

- بحراوي، حسن، بنية الشّكل الرّوائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990م.

- التلّ، سهير سلطي، مقدّمات حول قضيّة المرأة والحركة النسائيّة في الأردن، ط1، المؤسسة العربيّة، بيروت، 1985م.

- تيروفسكي، معجم علم النفس المعاصر، ترجمة حمدي عبد الجواد وعبد السلام رضوان، ط1، دار العالم الجديدة، القاهرة، 1996م.

- تيمور، محمود، دراسات في المسرح والقصة، مكتبة الآداب، الجماميز.

- جرييه، آلان روب، نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة.

- الحنفي، عبد المنعم، التحليل النفسي للأحلام، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م.

- حنورة، مصري عبد الحميد، الأسس النفسية للإبداع الفني في الرّواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م.

- خليل، إبراهيم، الانتفاضة الفلسطينية في الأدب، ط1، دار الكرمل، عمان، 1989م.

ـــــــــ ، الرّواية في الأردن في ربع قرن، ط1، دار الكرمل للنشر، 1994م، عمان.

- الربابعة، أحمد حمدان، المجتمع البدوي الأردني، دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1974م.

ـــــــــ ، الشخصية الأردنية، سماتها وخصائصها، الجامعة الأردنية، عمان. 1999،

- رضوان، عبد الله، أدباء أردنيون، دار الينابيع، عمان، 1996م.

- ساروت، ناتالي، انفعالات، ترجمة فتحي العشري، ط1، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971م.

- السعافين، إبراهيم، الرّواية في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1995م.

- السمرة، محمود، في النقد الأدبي، ط1، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974م.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

- عبد الخالق، غسَّان، الزمان، المكان، النص، دار الينابيع للنّشر والتّوزيع، عمان، 1993م.

ـــــــــــ ، الغاية والأسلوب، أمانة عمان الكبرى، عمان، 2000م.

- عبيدات، أروى، صورة المرأة في الرّواية الأردنيّة، وزارة الثقافة، عمان، 1995م.

- عثمان، عبد الفتّاح، بناء الرّواية (دراسة في الرّواية المصريّة)، مكتبة الشباب، المنيرة، 1982م.

- عطيات، محمد، القصّة الطويلة في الأدب الأردني، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1985م.

- عطية، أحمد محمد، هموم المرأة العربية في القصّة والرّواية، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1992م.

- العيد، يمنى، تقنيات السّرد الرّوائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي للنّشر، بيروت، 1990م.

- الفاعوري، عوني صبحي، أثر السياسة في الرّواية الأردنيّة، وزارة الثقافة، عمان، 1999م.

- فورستر، أركان الرّواية، ط1، ترجمة موسى عاصي، جروس بُرس، 1994م.

- قاسم، سيزا أحمد، بناء الرّواية، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1984م.

- القط، عبد القادر، في الأدب المصري، دار غريب، القاهرة، 2000م.

- قطامي، سمير، الحركة الأدبيّة في شرق الأردن منذ قيام الإمارة حتى سنة 1948م، ط1، وزارة الثقافة، عمان، 1981م.
- الكبيسي، طراد، قراءات نصيّة في روايات أردنية، مطابع الدستور التجارية، عمان، 2000م.
- الكركي، خالد، الرّواية في الأردن، الجامعة الأردنية، عمان، 1986م.
- كونديرا، ميلان، فنّ الرواية، ترجمة أمل منصور، ط1، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 1999م.
- لوبوك، بيرسي، صُنعة الرّواية، ترجمة عبد الستار جواد، مجدلاوي، عمان، 2000م.
- مارتن، والاس، نظريات السّرد الحديث، ترجمة حياة قاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998م.
- محيلان، منى محمد، التجريب في الرّواية العربيّة الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2000م.
- المشايخ، محمد، الأدب والأدباء والكتاب المعاصرون في الأردن، ط1، مطابع الدستور، عمان، 1989م.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960م.
- ابن منظور، معجم لسان العرب، ط2، مكتب تحقيق التراث ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993م.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- موير، إدوين، بناء الرّواية، ترجمة إبراهيم الصيرفي، المؤسسة المصريّة العامّة للتأليف والنّشر، القاهرة، 1965م.
- ميشيل، دنكل، معجم علم الاجتماع، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
- نجم، محمد يوسف، فنّ القصّة، دار بيروت للطباعة والنّشر، 1956م.
- أبو نضال، نزيه، علامات على طريق الرّواية الأردنيّة، ط1، دار أزمنة، عمان، 1996م.
- النقشبندي، بارعة، المشاركة السياسيّة للمرأة في الأردن وبعض الدول العربية، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، 2001م.
- نويل، جان بيلمان، التحليل النفسي والأدب، ترجمة حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م.
- هلال، محمد غنيمي، النّقد الأدبيّ الحديث، دار العودة ودار الثقافة، 1973م.
- همفري، روبرت، تيار الوعي، ترجمة محمود الربيعي، دار المعارف،1975م.
- وهبة، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1979م.
- ويليك، رينيه، نظرية الرّواية، ط3، ترجمة محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى للفنون والأدب، دمشق، 1974م.
- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الرّوائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1988م.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

- يوسف، آمنة، تقنيات السّرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار، اللاذقية، 1997م.

الرسائل الجامعيّة:

– الخصاونة، سمية علي، الاغتراب في الرّواية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1995م.

– شهاب، أسامة، أدب المرأة في فلسطين والأردن، رسالة دكتوراة، جامعة عين شمس، القاهرة، م1، 1991م.

– عبيدات، زهير، رواية الأجيال في الأدب العربيّ الحديث، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، عمان، 1994م.

– قويدر، عيسى، الرواية الأردنية 1967- 1990م، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1991م.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

الدوريات:

- إبراهيم، عبد الله،

ـــــــــ ، بناء السّرد في الرّواية الأردنيّة المعاصرة، أفكار، عمان، ع135، 1999م.

ـــــــــ ، الرّواية النسويّة والجسد الأنثوي، ع48، عمان، 1998م.

- الأزرعي، سليمان

ـــــــــ ، الحريّة والديموقراطيّة في الرّواية الأردنية، أفكار، ع107، عمان، 1992م.

ـــــــــــ ، الرّواية الأردنية بين "الوطن الرّوائي" و "الوطن التعبوي"، ع36، عمان، 1998م.

ـــــــــــ ، بانوراما تحوّلات المجتمع الأردني في رواية ما بعد الهزيمة، أفكار، عمّان، ع126، 1996م.

- الأعرجي، نازك، شجرة الفهود لسميحة خريس، المجلة الثقافية، ع40، الجامعة الأردنية، 1997م.

- أناستاسييف، شخصيّة المؤلف في أدب القرن العشرين، فصول، م10، ع1، مصر، 1991م.

- بوين، إليزابيث، الشّخصيّة في صناعة الرّواية، ترجمة سميرة عزام، الآداب، بيروت، ع2، بيروت، 1957م.

- تشانس، بول، علم نفس الشّخصيّة، الثقافة النفسيّة، ترجمة محمد البدوي، بيروت، ع5، بيروت، 1991م.

- جميعان، محمد سلام، الرفض والقلق والإدانة في رواية الغربان لهزاع البراري، أفكار، ع144، عمان، 2000م.

- جبر، جميل، الرّواية بين القديم والحديث، الأفق الجديد، ع11، الأردن، 1962م.

- حدّاد، نبيل

ـــــــــــ ، الرّواية في الأردن في الثمانينيات (دارسة في البيئة)، أبحاث اليرموك،م7، ع2، جامعة اليرموك، 1989م.

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ـــــــــــ ، الرّواية في الأردن ونماذج مجتمع الأعمال، أبحاث مؤتة، م11، ع6، جامعة مؤتة، 1996م.

ـــــــــــ ، السينمائيّة في رواية ماري روز تعبر مدينة الشمس، أبحاث اليرموك، م13، ع1، جامعة اليرموك، 1995م.

ـــــــــــ ، شجرة الفهود لسميحة خريس (صورة المجتمع الأردني الانتقالي في نصف قرن)، أبحاث اليرموك، م15، ع2، جامعة اليرموك، 1997م.

- حقي، بديع، اتجاه جديد في الرّواية المعاصرة، الأديب، ج3، بيروت، السنة28، 1969.

- حمارنة، صالح، غالب هلسا والمرأة، المجلة الثقافية، ع39، الجامعة الأردنية.

- خليل، إبراهيم

ـــــــــــ ، الخطاب الرّوائي في الأردن نظرة في الكتابة التجريبيّة، أفكار، ع96، عمان، 1990م.

ـــــــــــ ، الخطاب النسوي في رواية ليلى الأطرش، علامات، م8، ج31، جدة، 1999م.

- الدعمي، لاهاي عبد الحسين، العنف ضدّ المرأة، المجلة الثقافية، ع40، الجامعة الأردنية، 1997م.

- رضوان، عبد الله

ـــــــــــ ، تقنيات الرّواية الأردنيّة، أفكار، ع96، عمان، 1990م.

ـــــــــــ ، في الرّواية الأردنيّة، أفكار، ع76، عمان، 1985م.

- الزعبي، أحمد، التناص التاريخي والديني/ مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقيّة للتناص في رواية رؤيا لهاشم غرايبة، أبحاث اليرموك، م13، ع1، جامعة اليرموك، 1995م.

- السّامرائي، ماجد، رواية الثمانينات في الأردن (الرؤية... ومسارات التحوّل)، أفكار، ع107، عمّان، 1992م.

- ستانزل، ك.ف، العناصر الجوهرية للمواقع السّرديّة، عالم المعرفة، م11، ع2، الكويت، 1993م.

- السنباري، نجاة المرسي، تعليم المرأة وعلاقته باحتياجات العالم العربي من القوى العاملة، الآداب، ع1، بيروت، سنة 24- 1976م.

- طه، فرج عبد القادر، أضواء على سيكولوجيّة الشخصيّة العربيّة، الثقافة النفسيّة، م3، ع9، بيروت، 1992م.

- بوطيب، عبدالعالي، مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الرّوائي بين الائتلاف والاختلاف، فصول، م11، ع4، مصر، 1993م.

- عبد الرحمن، أسعد، حول الثقافة العربية الجديدة والجيل الصاعد، الآداب، ع1، بيروت، 1983.

- عرفات، أحمد

ـــــــــــ ، صورة المرأة في الأمثال السائرة، أفكار، ع93، عمّان، 1989م.

ـــــــــــ ، صورة المرأة في النّص الرّوائي الأردني (ليلى الأطرش نموذجاً)، أدب ونقد، ع136، القاهرة، 1996م.

ـــــــــــ ، صورة المرأة في النّص الرّوائي النسوي (سميحة خريس نموذجاً)، أفكار، ع133، عمّان، 1998م.

- بوعلي، عبد الرحمن، شخصيات النّص السردي، علامات، م8، ج31، جدة، 1999م.

- عليان، حسن، الاغتراب في الرّواية العربيّة في الأردن (مؤنس الرزاز وإبراهيم نصر الله) نموذجاً، أبحاث اليرموك، م17، ع1، جامعة اليرموك، 1999م.

- غرايبة، هاشم، برد الواقع... دفء الفنّ في رواية سميحة خريس "خشخاش"، أفكار، ع147، عمّان، 2000م.

- فضل، صلاح، المثقف والسّلطة السياسيّة، الآداب، ع1، بيروت، 1999م.

- الفيومي، إبراهيم، صورة المرأة في الأمثال السّائرة، ع93، أفكار، عمّان، 1989م.

- كورمو، نيللي، فيزيولوجية القصّة، الآداب، ع1، بيروت، 1954م.

- مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرّواية (بحث في تقنيات السّرد)، عالم المعرفة، الكويت، 1998م.

- أبو نضال، نزيه

ـــــــــــ ، رواية الثمانينات بين الواقعيّة والحداثة، أفكار، عمّان، ع112، عمان، 1993م.

ـــــــــــ ، عمان مكان نموذجي لرواية المدن، مجلة عمان،ع8 ، عمان، 1994م.

ـــــــــــ ، المرأة في الأردن بين الواقع والطموح، المجلة الثقافيّة، ع36، الجامعة الأردنية، 1995م.

وقائع المؤتمرات:

- الأطرش، ليلى، امرأة للفصول الخمسة، الملتقى الثالث للمبدعات العربيّة، ط1، دار كتابات، تونس، 1999م.

- النابلسي، شاكر، كيف عبّرت الرّواية الأردنية عن الواقع المحلي والعربي، أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول (1992م)، ط1، منشورات وزارة الثقافة ودار أزمنة، عمان، 1994م.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

منشورات المؤسسات:

دائرة المطبوعات والنشر، المرأة الأردنية، عمان، 1979م.

الصحف:

الأزرعي، سليمان، تجليات المكان في مخلفات الزوابع الأخيرة لجمال ناجي، الرأي، عمان، ع9741، 9 أيار، 1997م.

عوض، أحمد، قراءة في مخلفات الزوابع الأخيرة، الرأي، عمان، ع770، 6 أيلول، 1991م.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

Abstract

The Human Character in The Jordanian Novel

By

Fatema Z. Shaltaf

Supervisor

Dr. Sameer B. Qutami

This research has studied the human character in the Jordanian novel in the period 1980 - 2000 AD.

And what has motivated me to study this subject, in the first place, is his great importance, and secondly that it has not been previously researched from all its sides. So we can find studies about woman's character and her role in the Jordanian novel, while we cannot find any studies about man's character and his role in the Jordanian literature work. In addition, through this study we can recognize the natures of personalities, their concerns, and their reactions in the society in which they live; and to see clearly the imprint of development on the character in all different aspects of life.

All reasons previously mentioned have made me taking this subject in my paper, which contains a preface, four chapters, and an abstract.

In the first chapter, I have talked about the concept of the character in literature, and what is connected to it of terms, opinions, and traditional or modern theories.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

In the second chapter, I have worked hardly to pick up the woman's image, which is drawn by both the male and female writers, and through subjects, which are so connected to woman and her daily life, as society, education, work, politics, and man. And I have been working on analyzing the woman's character and her connections in all different aspects of life on the levels of reality and literature.

In the third chapter, I have worked on analyzing the man's image, which is also drawn by both the male and female writers, and through the same subjects. And I hope that I have succeeded in explaining their images objectively, which shows the relationship between the novel character and its reality in which it lives.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

In the fourth chapter, I have studied the artistic characteristics of the novel character through the techniques that are used by the male and female writers to create their personalities in all their dimensions, which give them a form of life; as names, memories, dreams, time, language, etc.

And hereupon, this study has shown how the Jordanian writers could picture the different human models -males and females- that form the society. And that was achieved by using the personalities, which have discussed those models with their specific characters, different natures, and their ideas and philosophies about the reality and its preoccupations. As they could picture their physical, social, and psychological lineaments, and their tangled relationships, until the character has become one of the main elements, which may not be missed from the Jordanian novel.